الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية و الاجتماعية قسم الفلسفة

موضوع البحث

فينومنولوجيا اللغة

عند ميرلوبونتي

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة

إعداد الطالب:
تحت إشراف :
بن سباع محمد
أ.د عبد الرحمان بوقاف

السنة الدراسية :
2004/2003

مقدمة

من أبرز سمات الفلسفة المعاصرة أنها ابتعدت عن الأفكار و الأنساق الفلسفية المغلقة،فأرادت بذلك
أن تبحث فيما هو "عيني" و "ملموس" دون الغوص في متاهات ميتافيزيقية لا طائل منها،فكان الاتجاه إلى الواقع
غايتها و تحري الدقة و الموضوعية شعارها.

إن الفينومنولوجيا بوصفها أكبر تيار فلسفي معاصر قد أخذت على عاتقها كل هذه الاهتمامات و غيرها،محاولة بذلك تجاوز الصراع الكلاسيكي بين المثالية و المادية،و من ثم وضع أسس سليمة لفلسفة علمية
صارمة،و إذا كان هذا أمر الفينومنولوجيا،فان الوجودية إلى جانب ذلك ارتبطت بالواقع المعيش،و تمحورت
دراستها حول الوجود،لتكون بذلك أقرب الفلسفات إلى الوجود الإنساني.

وعلى هذا فان الإنسان أو "الكائن اللوغوس" -كما أعلن الإغريق- شكل أهم محاور البحث الفلسفي
المعاصر،وتعتبر اللغة أهم مسألة دار حولها هذا البحث،فعلى الرغم من قيمة البحوث "السوسيرية" و ما بعد
"السوسيرية"من ناحية القيمة العلمية للبحث في اللسان البشري ،إلا أن هذا كان منطلقا لموقف نقدي إزاء بعض
أطرها النظرية و مسوغاتها الابستمولوجية،وذلك لما صاحبها من آليات إقصاء.فقد تزايد الوعي بأهمية اللغة
وازداد اليقين بأن للفلسفة مشروعية في البحث عن مفاجآت اللغة و تشعب انعطافاتها و كذا إقامة ضرب
من ضروب الجدلية،بين ما تقدمه الدراسات اللسانية العلمية و بين ما بإمكان الفيلسوف الاهتداء إليه و هو
يبحث في الكلمات بالكلمات.

إذ نجد أن فينومنولوجيا الفيلسوف الفرنسي المعاصر "موريس ميرلوبونتي"تقوم على حرقة السؤال الفلسفي دون الاستسلام للدوغماتية العلمية التي لا تعتبر إلا تصفية للتراث الفلسفي،وان مقاربته في دراسة اللغة تستمد خصوبتها من داخل الأقوال وتغايرها في الآن نفسه،لذا أردنا استجلاء خصائص الدرس اللغوي المعاصر في بنائه الفينومنولوجي "الميرلوبونتي" ومعرفة طبيعة اللغة التي تنسحب من هذا المنظور،لأنها شكلت هاجسا كبيرا عبر عنه في معظم
مؤلفاته،لنحاول في بحثنا هذا الارتحال في بعض فظاءاته النظرية و أبعاده الفلسفية.

وعلى هذا يمكن صياغة إشكالية بحثنا في التساؤل التالي:ما هي أهم مميزات فينومنولوجيا اللغة عند
"ميرلوبونتي"؟ وكيف تتميز بذلك عن المنظورين الفينومنولوجي عند"هوسرل" و اللساني عند "دي سوسير"؟

وكيف استطاع "ميرلوبونتي" من خلال الفينومنولوجيا الوجودية التعامل مع مختلف الإشكاليات و التساؤلات
الفلسفية المطروحة في ميدان اللغة و الكلام؟.

وتحت هذه الإشكالية المحورية طرحنا جملة من التساؤلات أهمها:ما هي أهم العناصر التي تتشكل منها
الفينومنولوجيا الوجودية عند"ميرلوبونتي؟ماهو الجديد التي أضافه"ميرلوبونتي"؟كيف نظر إلى الجسم في علاقته بالعالم؟
كيف يكون هذا الجسم وسيلة للتعبير و أداء للمعنى؟ما طبيعة اللغة في العمليات التعبيرية المتنوعة؟ و ما العلاقة
الموجودة بين الفكر و الكلام؟كيف نظر إلى الكوجيتو و ما هي مكانة الصمت بالنسبة إلى الكلام؟وكيف يعتبر
الفن لغة و تعبيرا إبداعيا؟وما هي أهم مظاهره؟.

هذه التساؤلات و غيرها سنتناولها بالتحليل و المناقشة في بحثنا هذا،فقد قادنا حبنا المفرط لمبحث اللغة
عموما و فلسفة "ميرلوبونتي" خصوصا إلى أن يكون "فينومنولوجيا اللغة عند ميرلوبونتي" موضوعا لبحثنا هذا
وقد اعتمدنا في دراستنا له على أكثر من منهج وذلك راجع إلى طبيعة الموضوع،فاعتمدنا على المنهج التحليلي
إضافة إلى المنهج التاريخي و المنهج النقدي المقارن لضرورته و أهميته في التعامل مع الأفكار و مقارنتها.

ومن أهم الأسباب التي دفعتنا إلى اختيار هذا الموضوع نذكر:

- قلة الدراسات و الكتابات حول فلسفة "ميرلوبونتي" باللغة العربية،إن لم نقل انعدامها،فالدراسات الموجودة حول
الفينومنولوجيا-وهي على قلتها- تتجه إلى فلسفة "هوسرل"،رغم أن "ميرلوبونتي" يعد من بين أهم قراء "هوسرل"
و ممثلي الفينومنولوجيا في فرنسا.

- تعمد الباحثين إلى تجنب دراسة مثل هذه الموضوعات،نظرا إلى طابع الغموض الذي يميزها و صعوبة اللغة التي
تتحدث بها،ففلسفة ميرلوبونتي تتعمق في الطرح و التحليل،و لكي لا نبقى حبيسي التردد رأينا ضرورة اقتحام هذا الموضوع.

- وقد لا حظنا أن الدراسات في ميدان فلسفة اللغة،كمبحث معاصر جد قليلة،و أن المكتبة العربية تعاني الفقر
في هذا الميدان،وحتى لو أن اللسانيات قد عرفت بعض الاهتمام إلا أن الجانب الفينومنولوجي الذاتي في دراسة
اللغة بقي يعاني التهميش.

-وهناك سبب آخر راجع إلى فلسفة "ميرلوبونتي" في حد ذاتها،و هو الهدف الذي وضعه نصب عينيه و المتمثل
في وضع خط ثالث بين المادية و المثالية.

أما بالنسبة إلى الصعوبات التي واجهتنا في مختلف مراحل إعداد هذا البحث فمنها ما يتعلق بطبيعة الموضوع
ومنها ما يتعلق بلغة الفيلسوف،ومنها ما يتعلق بالمصادر و المراجع،إلى جانب صعوبات أخرى ميدانية،فعلى الرغم
من حصولنا على أهم المصادر و المراجع التي تساعدنا في انجاز هذا البحث إلا أن الصعوبة تكمن في لغتها الأصلية
"الفرنسية" مما جعلنا نتجه إلى القراءة و الترجمة و التحليل،وهي مراحل أخذت منا الوقت و الجهد الكثير.ولكن
مع كل صعوبات و عراقيل البحث حاولنا جاهدين تذليلها من خلال إرادة البحث و حب التطلع مع تبني المواقف
الأصلية و القراءة المصدرية.

وللإحاطة بمختلف جوانب الموضوع المبحوث و اشكالياته ارتأينا تقسيمه إلى:

- مقدمة : تناولنا من خلالها التعريف بالموضوع و اشكالياته و المناهج المتبعة في دراسته كما أشرنا
إلى الأسباب و الدوافع التي جعلتنا نختار هذا الموضوع و إلى الصعوبات التي واجهتنا أثناء مختلف مراحل البحث.
- مدخل : فضلنا تخصيصه إلى بعض الجوانب المهمة من حياة ميرلوبونتي إلى جانب ذكر مؤلفاته نظرا إلى العلاقة
الوطيدة بين حياته و فلسفته.
- الفصل الأول : حاولنا من خلاله تحديد معالم المنظورين الفينومنولوجي و العلمي للغة،عند كل من "هوسرل"
كمؤسس للفينومنولوجيا و "دي سوسير" كأب للسانيات المعاصرة،إذ لا يمكننا الحديث عن اللغة عند"ميرلوبونتي"
دون التطرق إلى "هوسرل" و "دي سوسير"كأهم أقطاب الدرس اللغوي المعاصر و نظرا إلى إسهامات كل منهما
ميدان البحث اللغوي وما تركاه من تأثير على فلسفة ميرلوبونتي و توجهه إلى البحث في ميدان اللغة.
- الفصل الثاني : تطرقنا فيه إلى نظرية الإدراك و مكانة الجسم في العالم و قدرته على التعبير و أداء المعنى
من خلال الإشارات الجسدية و الإشارات اللغوية.
- الفصل الثالث : خصصناه للغة و الكلام للتعرف على طبيعة اللغة في العملية التعبيرية و كيفية ظهور المعاني
و الدلالات و العلاقة بين الفكر و الكلام و طبيعة تفكير الكلام و تكلم الفكر في اللغة العادية و اللغة الأدبية.
- الفصل الرابع : تحدثنا فيه عن موقف "ميرلوبونتي"من الكوجيتو الديكارتي،والمقصود بالكوجيتو الضمني و الكوجيتو
المتكلم و كيفية ارتباط الصمت بالكلام،كما تطرقنا إلى علاقة الفن باللغة و كيف يكون الفن أسلوبا تعبيريا إبداعيا.

- خـاتمة : كـانت عرضـا للنتـائج التي تـوصلنا إليها من خـلال البـحث،إلى جـانب ملاحـق بأسماء الأعـلام و أهم
مصطلـحات البحث،و قائمة بالمصادر و المـراجـع المستخدمة و فهـرس للمـوضـوعات،ولا يخلو عملنا من النقـائص
كأي عمل إنساني،ولو أردت لعملي هذا الكمال لما انتهيت منه.

مـدخـــل

في الـرابع عشر مارس من عام 1908،ولد الفيلسـوف الكبير" مـوريس ميرلـوبونتي" Maurice)
(Merleau-Ponty،في بلدة روشفـور Rechefort بفرنسا،من عـائلة تنتمي إلى الطـبقة الـوسـطى
أمضـى مرحلة الطفولة و المراهقة في ظل الإيمان المسيحي.وقد التحق بمدرسة المعلمين العليا،أين تعرف على
"سارتر"(Sartre) هنـاك و نشـأت بينهما صـداقة استمرت لمدة طـويلة[1]ولعل الانجـاز الذي اشـتركا فيه معا هو إنشاء مجلة **"الأزمنة الحديثة" Les temps Modernes**

وقد اجتـاز"ميرلوبونتي"امتحـان "الأجرجـاسون"عام 1930 بتفوق و هي درجة هـامة في الفلسفة
وقد بقي من عام 1926الى1930 بمدرسة المعلـمين العليـا،ثم توجه إلى أداء الخدمة الـوطنية من 1930
إلـى 1931،عيـن بعدهـا كـأستـاذ للفلسـفة عـام 1933 بثـانـويـة "بوفـواز" Beau vois ،حيث انظـم
إلـى الصندوق الـوطني للبحـث العـلمي،ثـم عـين أستـاذا بثـانـوية "شـارنـوت"Charnote،من عام 1940
الى1944[2].

وفـي هذا الـوقت كـان"ميرلوبونتي"قد تقـدم لنيـل شهـادة الدكتـوراه برسـالتـين ،هـمـا **"بنيـة السـلـوك"**
La Structure du Comportementو**"فينومنولوجيا الإدراك" La phénoménologie**
De la perception،سنـة 1944 نـال بهـما شهـرة كبيـرة هـذا إضافة الـى شهـرته من خـلال جمـلة
الـمقـالات التي كـان يكتبها من حين إلـى آخـر فـي مجلـة "الأزمنة الحديثة،فـي موضـوعـات متنـوعة فلسـفية و فكـرية.

وبجامعة "السوربون"Sorbon،عين أستاذا لعـلم النـفس و البيداغوجيا من 1949 إلى 1952
حيـث أتيـحت له الـفـرصـة لـكـي يعـرض أمـام طلـبته آراء مفصلـة فـي عـلـم النـفس،و مـن بين المحاضرات
التي ألقاها هنـاك:"المنهـج فـي علـم النفس"،"علـوم الإنسـان و الفينومنولـوجيـا"،"الـوعـي و اكتسـاب اللـغـة"

---

(1)- علا مصطفى أنور،**علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية(دراسة في فلسفة ميرلوبونتي)**،(مصر:دار الثقافة للنشر و التوزيع،1944)،ص 15.
(2)- André Robinet,**Merleau-Ponty,sa vie,son ouvre avec expose sa philosophie** ,1ere éd, (France :presse Universitaire,1963),p01.

"الـجـانب الاجتمـاعي و النفسي للطـفـل"...وقد حـاول"ميرلوبونتي"في هذه المحـاضرات،أن يربـط الفلسـفة
بالمعرفة الوضعية التي يقدمها العلم[1].
ليشغـل بعدهاكـرسي الفلسـفة بالسوربون بعد وفـاة "لويـس لافل" (Louis Lavel)وقد لقيت
محاضرته الافتتاحية "الكوليج دي فرانس"Collège de France ترحيبا كبيرا وذلك للحضور الهائل
لـم يشـهد منـذ أيام كـان "بـرغسـون" (Bergson)إلى درجة أن الإدارة اضطرت إلى وضع الكـراسي
في الممرات الجانبية و الطرقات و كذا وضع مكبرات الصوت.
وقدكان"لميرلوبونتي"مكانة جد محترمة بين الأساتذة خصوصا الذين تمدرس على أيديهم،"جون فال"
(Gohn val)مثلا كان يواظب على حضور محـاضرات"ميرلوبونتي"رغم انه كان أستاذا له من قبل،وهذا
مـا يـدل عـلى ثقـافـة الفيـلسوف الـواسـعة،فكـان الجمهـور يبدي إعجـابا بثقـافة الفيـلسوف و سـعة اطـلاعه
وقد جمعت المحاضرات التي ألقاها"ميرلوبونتي في "الكوليج دي فرانس" في كتاب حمل عنوان"**ثناء على الفلسفة**"
Eloge de la philosophie
فنجده يقول تواضعافي الكلمة الافتتاحية:"سيدي المدير،زملائي الأعزاء،إن الشاهد على اضطرابه الـداخلي لا يسعه الشعـور بأنـه وريـث رجـال يـرى أسماءهم على الجدران،وإذا كان أكثر من ذلك فيلسوفا
أي إذا كـان يـعرف أنـه لا يعـرف،فكيف يعتبر نفسه مـؤهلا ليأخذ مكـانـا وراء هذا المنبر؟بقـدر مـا يشـعر
أنه لا يسـاوي هذا الشرف،بقدر ما يكـون ببساطـة سعيدا في المهنة...وبقـدر ما يتأثر عندما يلقـاكم بمثل
هذا التصميم"[2].
وقد تـرك"ميرلوبونتي"مؤلفـات فلسـفية رائـعة،كـان دليلا على مستوى ثقـافته العـالي،وتنـوع اهتمـامـاته
فقد كتب في ميادين كثيرة في العلم و السياسة و اللغة و الفن و علم النفس و علم الاجتماع و التاريخ..الخ
لذا تعبر مؤلفاته عن الفكر الفرنسي المعاصر أصدق تعبير بل الفكر الغربي المعاصر عامة.

(1)-علا مصطفى أنور،مرجع سابق،ص.ص 15.16.

(2)-Merleau-Ponty,**Eloge de la philosophie**,(Paris :édition Gallimard,Folio essais,1953),p.p 09.10.

نشر"ميرلوبونتي"عـام 1931 تحقيقا لعملـين أحدهما"لسارتر"وهو "الخـيـال" **L'imagination**
و الآخر"لغبريال مارسيل"*(Gabrielle Marseille)،وهو"**الوجود و العدم**" **L'être et avoir**[1]

وفي هذا التحقيق أشار"ميرلوبونتي"إلى أن هدفه في هذه المرحلة هو محاولة فهم علاقات الوعي بالطبيعة.

وتتميز تحليلات"ميرلوبونتي"بالدقة و الضبط،فبعد نشره لهذا التحقيق ظهر سنة 1945 أحد أهم
كتبه وهو"**فينومنولوجيا الادراك**" **La phénoménologie de la perception** إذ يعتبر
بمثابة قراءة جديدة للفينومنولوجيا الهوسرلية،عالج فيه مسائل متنوعة،كالجسم و اللغة و الكوجيتو و الحرية
وغيرها من المسائل،الى جانب كتاب"**الإنسانية و الإرهاب**" **Humanisme et terreur** الذي
نشر سنة 1948،جمعت فيه مجموعة من المقالات حول السياسة.

وفي السنة ذاتها ظهر له كتاب"**المعنى و اللامعنى**" **Sens et Non-sens** يضم مجموعة
من الدراسات الفلسفية المتفرقة.أما في سنة 1951 فقد نشر كتاب "**العلاقات مع الآخرين عند الطفل**"
Les relations avec l'autrui chez l'enfant،وهو إسهام رائع في التحليل النفسي
وعلم نفس الطفل،أما كتاب"**مغامرات الجدل**" **Les aventures de la dialectique** ففيه
غرض لمواقف بعض المفكرين من الماركسية و بعض الاتجاهات السياسية.

هذا الى جانب مؤلفات أخرى مهمة منها"**علامات**"**Signes** ظهر سنة 1960،وكتاب "**العين**
و الفكر"**L'œil el L'esprit** الذي نشر سنة 1964،ثم كتاب"**المرئي و اللامرئي**" **Le Visible**
Et L'invisible،وقد نشر سنة 1964 بعد وفاة"ميرلوبونتي"كما أن هناك كتبا أخرى جد رائعة
مثل "**نثر العالم**" **La prose du Monde**،..وغيرها.

لقد أعلن"ميرلوبونتى"على انتصار الفلسفة عن انتصار الفلسفة على ما أسماه بغياب الفلسفة منذ
"هيغل" Hegel[2]فظهرت بذلك تصورات جديدة للإشكاليات الفلسفية،ليؤكد ميرلوبونتي على العودة

*

(1)- علا مصطفى أنور،مرجع سابق،ص 15.

(2)- Merleau-ponty,**Résumes de Cours**,(Paris :Gallimard,1968),p 142.

إلى الفلسفة،إلى اللغة لأن الفلسفة هي الأسلوب و هي لغة العالم و الأشياء،وهي المعنى و هي الحقيقة
وهذا ما سيظهر في تلك التحولات و التطورات التي ستعرفها فلسفة"ميرلوبونتي"سواء من الناحية المعرفية
الإشكالية أو من الناحية النظرية المنهجية.

وقد اعتاد الكثير من الباحثين أو المدرسين إلحاق"ميرلوبونتي"" بسارتر"-وهو خطأ كبير- بجعله مجرد تابع للوجودية،إضافة إلى أن"سارتر"نال شهرة واسعة بسبب الروايات و المسرحيات التي تكون
في متناول عامة الناس،إلا أن الباحث المدقق يثبت أصالة فلسفة"ميرلوبونتي"وكذا تميزها عن غيرها من الفلسفات الفينومنولوجية و الوجودية،وجدية ما تتناوله من بحث و تطرحه من مسائل،اضافة الى الحلول
التي قدمتها فلسفة"ميرلوبونتي" للإشكاليات الفلسفية الموروثة،لتأتي فلسفته في إطار اتجاه فينومنولوجي وجودي جديد.

وقدتوفي"ميرلوبونتي"في الثالثة و الخمسين من عمره،سنة 1961[1]وهو من أهم الفلاسفة الممثلين للفينومنولوجيا في فرنسا،دافع عن الفلسفة،كما حاور في مؤلفاته مختلف أنواع العلوم و المعارف،والاتجاهات
الفلسفية،فإذا كان "هوسرل" (Husserl)مؤسس الفينومنومنولوجيا رأى بأن مهمة الفيلسوف هو أن يكون
موظف الإنسانية،فان مهمته عند"ميرلوبونتي" هي البحث المستمر.

الفصل الأول

تمهيـــــد

ليست اللغة بغريبة عن السؤال الفلسفي، وإذا كانت الفلسفة كما يرى هيدغر Heidegger لا تنشأ
عن العلم، ولا هي أسيرة لنتائجه، فإن اللغة لاهي مرتبطة بموضوع وحيد أوحد لمنظور لساني علمي ولاهي خاضعة
لمنظور ذاتي فينو منولوجي ذاتي،فقد احتلت إشكـالية اللغة مكانة مهمة في فينومنولوجيا هوسرل، نظرا إلى ما ظــهر
لمؤسس الفينومنولوجيا من أهمية هذا الميدان وخصوبته.

كما أن لسانيات دي سوسير De Saussure تعتبر" تغييرا "جذريا لجملة من المفاهيم والمناهج السائدة
هي محطة مهمة في علم اللغة، ولذلك رأينا قبل أن نقتحم مجال الفينومنولوجيا كما يراها ميرلوبونتي، ونظرتها إلـى اللغة
أن نتطرق إلى إسهامات كل من هوسرل وسوسير، وهدفنا من هذا، هو استجلاء جدلية ماهو فينومنولوجي ذاتي
وماهو علمي لساني في إطار تنوع الكلام أو التعبير واللسان أو النظام اللغوي إذ من غير المنطقي أن ندرس فينومنولوجيا
ميرلوبونتي، دون أن نتطرق لموقف مؤسس الفينومنولوجيا من جملة الإشكاليات المطروحة حول مسألة اللغة.

ولـد هوسرل Husserl سنة 1859 بمقاطعة مـورافيا بألمانيـا، تتلمذ على يد بـرنتانو Brintano
تشبع في شبابه بالروح الواقعية، اشتغل بالتدريس في جامعتي "جوتنجن" ثم "قراييورج "وشغل كرسي الفـلسفة بهذه
الأخيرة من عام 1916 إلى 1928، توفي سنة 1938 [1] . أما مؤلفاته فمعضمها معروفة ومن أهمها"**أزمة العلــوم الأوروبة**"و"**مباحث منطقية**"و"**فكرة الفينومنولوجيا**"...وغيرها.

ويمكن تقسيم تطوره الفلسفي إلى مراحل ثلاث: المرحلة السابقة على الفينومنولوجيا،وتبلورت فيها الأفكار التي عرضهافي "**المباحث المنطقية**"،ثم المرحلة الفينومنولوجية باعتبارها مشروعا فينومنولوجيا، وتبلورت في ثاني جزء من "**المباحث المنطقية**"، ثم مرحلة الفينومنولوجيا الخالصة،باعتبارها أسـاسا للعـلم والفـلسفة والتي تبلورت حوالـــي عام
1906 [2] ، هذه لمحة عن حياة هوسرل، فماذا عن دي سوسير؟.

(1)- علا مصطفى أنور، علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية ،(دراسة في فلسفة ميرلوبونتي)،(مصر : دار الثقافة للنشر والتوزيع، 1944)، ص43.
(2)- المرجع نفسه، ص. ص43 44.

دي سوسير De Saussure هو لغوي سويسري ولد في جنيف بتاريخ17 نوفمبر1857 من عائلة عريقة

ومثقفة، اهتم في بداية حياته بالعلوم الطبيعية، واتجه إلى الدراسات اللسانية في سن مبكرة، ولما بلغ الثانية والعشرين من عمره أصبح أستاذا للفلسفة والعلوم الطبيعية في أكاديمية جنيف Genève [1] .

وقد انظم إلى حلقة اللغويين الألمان، بعد أن رحل إلى برلين سنة 1878 ودرس هناك اللغة السنسكريتية

حيث أنهى تحرير رسالة :" في النظام الأصلي للمصوتات في اللغات الهندو-أوروبية "-les système Primitifs des voyelles dans les langues hindo europienne وقد نال بها في زمانه شهرة عظيمة، اعترف كل العلماء بأنه لم يبلغ بحث مثلما بلغه هذا التحليل من الدقة والعمق، وفي سنة 1880 قدم دي سوسيررسالة الدكتوراه بعنوان"استعمال حالة الجر المطلق في اللغةالسنسكريتية" [2] وقد درس في جامعة جنيف من 1906 الى 1911.توفي سنة 1913،وأصدر تلامذته محاضراته بعد أن جمعت في كتاب سمي بـ: **"محاضرات في اللسانيات العامة " Cours des Linguistiques générale***،ويعتبر لحد الآن بمثابة دستور اللسانيات المعاصرة .

وقد بلغت اللسانيات درجة من الضبط والدقة، ما أتاح لها أن تحتل مكانة مهمة بين فروع العلوم الأخرى

وأخذت في هدم أسوار مختلف الدراسات التقليدية، سواء ما تعلق منها بدراسة النحو عند اليونان أو فقه اللغة والفينومولوجيا والدراسات المقارنة،رغم تأثير هذه الأخيرة على اللسانيات الحديثة.ليعتبر دي سوسير هكذا مؤسسا للسانيات الحديثة، لذا ارتأينا أنه من غير المنطقي أن ندرس فينومولوجيا اللغة عند ميرلوبونتي ،دون أن نتطرق إلى لسانيات دي سوسير،على اعتبار أن ميرلوبونتي قدحاور الدرس اللساني في تصوره الخاص للغة، كما أن هوسرل ودي سوسير شغلا أهم محاور المحاضرات التي ألقاها ميرلوبونتي في الكوليج دي فرانس College deFrance .

---

(1)- Ferdinand de Saussure, Cours de Linguistique Générale, (Paris: Payot, 1972) ,p 319.

(2)- Larousse, (Paris: libraire Larousse , 1976), article, Saussure.

*لقد فضلنا الاعتماد على كتاب المحاضرات بلغته الأصلية ،وذلك نظرا للاختلاف الموجود بين الترجمات المتنوعة لهذا الكتاب،هذا من جهة ،ومن جهة أخرى ،أردنا التعامل مع المصطلح اللغوي كما حددته لسانيات دي سوسير .

لذا ستكـون إشكـالية اللغـة عنـد هوسـرل واللســانيات عنددي سوسير هما محوريـن في هذا الفصل الأول، انطـلاقا
من إشكاليات جزئية أهمها:كيف نظر هوسرل إلى العلامة اللغوية؟ما العلاقة القائمة بين المنطق والدلالة؟وما المقصـــود
بالقواعد المحضة للغة ؟وكيف تكون العودة للذات المتكلمة؟وأما بالنسبة للسانيات دي سوسير،فنتساءل:كيف نظر إلى ثنائية اللغة والكلام؟مامفهوم العلامة اللغوية أو الدليل اللغوي ؟ماالمقصود بالقيمة اللغوية ؟وما هـو المنهج الـــذي تعتمد عليه اللسانيات في دراستها لموضوعها ؟ .

كل هذه التساؤلات، سنتناولها بالتحليل والمناقشة، متبعين المناهج المحددة سابقا لهذا البحث.

I- هوسرل وإشكالية اللغة

1- مفهوم العلامة والتعبير

تركـز الفلسفة الفينومنولوجية على عـلاقـة الظـواهربالـلـوغوس،**Logos**والـتي تتجسد في رابطة ماهوية،وعلى هذا فإن التصور الهوسرلي للغة وماهيتها ينطلق أساسا من هذه الفكــرة، إضافة إلى أن هذه الفلسفة تتميز بخاصية أساسية وهي أنها فلسفة للحضور، أي الحضور التجريدي للمعاني.

تقـوم اللغة على عدد من العلامات، وما يعمل عليه التعبير بالتحيد هو الربط بين هذه العلامات،واستخدامها من الناحية الوظيفية،انطلاقا من الخبرة أو المعيش Le vécu والمقصود بهذا المعيش هو المعيش الشعوري والأحوال النفسية التي تعيشها الذات، فكل شعور هو شعور بشيء ما .

وعلى هذا يرى هوسرل في تصوره لمفهوم العلامة بأن "كل علامة هي علامة لشيء ما" [1] فإن أردنا تفسير هذا في ضوء التحليل الفينومنولوجي،نقول بأن العلامة تحمل ماهية الشيء عندما يلتقي مع خبرة الذات،وتصبح للعلامة قدرة على أداء المعنى أكثر، عندما ترتبط بصورة مباشرة، بما تعبر عنه ،أو تشير إليه، ذلك أن معناها يكون متضمنا فيها فهو ليس تصورا قبليا على التعبير.

ولكي يتضح لنا ذلك أكثر، يؤكد هوسرل على أنه في عملية التعبير تتعلق العلامــة بأمرين أو بجانبين، فهناك الجانب الفيزيائي من (علامة محسوسة، تركيب صوتي، نطق، علامة مكتوبة على الورق مثلا. .الخ) وعلى العمـوم
كل ماتعلق بالجوانب الفيزيائية المادية،أما الجانب الثاني فيتضمن المجموع الثابت للمعيش النفسي.[2] وهذا هو مايرتبط بالمعنى والدلالة.

ويـرى هوسرل أن العـلامة تتكون أو تحتـوي على مفهـومين همـا التعبير Expression ، وكــذا الإشارة Indique ،وهذا بالمعنى الذي أشرنا إليه من قبل، ذلك أن التعبير هو ما يمثل الجوانب الداخلية للذات المتكـلمة

---

(1)- Edmund Husserl,Recherches Logique, Recherche pour la Phénoménologie et la théorie de la conaissance,T2 , (Paris : Saint Germain,1961), p29 .
(2)- Ibid , p,p 38,39.

أما الإشـارة فهي الشيء الخارجي أو الموضوع، وعلى هذا نجـد أن التعبير ذو طبيعة مفهومية تصورية، في حين أن الإشارة ذات طبيعة مادية.

إلا أن هذا لايعني الفصل التام بينهما، فيؤكد هوسرل على أن المدلول في الخطاب الاتصالي، دائما يوجد في
علاقة مع وظيفة الاشارة ، هذا اضافة الى أن التعبيرات تبسط وظيفتها الدلالية في الحياة النفسية الفردية، حيث لا
يمكن تصورها أكثر من أنها اشارة [1].

وهنا نؤكد أهمية المكانة التي يحتلها الواقع المعيش،في تحليلات هوسرل،أي المعيش النفسي للذات، وذلك لأنه
يرتبط ارتباطا مباشرا بالمعنى أثناء عملية التعبير،وأن الحالات النفسية من أفكار وأهواء وأساليب خاصة التي يتميز
بها الشخص، هي بمثابة معايير أو مبادئ، تتحكم في طبيعة المعنى والكلام والحديث عموما، لذا تزداد أهمية هذا المعيش باعتباره يؤكد حضور المعنى La présence du sens.

إن فكرة الحضور هذه- وهي من أهم مبادىء الفلسفة الفينومنولوجية –انطلق منها جاك دريدا Jaque
Derrida في انتقاده لمفهوم العلامة عند هوسرل ، ذلك أن الحضور الممتلىء للوعي، هو بمثابة مناجاة داخلية
Soliloque[2] أي أن الذات أثناء عملية استحضار المعاني تحدد تلك العلاقة التي توجدمابين التعبير الداخلي والإشارة الخارجية،وهذا ما يسميه دريدا بالصوت الفينومنولوجيle voix phénomène لأن قصدية الذات المتكلمة هي التي تعمل على تحديد المضمون العلامة، وأن هذا الصوت داخلي يحمل معنى مثالي لا يوجد في العالم الخارجي .

إذن فالحضور، هو بمثابة يقين مثالي مطلق للذات الواعية، وهذا ما يمثل حاجزا أو عائقا أمام المعنى الحقيقي لذلك و كأن هوسرل يضع إمكانيات الفكر ضد الفكر ذاته، لأن الحضور فيما يرى دريدا ليس أساسيا ولا فعالا في الاتصال والتطبيق الفعال للغة، لأنه لايكون إلا معارضا لتطبيق التعبير والقول.[3]

---

(1)- Ipid , p30.
(2)- Jaque Derrida, La voix et le phénomène, Introduction au problème de signe dans le Phénoménologie de Husserl (Paris : Saint Germain,1976) p,p 36,36.
(3)- Ipid, p50.

يطرح هوسرل مسألة التعبير في معظم مؤلفاته، فيميز مثلا في عملية التعبير لاكدلالة ومفهوم –كما رأينا مع العلامة- وإنما كقول وخطاب، بين التعبير في حد ذاته وما يعبر عنه حيث ينطلق هوسرل في ذلك مـــن أن التعبير هو أكثر من أن يكون مجرد ظاهرة صوتية، بل يصف أشياء كثيرة ومتنوعة،قد تكون موضوعات مادية أو تمثلات خيال.

أما بالنسبة لإحالة الموضوع أو المحتوى إلى التعبير فليس بالحقيقة المطلقة المباشرة، فمثلا قد يكون الاسم بلا موضوع، وماحضور الموضوع مع هذا الاسم إلا من خلال الحدس الدلالي فالعلاقة مابين الاسم والشيء هي علاقة واعية [1] ولكن رغم هذا لم تتضح لنا بعد طبيعة التعبير، فماالذي يقصده هوسرل إذن؟.

إنني عندما أقول بأن أضلع المثلث تلتقي في نقطة واحدة فإنني هنا أكون قد أطلقت حكما، وأن فعل الحكم
الذي أظهرته هو دلالة القضية اللفظية، أي ماتحمله الألفاظ من معاني أثناء التعبير، وأن ما يحقق لنا المعنى،هو التأكيد
على القيمة الموضوعية للشيء في إطـــار التعبير، ذلك أن أفعال الحكم تختلف[2] ، ويرتبط التعبير ارتباطا ضروريا
بالمعنى القائم على الحدس، لأن لحـــظة الدلالة متضمنة في الحدس. وعلى هذا، فإن اللغة بلا حـــدس، هي بالنتيجة المباشرة محرومة من المعنى، أي حدس الذات المتعالية، وانطلاقا من هذا الارتباط القائم بينهما،تحصل الذات على ماهية الظاهرة، لتقرر حدوث المعنى وذلك على أساس الوعي الكلي به .

وقد تحدث ميرلوبونتي في محاضراته التي ألقاها في الكوليخ دي فرانس،عن هوسرل وكذا سوسير، إذ شغل هوسرل محاور جد هامة من هذه المحاضرات وخصوصا موقفه من اللغة، كالعلاقة بين اللغة وعملية التعبير، لأن اللغة
أصبحت تمثل تشابكا مع العالم والإنســـانية، وتندرج ضمن علاقاتنا سواء بالآخرين أو بالعالم، وهنا تكون اللغة هي
المعبر عن هذه العلاقة، فبفضلها كما يقول "نعرف أن لكل شيء اسم" [3] وهنا نؤكـــــد على مسألة العلاقة بالآخرين من خلال اللغة، وذلك لما في العملية التعبيرية من تعال أو تعد. وهذا ما أكـــــــده هوسرل بالنسبة إلى مسألة حضور
الآخرين في العملية التعبيرية.

(1)- Edmund Husserl, Op. cit, p,p 44,45.
(2)- Ibid, p50.
(3)- Maurice Merleau- Ponty,Résumes de cours, collège de France 1952-1960, (Paris : Gallimard, 1968), p164.

أمـا بالنسبة لعلاقة الدال والمدلول، فإن الأول يجتاز الثاني أثنـاء عملية التعـبير وهذا ما يعطيه سلطة، ويجعله
ممكنا، كما أن وعي الذات المتكلمة يستند في بعض الأحيان على الدال، وذلك انطلاقـــا من كثافته وماديته الصوتية
بهدف تحديد المدلول المقابل له [1] أي الجانب التصوري المفهومي.

وفعـــلا تكون هذه القدرة للدال Signifiant كصوت، ذلك أنه في حالات كثيرة يجد الشخص المتكلم
أنه يفهم معاني كلماته عندما يتلفظ بها ويسمعها، أو حتى بالنسبة للدال على ورقة مثلا، ربما يقرأ ولا يفهم المعنـــى
وهذا ماأكد عليه سارتر عندما رأى أن اللغة بالنسبة للشعراء تختلف بما هي عند عامة الناس، ذلك أن الشاعـــر لايميز بين الكلمة والدلالة فقط، بل يسعى إلى أن تكون القصيدة في قالب منظم، تعطى فيها الأولويـــــة أحيانا للجانب الصوتي المادي.

وبغض النظـر عن جملـة المبادئ والمكونات الجزئية لمفهوم العلامة عند هوسرل يبقـــــى هذا التصور مرتبطا بالمنظور الفينومنولوجي العام. فرغم التطورات الكبيرة التي عرفتها الفينومنولوجيا إلا أن هوسرل بقي وفيا إلى حد ما لجملة المبادئ التي انطلق منها. لنعود إلى الفكـــرة التي تحدثنا عنها من قبل ،وهي اللـــوغوس Logos ذلك أن التعبير يندرج في إطار التصور ذاته وهو الارتباط باللوغوس، إذ يرى هوسرل أن "التعبير شكل بارز يتوافـــق المعنى فيهمع محور فكري ثابت ويتوافق مع سيطرة اللوغوس"[2] .

وليتضح المعنى أكثـر، نؤكـد على أن التعبير عند هوسرل يرتبط بفعل الإدراك والتفكير، فهناك مثلا أقـوال وتعبيرات قد لاتحقق أي معنى، لكن إذا ما ارتبطت كل العمليات من إدراك ،تفكير وتلفظ، فإن هذا مايحقق وحدة التعبير ويكتمل المعنى.

ونستطيع كـذلك أن نقـول بنـاء على مـا تقدم، أن مفهـوم هوسـرل للعـلامة اللغـوية،هـو قائـم أساسا على السيـاق العـام للفلسفة الفينومنـولوجية، و ذلك انطلاقا من أن العـلامة تجسد العلاقة الموجـودة بيـن الـذات الـواعية

(1)- La Philosophie, Les Dictionnaires, savoir moderne -3-, (Paris :1972)article, phénoménologie .
(2)- Edmund Husserl, Idées Directrices pour une phénoménologie,T1 ,Trad. par, Paul Ricœur , (Paris : Gallimard, , 1963), p420.

المتعـالية المفكرة بالموضـوع الماهية، كما أن التعبير لا يقـوم إلا بالارتباط بالعالم على أساس الوعي والإدراك، لتكون اللغة أداة الربط بين الذات المتكلمة واللوغوس.

وإذا كان هذا هو مفهـــوم هوسرل للعلامة، فكيف نظر إلى علاقة اللغة بالمنطق؟ وذلك انطلاقا من الدلالة ومن طبيعة المنطق في حد ذاته.

2- العلاقة بين المنطق واللغة

سعي هوسرل إلى البحث عن الترابط الموجود بين المنطق والدلالة لأنه يوجد في ميدان المنطق المحض، تلك
الوحدات المثالية والتي نسميها عبارات، لذا فإن هذا ما يجعل للمنطق مكانة محددة بين مختلف العلوم الأخرى، ذلك أن هوسرل رأى بأن المحتوى النظري لأي علم، ليس شيئا آخرا غير المحتوى الدلالـــــــي لألفاظه النظرية، بما أن هذه
الألفاظ تحقق وحدته في شكل النظـرية[1] ومن خلال هذا كله،فإذا كانت كل وحـدة نظرية معطــاة هي في ماهيتها وحدة دلالية، وإذا كان المنطق فيما يرى هوسرل ،هو علم الـوحدة النظــرية أو علـم التسمية للفكــر العلمي، يصبح هكذا أن المنطق يرتبط أساسا بالدلالة، لكن أين تكمن طبيعة وقيمة هذا الارتباط ؟.

إن المنطق بمنهجه يميز بين القوانين التي يتأسس عليها بطريقة محضة، وهي كما يـؤكد هوسرل، قوانــين مثالية بالضرورة، لأن التمييز بين هذه القوانين يمكن من معرفة العبارات ذات الموضوع من غيرها وكذا الدلالات الحقيقية من الدلالات الخاطئة، بالاضافة الى تمييز القوانين المحضة للفكر والتي تجسد العلاقة القبلية بين الشكل الأساسي للدلالات وموضوعيتها أو حقيقتها[2] ويتضح لنامن خلال هذاالعرض البسيط أن المنطق يصبح أساساللعلوم من خلال ارتباطه بالدلالة،وتكمن قيمته بالتحديد باعتباره معيارا أو منهجاتحقيقيا يتميز بذلك بنوع من الأولوية النظرية والفكرية وكذا تكمن أهميته من ناحية أخرى في توحيد الحكـم ،باعتبار أن هوسرل قد ميز بيـن المحتوى النفسي والمحتوى المنطقي للتعبير فالقضية الـــواحدة تختلف من شخص لآخر، فلكل واحـد كلماته، أفكـاره وأساليب كلامــه،وحتى لحظـاتـه للفهـم،وفي الأخير معيشه النفسي الخاص.

وإن هذا الاختلاف بين الأشخاص وأفعالهم التعبيرية ليس واردا بالنسبة الى الحكم المنطقي[3] إذا كان منطقيا، ذلك أن القضية لاتحمل من الناحية المنطقية إلا دلالة واحدة انطلاقا من الحكم المنطقي بغض النظر عن الحالة
التي يكون عليها هذا الحكم.

(1)- Edmund Husserl,Recherches Logique,Op. cit, p107.
(2)- Ibid, p108.
(3)- Ibid, p116.

هذا إضافة إلى أن الموضوع أو القضية، عندما نتحدث عنها بشرط أن تحمل دلالة،فأن هذه الدلالة ،في حدذاتهـــا هي موضـوع، فمثلا أن نقول "بسمارك"Bismarck فالمقصود عندما نسمـع هذا اللفظ هو أن بسمـارك، من أكبر رجالات الدولة الألمانية، ويقدم لنا هوسرل مثالا آخر، هو العدد "4" فنميز بين العدد "4"وما يعبر عنه هذا العدد كموضوع، أي دلالته [1].

إن المقصود هنا ليس الأحكام المسبقة وإنما هناك ارتباط منطقي بين العبارة والموضوع أو بين الدلالة واللفظة

وهذا ماسيهتم به ميرلوبونتي فيما بعد،إلا أنه سيعطيه أبعادا أخرى أكثر واقعية ودقة،فإذا كان هذا هو التصور الذي قدمه هوسرل حـــول طبيعة العـلاقة بين المنطـق والدلالة ،من خلال الحكم، فكيف حاول هكذا التأسيس للقـــواعد اللغوية العامة أو النحو المحض Grammaire Pure؟.

(1)- Ibid, P120.

3- القواعد العامة أو المحضة للغة

يرى ميرلوبونتي أن هوسرل مثلما حاول وضع علم نفس ماهوي، يحدد من خلاله ماهيات الظواهر النفسية

فإنه كذلك حاول دراسة ماهية اللغة بهدف تحديد أشكالها الدلالية Les formes signicatifوالتي بدونها لا تكون اللغة لغة [1] لذا فما نؤكد عليه هنا هو أن دراسة اللغة من منظور القواعد المحضة لا يكون إلا انطلاقا من الخاصية الماهوية للغة .

فمثلا نحن كمتحدثين باللغة العربية، إذا أردنا دراسة لغة أجنبية كالفرنسية مثلا، فإننا نتجه في فهم هذه اللغة انطلاقا من لغتنا أي العربية من مقولاتها وقواعدها، لكـن هل هذه القواعد تساعدنا وتمكننا فعلا من فهم تلك اللغة الأجنبية، وتحديد طبيعتها؟ إننا إذا أردنا الوصول إلى معرفـــة حقيقة ماهوية للغة أجنبية، فما علينا إلا أن لا نستعمل المفاهيم والقواعد الموجودة في فكرنا من خلال لغتنا الأصلية، وهذا طبعا حسب التصور الهوسرلي.

إذ يؤكد هوسرل على ضـرورة إخضاع كـل الافتراضات المسبقة والتي تقــوم عليها لغتنا الأصلية إلـى إحــالة Refrence،أي الاستغناء عنهاعلى الرغم من أنه لايمكن للغة من دونها أن تكون لغة [2] وهذا الإجراء هو إحدى المسائل المهمة والأساسية التي قدمها هوسرل في دراسته للغة، فالقواعد العامة أو المحضة هي بمثابة مبادئ لدراسة اللغة وماهيتها، مبعدين في ذلك كل الأحكام القبلية والفروض المسبقة الموجودة في أذهاننا من اللغة المستخدمة.

إن مفهوم هذه القواعد العامة، أصبح في بداية القرن العشرين فيما يرى اللغوي المعاصر رومان جاكوبسون Roman Jakobson عاملا فعالا فيما يتعلق بالخطوات الأولى للسانيات البنيوية عن طريق تركيب فكرة "قواعدعامة و قبلية"* des règles générale et aprior مع "القواعد الأمبريقية" Les règles Ampuriques والتي كانت الوحدة المقبول والمعمول بها آنذاك[3]لكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا حول هذه

---

(1)- Merleau Ponty,Les sciences de l'homme et la phénoménologie,(Paris:Saint Germain,centre de documentations Universitaires, 1975) ,p52.

(2)- Ibidem .

*- تعود فكرة القواعد العامة للغة إلى الرواقيين، ثم المدرسيين والديكارتيين كذلك، ثم جماعة بور روايال وفلاسفة القرن السابع عشر خصوصا جون لوك وكندياك .

(3)- رومان جاكوبسون ، الاتجاهات الأساسية في علم اللغة ،ت،حاكم صالح،ط1،(المغرب: الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، 2000)، ص18.

القواعد المحضة العامة هو معرفة ما إذا كانت هذه القواعـــــد تقوم أساسا على وجهات نظر ذاتية شخصية، وقبل
علمية، حول هذه الأشكال الدلالية، أم على تمثلات إمبريقية؟

ما يهم كنقطـة انطـلاق بالنسبة إلى هوسرل هو ماهية اللـغة، ذلك أن الاتجـــاه إلـى ماهية هذه اللغة، يـؤكد أن الماهية ضرورية لكل لغة ممكنة،ثم بعد ذلك نتجه إلى فهم طرقنا الأصلية للكلام كحالة خاصة تتأسس عليها اللغة الكلية[1] لذلك فهناك ضرورة للإتجاه نحو الكلام باعتبار أن هذا الكلام هو مايبينه الوعي،وأن اللغات الحالية ماهي إلا حالات خاصة جـــدا من الكلام الممكن، وما تعمل عليه هذه القواعد هو تثبيت أشكال المعنى الضرورية لكل كلام.

وهذا من شأنه أن يوضح لنا وضوحا تاما، أن اللغات التجريبية ماهي في الحقيقة إلا تطبيقات مشوشة للكلام الجوهري [2] ، لأن طبيعة اللغة الكلية تظهر في الكلام بما هو فردي ذاتـــي ولأن الذات المتكلمة تتجه إلى ظاهرة اللغة
بقصديتها، وعلى اعتبار أيضا أن الكلام مرتبط بمعيش هذه الذات، وللوصول إلى الـقواعـــــد الأولية، يجب الانطلاق
من ماهية اللغة كما نراها وكما نتكلمها، ومن خلال حديثنا عن الذات المتكلمة نتسـاءل، كيف نظر هوسرل إلى دور
الذات المتكلمة؟ وعن طبيعة الكلام والكلمات ؟.

(1)- Merleau- Ponty, Op.cit, p53.
(2)- ———— , Signes,(Paris :Gallimard librairie,1960), p,p 105,106 .

4- الذات والكلام

إن أساس إشكالية اللغة عند هوسرل هو العودة إلى الذات، أي الـذات المتكلمة انطلاقا من الواقع المعيش
وماله من تأثيرات على هذه الذات وأفكارها وحالاتها النفسية، وإن مايميز الذات المتكلمة تحديدا هو طريقة وأسلوب الكلام النابع من هذا المعيش.

واللغة بطبيعة الحال لاتعتبر كموضوع محدد أو كشيء، وإنما يكون البحث في اللغة بالعودة إلى وجودها، أي
إلى الذات المتكلمـــة وخصوبـة التعبير [1] إذ يرتبط الـــوعي بالكـــلام ويتعدى أحدهما الآخـــر،ويظـهـر هذا الارتباط بوضوح سواء في علاقتي بذاتي،أو علاقتي مع الآخرين،فكيف يكون ذلك ؟.

إن الوعي يحتوي بذاته على لغة داخلية، إذ أن هناك كما أشرنا سابقا حوارا داخليا مساره من ذاتي إلى ذاتي، فمثلا أنا متأكد الآن بأنني أفكر في الفكرة التي فكرت فيها بالأمس، وكما فكرت سابقا فأنا أفكـر الآن، فهناك شبه تطاول أو تعدي لما هو مبني للمجهول على الوجود والعكس[2] وعلى هذا فإن المنظور الفينومنولوجي الهوسرلي
للغة يقوم أساسا على الكلام، إذ أن الذات المتكلمة لا تلتزم بعدد معين من الكلمات ولا بترتيب محدد لها بل انها تقر حقيقة وفكرا شبه كلي، وتجتاز وضعيات لغوية ثابتة .

وإننا أحيانا لا نفهم المعنى إلا عندما نتلفـظ بالكلمات، وفي تلك اللحظة بالذات، نتمكن من تملك المعنى
الحقيقـي المقصود، إذ وعلى ذلك فالـذات المتكلمـة لها قدرة على التعبير والكـلام ولا نتوقف على التفكير بقدر ما ترتبط بقدرتها على خلق وإبداع المعاني، وهنا تجـــــدر بنا الإشارة إلى ذكـــــر ذلك التمييز الذي قدمه هوسرل في "الأبحـاث المنطقية" فيما يتعلـق بالدلالـــة والتعبير أو المعنى المرتبط بالـذات، إذ ميز بين ماسمـــاه "الدلالـة في ذاتهـا" Le Signication en soi و " الدلالة في التعبير" Le Signification en Expression.

(1)- Jean- Pierre Charcosset, Approches Phénoménologique,1ereéd , (France : Hachette, 1981), p27.
(2)- Merleau- Ponty, Résumes de Cours, Op.Cit, p165.

فالمقصود بالدلالة في ذاتها هو أن هناك كلماتا وألفاظا، تقوم على معاني خاصة وثابتة، تظهر دائما من خلال استعمال الكلمة في الدلالات التعبيرية،إذ أن الكلمات ترتبط بمعاني توظفـــها في التعبير وهذا هو المقصود بالدلالة في ذاتــها، أي أن استعمال الذات للكلمات يكون استعمالا عاديا في إطار الوظيفة الدلالية المألوفة .

أما المقصود "بالدلالة في التعبير" فهو أن لا تكون هناك ضرورة ثابتة بين الوحـدات المتتالية التي تجسد وحدة التعبير وكذا الرموز المرتبطة بها فإذا كان المعنى يتميز بالثبات في "الدلالـة في ذاتها" فهو متجدد يتميز بالثراء في "الدلالة في التعبير" لأنه مرتبط بالحياة النفسية للذات المتكلمة وواقع معيشها النفسي.[1]

مايهمنا نحن هو "الدلالة في التعبير" كما حددها هوسرل، وذلك من خلال ارتباطها المباشر بالذات المتكلمة

وهذه الأخيرة بدورها ترتبط بحالات نفسية معينة أثناء عملية التعبير والكلام، وهذه الفكرة بالذات هي ماسيتحدث عنها ميرلوبونتي لاحقاويميز بين "الكلام المتكلم "" Parole parlé"و"الكلام المتكلم" "Parole parlant" وهو ماسنتناوله بالتحليل في مكانه.

إذ يكون المعنى كما رأينا في الحالة الأولى ثابتا في حين مقابل ذلك يكون في الحالة الثانية أكثر ارتباطا بالذات المتكلمة وبمعيشها الذي يأثر على طرق وأساليب الكلام أو إن شأنا نقول يحددها، وقد ارتبطت فكرة ظهور المعنى عند هوسرل بالقصدية L'intentionnalité أي قصدية المعنى لأن المعنى هو مايكمل الالتحام الداخلي للقصد مع الكلمات [2].

ومما تقدم نقول أن التصور الهوسرلي للغة يقوم أساسا على الكلام أو فينومنولوجيا الكلام، فهو منطق الدراسة وذلك لأن هوسرل وجد أن للـكلام قدرات لا يمكن استفادتها، بما هو قـائم على المعاني والدلالات والحركات اللغوية وصـلنا إلى أن الأســاس في معــرفة "اللغة"، هو التـوجه إلى ماهيتها، ولذلك فمــا علينا ببساطة إلا أن نتكـلم ، فلا نستطيع التفكير في اللغة إلا إذا كانت أمامنا،"فمن خلال الذات المتكلمة، أنا أوجد" [3]وهذا ماخلـص إليه ميرلوبونتي

---

(1)- Husserl, Recherches Logique, Op.cit , p122.
(2)- Merleau- Ponty, les sciences de l'homme et la phénoménologie, Op. Cit, p58.
(3)- _____ , Résumes de Cours, Op.Cit ,p59.

من خلال دراسته لموقف هوسرل من اللغة، فهناك قصدية للوعي القائم على حدسية المعنى الذي يجسد علاقة الذات بالمعيش. لتصبح هذه النتيجة المتوصل إليها هي وظيفة للفلسفة ككل، إذ على الفلسفة فيما يرى هوسرل أن تعمل على
بناء القدرة على المعنى وميلاد المعنى،وتعبير عــن الخبرة من خلال الخبرة، والتي توضح بالتدقيق ميدان اللغة[1] وقد أصبح هذا هو المهم الذي شغل فلسفة هوسرل المتأخرة، وإن جملة الأفكــار التي طرحها فيما يتعلق باللغة والكلام، أثرت على فلسفات معاصرة كثيرة منها التأويلية عند غادمير Gadamer وبول ريكور Paul Riceur.

وذلك أن الفلسفة التأويلية كما قدمها قادمير مثلا تقوم على اقتراحات مسبقة لمفاهيم فينومنولوجية فيما يخص اللغة والكلام، وهذا ما أكد عليه بول ريكور ذاته، إذ انطلق من إشكالية الكلام ، فــيرى أن الفلسفة الهيرميوطيقية Hèrmineutique تبدأ من الخاصية اللغوية ومن الكلام [2]. كمــا يظهر لنــا أن تحليل الكنيوية يخضع إلـــى مستوى المنطوق الذي هو مستوى المعاني المنطقية ،القائم على الخطاب والكلام ،المرتبط بنظام الفهم والقصد.وهذا مايؤكد أيضا وجود افتراض ظاهراتي فينومنولوجي مسبق للهيرمنوطيقا، فالتحول من النظام اللغوي العام إلى التجربــة والمعيش النفسي والتي تظهر في اللفظ والكلام بدورها تؤكد هذا الافتراض.

إذن وبعد حديثنا عن أهم عناصر إشكالية اللغة عند هوسرل في إطار المنظور الفينومنولوجي للغة نحـــاول دراسة موقف علم اللغة مجسدا في لسانيات سوسير وهذا في القسم الثاني من هذا الفصل .

(1)- Merleau-Ponty, Le Visible et L'invisible, (Paris : Gallimard, 1964),p203.

(2)- بول ريكور، من النص إلى الفعل،ت،حسن برادة،ط1،(القاهرة:2001)، ص47.

II – دي سوسير واللسانيات

1- اللغة والكلام

تقوم لسانيات دي سوسير على جملة من المبادئ والثنائيات ولعل أهمها هي ثنائية اللغة والكلام، ولذا يجدر بنا أن نشير إلى أن دي سوسير ميز بين اللغة Langage و اللسان langueوالكلام Parole لنحاول حسب المفهوم السويسري، تحديد المعنى الدقيق لهذه المصطلحات الثلاثة.

يرى دي سوسيرأن للغة جانبين أحدهما اجتماعي والآخر فردي،إذ يمثل اللسان الجانب الاجتماعي لأنه نظام متعارف عليه داخل الجماعة،كأن نقول مثلا: اللسان العربي،اللسان الفرنسي...الخ أما ما يمثل الجانب الفردي منها فهو الكلام ،وذلك من خلال الاستعمال الفردي للسان،ولكن كيف تقوم العلاقة بين اللغة- لسان واللسان- كلام ؟

يؤكد دي سوسير في تحديده لطبيعة اللغة بأنها تحتوي أولا على نظام ثابت هو اللسان،و هي ثانيا تحمل جوانب تطورية،وهي ما تتعلق بتاريخ هذا اللسان،إذن في اللغة جانب ثابت يمثله اللسان،وآخر متغير يمثل تاريخ هذا اللسان[1]ذلك أن اللغة من حيث هي أشكال مختلفة تنتج عن المملكة اللغوية تظهر،على نظام ثابت هو اللسان هذا من جهة ،ومن جهة أخرى ،هناك تاريخ لهذا النظام ألا وهو الكلام ،ويظهر ذلك فعلا أثناء عملية التكلم ،فالمتكلم يستخدم لسانا معنيا للحديث وذلك وفق طريقة معينة هو ممتلكها.

ومن هنا تظهر لنا العلاقة الموجودة مابين اللغة واللسان فهو حاصل اجتماعي لملكة اللغة أو اتفاق يتبناه كل الجسم الاجتماعي كما أن اللغة ترتبط بميادين مختلفة اجتماعية وفردية فيزيائية ونفسية، واللسان يمكن التمييز فيه بين أنواع مختلفة أو هو كما يؤكد على ذلك دي سويسر مبدأ تصنيفي[2]وعلى الرغم من أن اللسان هو جزء ثابت محدد من اللغة إلا أنه مع دي سوسير يصبح هذا الجزء أهم من الكل ليحتل المكانة الأولى في الدراسة اللسانيةفثنائية اللسان والكلام ترتبطمباشرة بموضوع الدراسة اللسانية .

(1)- Ferdinand de Saussure, Op. Cit, p24.
(2)- Ibid, p25.

فكما أن اللسان هو الجانب الاجتماعي من اللغة ،وأن الكلام هو الجانب الفردي منها، فإن اللسان هو الموضوعـــي والكلام هو الذاتي [1]وذلك نستطيع التكلم عن لسان معين كما نستطيع تحديده، في حين أن الكلام لا يليق بالدراسة العلمية لاختلاف الأفراد في طرق كلامهم .

إذ يكـون الكـلام بالنسبـة لـدي سوسير ثانـويا أمـام اللسان، كما أن الكـلام لا يكـون من اهتمامات الألسني إلى درجة أن لغة الكلام والتي تظهر مع الأفراد في استعمالهم اللسان،ماهي إلا ملكة تجسيد أو تحقيق لسان ما.والمقصود من هذا هو تحقيق نظام من العلامات المتميزة وأفكار متميزة.[2]وما يظهر لنـا من خـلال هذا التمييز الصريـح مابين اللسان والكـلام هو أن اللسانيات كماحددها دي سوسير، لاتهتم إلا بدراسة ماهو مرتبـط باللغة كنظام،أي ما يوجد داخل اللغة ذاتها باعتبـارأن دي سوسيرأكد أن هذااللسان يحتل المكانة الأولى في الدراسة العلمية اللسانية.

وعلى هذا تصبح اللسانيات دراسة علمية للغة ،مـقابل ماسعت إليه فينومنولوجياهوسرل وهو اتخاذ الكلام
كميدان أساسي للدراسة،كمـا رأينا انطلاقا من دور الذات المتكلمة، فإذا كان هوسرل يتجه إلى ماهية اللغة انطلاقا من الكلام فإن أب اللسانيات الحديثة لايهتم إلا بما هو قابل للدراسة العلمية أي اللسان، وذلك باعتبار أن ماتؤكـده اللسانيات هو أن اللسان ليس من وظيفة الذات، وإنما هو المادة التي تستخدمها أثناء الكلام .

إلا أن هذا الفصل بين اللسان والكلام كان محل إنتقاد من قبل اللغوي المعاصر رومان جاكسبون Roman Jakobson الذي رفض موقف دي سوسير، المتمثل في استحالة معرفة الكل الشامل للكـــلام،فهو يرى أن تحـديد السان بوصفه الجانب الاجتماعـــي من اللغة والخارجـــي بالنسبة للذوات المتكلمة مقابل الكلام، لايعني ذلك وجـــود شفرة شخصية تزيل الانقطاع الزمني لأحداث الكلام المفردة،لأن دي سوسيرلم يأخذ في الحساب طبيعة"دورة الكلام" الاجتماعية والتي تدل ضمنا على اشتراك فردين على الأقل[3].

---

(1)- Manfred Bierwish, Modern Linguistiques, its develepement méthode and problèmes,(Paris : Monton,1971), p,p16,17.
(2)- Ferdinand de Saussure, Op.Cit, p26.

(3)- رومان جاكوبسون،مرجع سابق،ص32.

فالمقصود من هذا هو التأكيد المطلق والكلي على أسبقية اللسان يلغي دور الذات المتكلمة في اللسان في حد ذاته، على اعتبار أن وسط الذوات المتكلمة ،هو الذي تتحقق فيه اللغـة واللسان، وهـي فكـرة أكـــد عليها معظم اللغويين فيما بعد بتطـور الأبحاث اللغـوية .

ويبقى المهم هو ماأكـــــد عليه دي سوسير من أن اللســان هو موضوع اللسانيات بنظرة علمية ولامجال فيها للحديث عن الذات المتكلمة، ذلك أن "الموضوع الوحيد والحقيقي للسانيات هو اللغة منظورا إليها في ذاتها ولذاتها"[1]

ولكن مالذي يتضمنه هذا الموضوع بالتحديد؟إن هذا الموضوع لايتضمن لغة الأدب في تاريخ الكلمات، أو ماتتضمنه
الاستعمالات اللغويـة من اعتبارات نفسية أو اجتماعية، إنما الدراسة العلمية للسان في حـــد ذاته[2] أي كل ماتعلق بالناحية الداخلية على حساب الناحية الخارجية .

لذا فقد اعتبر هذا الموقف في فترة معينة، وبأسلوب معين بمثابة ثورة في تاريخ علم اللغة ذلك أن علماء اللغة وعلى مرور القرون انصبوا علـــى دراسة اللغات في تطورها،ثم مقارنتها مع غيرها من اللغات سواء من العائلة اللغوية نفسها، أومن عائلات لغوية أخرى، إلى أن جاء دي سوسير وأكـــد على دراسة اللغة دراسة آنية وصفية أي دراسة اللغة في حد ذاتها،باعتبارها نظاما لغويا.

وهذا مايحيلنا إلى الحديث عن فكرة أخرى مهمة جدا في لسانيات دي سوسير وهي العناصر الداخلية والعناصر الخارجية للغة. أو ما يسمى باللسانيـات الداخلية واللسانيات الخارجية éléments internes et éléments externes, أما الخـــارجية منهـا،فهي ما يربـــط اللـسانيـــات كـدراسة علـمية بغيرها مـــن الميـــادين المعرفية المختلفة، كعلاقة اللسانيات بالاثنولوجيا Ethnologie* كما ترتبط أيضا بالتاريخ السياسي ** كـما أن لها علاقة بمؤسسات مختلفة كالمساجد والمدارس،وكذا بالامتداد الجغرافي للغات و اللهجات[3] .

(1)- Ibid, p317.

(2)- René Amacker,Linguistique Saussurienne, (Genève ,libertaire droz,1975),p31.

* الاثنولوجيا هي علم دراسة السلالات البشرية وحضاراتها، وهي ترتبط بالتاريخ والأنتروبولوجيا.

** والمقصود أن مظاهر الاستعمار لها تأثير على ظهور اللغات، مثلما حدث في الجزائر، أي انتشار اللغة الفرنسية في أوساط المجتمع الجزائري.

(3)- Ferdinand de Saussure, Op. Cit, p.p 40.41.

وقد أعطى دي سوسير أهمية بالغة لهذه اللسانيات الخارجية، وأكـد على أنها ذات فائدة معرفية كبيرة ويمكن أن تقـدم إسهامات مـهمـة في ميدان الـدراسة اللسانيـة، إذ لا يمكن بدونها أن تقـوم اللسانيات الداخلية.إن موضـــوع اللسانيات الداخلية محـدد وثابت وهو أن " اللسان نظام لا يعرف إلا نظامه الخاص" [1] " La langue est un system qui ne connaît que son ordre propre"ولكي يوضح لنا دي سوسير أكثـر ما يقصده باللسانيات الخارجية واللسانيات الداخلية،إضافة إلى فكرة مهمة وهي التأكيـــد على أهمية اللســـانيات الداخلية، يقارن بين اللسان ولعبة الشطرنج،حيث يسهل علينا التمييز بين ما هو داخلـــي وما هو خارجي ،فكيف يكون ذلك؟.

إننا إذاعوضناقطع الخشب بقطع عاجية، فإن هذاالتغيير لن يؤثر على نظام اللعبة، لكن إذا نقصنا عدد القطع أو زاد، فإن هذا التغيير يمس بعمق قواعد اللعبة[2] وعلى هذا فإن قيمة العناصر اللغوية تشبه قيمة قطع لعبة الشطرنج

ذلك أن لكل قطعة قيمة خاصة، مقابل القطع الأخرى من خلال علاقتنا بها، فكل عنصر من العناصر أو الوحدات اللغوية لايؤخذ قيمته إلا في علاقته بالوحدات الأخرى، أي مايرمز إليه داخل اللغة أو النظام .

ولذلك أصبحت فكرة "نظامية اللغة" المبدأ الأساسي الذي تقوم عليه لسانيات دي سوسير، إذ أن هذا النظام ينظر إليه نـظرة داخلية، فهـو مجمـوعة من العناصر اللغوية ،بحيث ترتبط فيما بينها ارتباطـا وثيقا، ولا يمكـن تحديد قيمة أي عنصر إلا من خلال علاقته بالعناصر الأخرى .

وقد كان لهذه الفكرة تأثير كبير على البنيويين عموما، لأنهم أكدوا على فكرة "البنية"La structure
بالمعنى نفسه الذي قدمه دي سوسير للنظام، ومن أهمهم نجد : لوفي ستروس Lévi stross في الأنتروبولوجيا
وجاك لاكـــان Jaque Lacan في التحليل النفسي،وكـذا رولان بــارث Rolan Barth ، في النـــقد الأدبـــي وغيرهم كثير .

(1)- Ibid ,p43.
(3)-
Ibidem .

2- العلامة اللغـــــوية Le Signe Linguistique

إنطلق دي سوسير في تحديده لطبيعة العلامة أو الدليل اللغوي، من نقده أو اعتراضـــه علىالتصور الـذي كان سائدا حولها،إذ كان اعتقاد الناس قائما على أن الألفاظ ما هي إلا ألقاب لمسميات،أي أن لكل شيء اسم يـدل عليه، وهكذا يكون لدينا ببساطة سلسلة من الألفاظ تقابلها سلسلة من الأشياء،لكن دي سوسير رفض هذا التصور وقدم مفهوما جديدا للعلامة فما هو ؟.

يرتكـز هذا المفهـوم على أن العلامة اللغوية أو الدليل اللغوي ما هي إلا تلك الـوحدة التي تجمع بين تصور وصورة أكوستيكية* [1] Image Acaustique ليصبح لدينا تقابل بين اللسان كمنطق تقديري باطني، وكـل الظواهر المادية الكلامية، ولعل الشكل الآتي يوضح لنا العلامة كما دي سوسير :

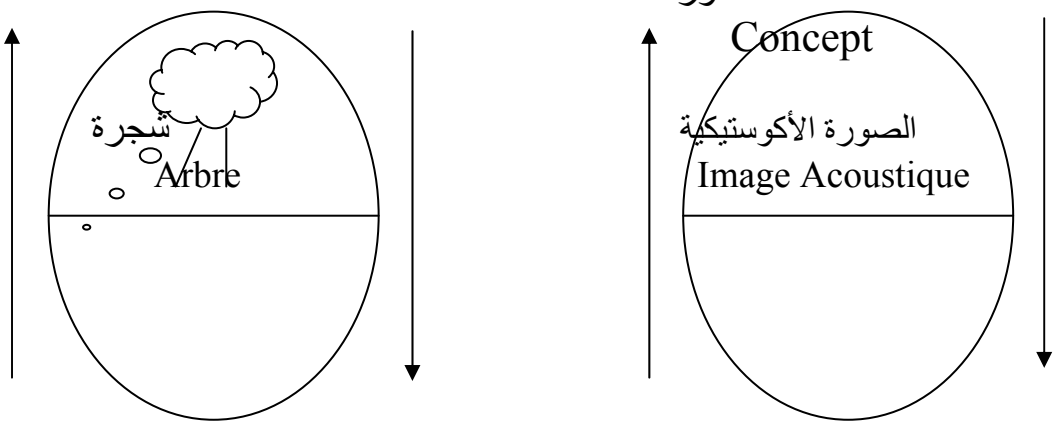

نلاحظ هنا أن التصور(المفهوم) هو الشجرة،في حين أن الصورة الأكوستيكية هي لفظ الشجرة،ولكن باعتباره حالة نفسية، ويقتـــرح علينا دي سوسير استعمال كلمة "علامة" Signe للتدليل على المجموع، واستبدال المفهـوم والصـورة الأكـوستيكية ب: "المدلول" Signifié و"الدال"Signifiant،يظـهر لنـا بـوضوح تصور دي سوسير للسان،فهو نظام يقوم على سلسلة مترابطة من العلامات،لتصبح كل علامة هي وحدة بين تصوروصورة صوتية(سمعية).

*- إن مصطلح" الصورة الأكوستيكية " قد حـدده دي سوسير مقابل المدلـول، فليست هي الصوت المـادي الفيزيائي، وإنما هي الجانب النفسي، ويظـهر هذا الجـانب عندما نفكـر في لغتنا الخاصة كأن نقول "كتاب" فالصورة الأكوستيكية هي ما يحصل من الحالة النفسية عند سماعنا لهذه الكلمة.

(1)- Ibid ,p98.
(2)- Ibid ,p99.

إن الـعلامة اللغـوية حسب التمييز السابـق،تتميـز بخاصيتين أو رابطتين همـا،أولا الخـاصية الاعتباطية للـدليـل
L'arbitraire du signe فيما أن" العلامـة هي المجموع الكلـــي بين الدال والمدلول،نقول ببساطة أن الدليل اللغوي اعتباطي" [1].

والمقصود بالتحديد هو أن العلاقة التي تجمع بين الدال والمدلول ليسن إلزامية، فمثلا إن كنت أقول "الحصان" للحديث عن حيوان معين، فإن العلاقـة بين الكـلمة والحيـوان كموجود خارجـي هي عـلاقة اعتباطية، إذ يمكنني أن أشير إلى هذا الحيوان بكلمة أخرى إذا أردت ذلك، وكون الكلمة تدل على هذا الحيوان بالذات، إنما هو تعارف بين الناس.

بل إن مايؤكد عليه دي سوسير هنا،هو أن اللغة هي التي تقيم تلك العلاقة الاعتباطية بين دوال من اختيـارها ومدلولات من اختيارها كذلك،إن الفكرة الأساسية التي تميز هذا المـبدأ الاعتباطي هو أن الـدال لايكون تحت تصرف أو اختيار الذات المتكلمة.ليبقى هذا المبدأ حسب دي سوسير يمكن أن يكشف حقيقة كبيرة إذا ماوضع في المكانة التي يستحقها [2].

ومما سبق ذكره نقول بأن اللغة هي التي تقدم مجموعات العلامات، لأنها ليست سجلا أو قائمة من الأسمـــاء يقدر ماتعمل على تنظيم العالم في تصورات ومقولات ذهنية بطريـقة اعتباطية، فإذا كان المبدأ أو الخاصية الاعتبـاطية
يمتاز بهذه الأهمية، فماذا نقول عن المبدأ الثاني والذي سماه دي سوسير بالمبدأ الخطي Linéaire أو الخـاصية
الخطية للعلامة اللغوية ؟.

تتلخص هذه الخاصية في أن الدال ذو طبيعـة سمعية Auditive إذ أنه يجري في الـزمن يحقـق امتدادا وأن هذا الامتداد يمكننا قياسه حسب بعد واحد هو الخـــط [3] وأن هذه الخاصية تنطبق على كل الألفاظ مما من
شأنه أن ينشئ طبيعة تلاحقيه تواصلية في السلسلة الكلامية .

(1)- Ibid, p100.
(2)- Ibid, p.p 100.101.
(3)- Ibid, p103.

لنصل إلى تقرير أن الخاصيتين الاعتباطية والخطية للعلامة اللغوية، من أهم مميزات النظـام اللغوي في الدراسة العلمية عند دي سوسير،وان دراسة العـلامـة ترتبـط بما سمـاه

دي سوسير بالسيميولوجيا La Sémiologie* ذلك أنه إذا كانت اللسانيات كما أرادها مؤسسها هي الدراسة العلمية للغة الانسانية- لمـــا ترتبط به من معارف وعلوم كعلم الاجتماع والتحليل النفسي ودراسة الأساطير. . وتهتم بأساليب علامات خاصة،فإن علم السيميولوجيا
يهتم بدراسة أساليب الاتصال حتى غير اللسانية [1].

لقد تنبأ دي سوسير بظهور علم السيميولوجيا، واعتبر أن اللسانيات ماهي إلا جزء من هـذا العلم العام وأن مهمة الألسني Le linguiste تكون إذن تحديد مايميز اللسان كنظام خاص ضمن مجموع الوقائع السيميولوجية [2] وبالنسبة لجملة القوانين التي تكشفها السيميولوجيا فإنها تطبق على اللسانيات، وقد ارتبطت السيميولوجيا فيما بعد بعلم النفس أشد الارتباط.

كما عرفت جملة من التطورات المهمة جدا،على يد الكثير من علماء اللغة من أمثال بيسانس Buyssens
في كتابه **"اللغات والخطاب" Les Langues et le discoure** وكذا بريتو Brieto في كتابه **"السيميولوجيا" La Sémiologie** وكذا أندريه مارتيني André Martinet في كتابه **"اللغة" Langage** [3] و غيرهم من العلماء واللغويين.

وبناء على ما ذكرناه، نصل إلى أن التصور الذي قدمه دي سوسير للدليل أو العلامـــة اللغوية، بما يحمله من جدية البحث اللساني العلمي،قد أحدث جملة من التغييرات الجذرية في المفاهيم السائدة،وجعل اللغويين يتجهون نحو أبحاث لم تكن موجودة من قبل، فظهرت بذلك ميادين لغوية جديدة.

---

*)- السيميولوجيا هي علم دراسة حياة العلامات وتكونها أمام السيمنطيقا، فهي علم دلالة المعاني.

(1)- Christian Baylon, Introduction à la Linguistique, (Paris:Nathan ,édition ferman ,1975) , p03.
(2)- Ferdinand de Saussure,Op.Cit,p33.
(3)- Réne Amacker,Op.Cit,p.p 37.38.

3- القيمة اللغوية La Valeure Linguistique

أكد لنا دي سوسير أن اللسان هو نظام من العلامات، التي تقوم على الأفكار والأصوات، فاللسان لا يعمل
على خلق وسط صوتي للتعبير عن هذه الأفكار ولكن يكون كوسيط بين الفكرة والصوت، وحول هذه الفكرة يقول:
"يمكن مقارنة اللسان بورقة: الفكر وجهها والصوت قفاها،فلا يمكن أن نقطع الوجه دون أن نقطع في الوقت نفسه القفا
كذلك بالنسبة للسان لايمكن عزل الصوت ولا الفكر"[1] وعلى ذلك فإن الوحدة مابين الصوت والفكر،تمثل قيمة معينة يسميها دي سوسير بالقيمة اللغوية، وهـي تتميز بمظهرين أحدهما تصوري مفهومي، والآخر مادي صوتي، فما المقصود بهما ؟.

أما المظـهر التصوري المفـهومـي فيبقى مرتبطا بالمفهوم السوسيري للنظام اللغوي، ومايحمله من عناصر لغويـة فكل عنصر تقوم قيمته على مايرتبط به مع غيره من العناصر، ويمكننا تحديد هذه القيمة انطلاقا من :
شيء مختلف نقابله مع ماتحدده القيمة، أو من خلال أشياء متشابهة عندما نقارنها بما تكون عليه القيمة[2] فمثلا لكي
نعرف قيمة بعض النقود الجزائرية فما علينا إلا أن نقابلها بقيمة أخرى لشيء مختلف "كـتاب" مثلا، وهنا يمكننا معرفة
قيمة هذه النقود بما يختلف عنها، هذا من جهة الشيء المختلف، أما من جهة الشيء المشابه، فإننا نقارنها بشـــيء آخر من النظام نفسه، أي بعملة أخرى كالنقود الفرنسية مثلا.

والمعنى نفسه بالنسبة للكلمات، فقيمة كلمة "طـاولة" تظهر بمقابلتها بكلمة "سيـارة" مثلا، وهذا من ناحية الكلمة المختلفة،أما من ناحية الكلمة المتشابهة،فإن قيمة الكلمة ذاتها في العربية مثلا تتحدد بجملة أشياءها المتشابهة والتي تحقق معناها،أي قيمة سيارة بالنسبة إلى أخرى.هذا عن المظهر المفهومي مظهـر المادي للقيمة اللغوية فهو على الطبيـعة نفسها، وذلـك مـن نـاحية علاقـات التشابه والاختلاف بين عنـاصر النظـام اللـغـوي.وهـو ما يشبه إلى حد ما الطباق و الجناس في البلاغة و الأدب العربي من ناحية التشابه و الاختلاف بين الكلمات .

(1)- Ferdinand de Saussure, Op., Cit, p157.
(2)- Ibid, p159.

إن ما يهم في الكلـمة ليس الصـوت في حد ذاته، وإنما ما يسمح بتمييز كلمة عن غيرها حقا، إن الصوت هو
ما يظهر في الدلالة، فقد ميز دي سوسير الأصوات ككيانات خاصة متعارضة[1] وذلك أن قيمة الورقة النقدية،لا تتحدد
بما هي صورة مرسومة، ولا بما ترتبط من حدود سياسية، كذلك فإن الـدال ليس صوتا في ماهيته، لأنـه لا يتأسس بجوهره المادي، ولكن بالاختلافات التي تميز صورته الأكوستيكية عن غيره [2].

ونود التأكيد على أن دي سوسير، نظرا إلى الجوانب الصوتية على أنها ليست من ميدان اللسانيات، ولا تدرسها إلا في إطـار الاهتمامات الثانـوية، لـذا فإن اللسان كنظـام لـغوي لايحتوي على أفكار وأصوات، وإنما يحتـوي على اختلافات مفهومية وأخرى صوتية، فهو إذن سلسلة من الاختلافات بين الأفكار والأصوات.

هذا وبعـد أن تحدثنا عـن مفـهـوم القيمة اللـغـويـة بمظـهريها التصـوري والمــادي، سنتحدث عن ماسمـاه دي سوسير باللسانيات الآنية واللسانيات التطورية، كميدانين مختلفين للدراسة اللغوية بمنهجين مختلفين،فما المقصود بهـما؟
وهل يمكن أن نتصور أن هناك تقاربا بينهما ؟ .

(1)- Jean- louis duchet, La phonologie,éd n°4 , (Paris : Caint-Germain , 1995), p17.
(2)- Ferdinand de Saussure,Op.Cit, p164.

4- اللسانيات الآنية واللسانيات التطورية Linguistique statique et Linguistique évolutive

يعتبر هذين المبدأين من أهم المبادئ التي تقوم عليها لسانيات دي سوسير، وذلك من خلال إعطاء الأولوية
في الدراسة للآنية على التطور، وتسمى أيضـــا باللسانيات الوصفية واللسانيات التاريخية، وتزداد أهميتها من خلال الارتباط المباشر بموضوع ومنهج الدراسة.

فاللسانيات الآنية الوصفية، تدرس اللغة باعتبارها نقطة محددة في الزمن، أما التطورية التاريخية، فإنها تهتم
بدراسة تاريخ اللغة[1] وهذا يعني أن اللسانيات الآنية تدرس اللغة باعتبارها نظاما من العلامات، أي دراسة اللسان في حد ذاته، في حين أن اللسانيات التطورية فتدرس اللغة من ناحية تطورها التاريخي، وتتناول موضوعات متنوعة مثل ظهور لغات أو اختفاء أخرى.

وقد أعطى دي سوسير اهتماما كبيرا للميدانين معا ورغم أن اللسانيات الآنية هي الأكثر ارتباطا بالموضوع المحدد الثابت للسانيات، إلا أن اللسانيات التطورية تساعد كثيـــرا على الدراسة الآنية لنظام لغوي معين، وقد حدد دي سوسير الميدان الحقيقي لكل من هذين المنهجين،إذ يرى بأن "التحدث عن لسانيات آنية ولسانيات تطورية،يعني أن
السانكروني Synchronique هو مايرتبط بالجانب الثابت في علمنا، والدياكروني Diachronique يبحث
في كل ماهو تطوري [2] .

لذا نجد أن كل ماهو دياكروني تاريخي لايرتبط إلا بماهو كلام والذي تقوم فيه كل أنواع التعبيرات، وقد قدم
دي سوسير بعض الأمثلة التوضيحية، فمثلا في الألمانية الحديثة نجد : (ich war) بينما نجد في الألمانية القديمـــة
حتى القرن السادس عشـــر 16 كانت (ich was) يتساءل دي سوسير حول طبيعة ومصدر هذا التغيير من :
War إلى Was؟[3] ويرى أن ذلك من فعل الكلام، لأنه من خلال فعل الكلام نرفض أو نقبل الأشكال من خلال
الاتصال، حتى تصبح واقعية لسانية، وهذا المثال يوضح لنا الدراستين معا.

(1)- Manfred Bierwish, Op.Cit, p03.
2)- Ferdinand de Saussure, Op.Cit, (p117.
(3)- Ibid,p138.

فالدراسة التاريخية تهتم كما أشرنا بظهور إختفاء الكلمات مثلا في حين تدرس الآنية الكلمة في لحظتها الآنية بغض النظر عن تاريخها،أي الكلمة في حد ذاتها.وسنقدم الآن مخططا وصفه دي سوسير في كتابه Cours de Linguistique Générale، يوضح في طبيعة الدراسات اللسانية :

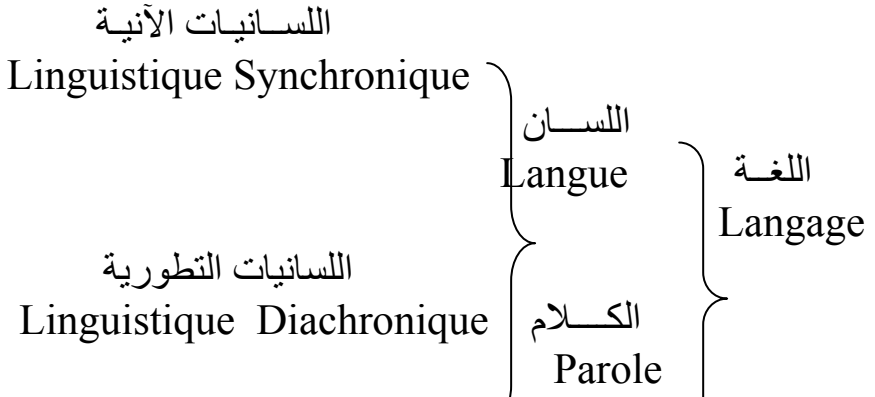

ويظهر لنا بوضوح كيف يخرج دي سوسير الكلام من ميدان الدراسة العلمية اللسانية،ليبقــى اللسان هو الموضوع الوحيد والأوحد، وهذا لايعني أن الدراستين تتميزان تميزا مطلقا، بل إن اللسانيات الآنية في دراستها لنظام لغــة مـا تعتمد على ماتقدمه اللسانيات التاريخية من معلومات عن تاريخ هذه اللغة[1]ومع ذلك يبقى كل منهما يتميـز بميـدان دراسة خاصة، باعتبار أن اللسانيات الآنية تهتم بجملة علاقات منطقيـة ونفسية تكـون النظـام، أمـا التـاريخيـة فتهتم بالتحولات التي تطرأ على اللغة عبر مراحل زمنيةمتعاقبة، لتبقى اللسانيات الآنية هي أساس لسانيات دي سوسير.

وبناء على ماذكرناه نصل إلى أن لسانيات دي سوسير والتي تقوم على جملـــة من الثنائيات من أهمها اللغة والكلام، الدال والمدلول، الآنية والتاريخية. كانت ولاتزال حدثا كبيرا في تاريخ علم اللغة، ودي سوسير بحق هو أب اللسانيات الحديثة نظرا لما أحدثته أفكاره من تغيير في الجهاز المفاهيمي الذي كان سائدا عند اللغويين، فإننا نجـــد

(1)- Ibid, p139.

تأثيره جلي المعـالم على جملـة مـن المـدارس اللـغوية المعاصرة والعلمـاء واللـغويين الكـبار،فقد أثـر عـلى مدرسة بـراغ Cercle de Prague 1928 ومـدرسة كوبنهـاجـن Glossematique 1931 وعـلى جـملـة مـن الألسنيين ومن أهمهم أندري مارتيني André Martinetمرورا بإميل بنفست Imill Benfiniste الى الأمريكي ليونارد بلومفيلد Leonard blomfield .[1] وقد امتدت كذلك أفكـاره إلـى البنيويين الفرنسيـين وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

كما يرى رينيه أماكير Renè Amacker أن لسانيات دي سوسير هي فكر علمي بالمعنـــى الدقيق أي أنها تنظيم أسلوبي في مجموع معرفي حسب استدلال منظم منطقيا داخل إطار نظـري بطبيعة نظرية استنباطية [2]

لذا أصبحت هذه اللسانيات تغطي كلية اللسانيات العامة اليوم،إلا أن هذا لايعني أن دي سوسير قد سلم من الانتقادات
فقد اعترض ميرلوبونتي على التمييز المطلق من لغويات اللسان ولغويات الكلام، إذ لم يدرك دي سوسير أنه مقابل هذا اللسان يوجدركام من أحداث الكلام، والتي تظهر في كل لحظة نظاما وأسلوبا وكلية، فكل جملة تدرسها الدراسة الطولية هي لحظة حية من لحظات الكلام، فكل ماض هو حاضر يتجه نحو المستقبل[3].

إن اللسانيات الآنية تعتبر أن كل كلمة ضمن شكل اللسان هي منفصلة عن تاريخها، لتظهر لنا اللغة هكذا وكأنها سلسلة من المعاني المنفصلة وتكون هذه اللغة فيما يرى ميرلوبونتي بالنسبة لنا كسجن، وغير جديرة بأي توضيح
كما تحدث ميرلوبونتي عن لسانيات دي سوسير في كتاب **"المرئي واللامرئي" Le visible et l'invisible** إذ يقول"ليس المعنى مثل الزبدة فوق الكعكة..بل إنه مجموع ماقيل،إنه ما يميز القناة الصوتية وإنه معطى من الكلمات . . . وبالتالي فإن المشهد الحقيقي يحتاج بواسطة الكلمات"[4].

هذا وبعد أن قدمنا جملة الإشكاليات المطروحة حول اللغة، عند كل من هوسرل ودي سوسير،يظهر لنا
موقفين متقابلين في دراسة اللغة الإنسانية، فهوسرل يمثل المنظور الذاتي الإنساني، في حين يمثل دي سوسير وجهة النظر

(1)- René Amacker , Op.Cit, p09.
(2)- Ibid, p11.
(3)- Merleau- Ponty,La prose du monde, (paris :édition Gallimard, 1969), p.p34.34.
(4)- Merleau- Ponty,Le Visible et L'invisible, Op.Cit, p203.

العلمية، ولكن رغم ملاحظناه من اختلاف، ألا يكون هناك نوع من التقارب بينهما؟.

ذلك أن هوسرل يبدو قريبا من دي سوسير،وأن مايسميه هوسرل بفينومنولوجيا اللغة يلتقي في مجال أو آخر
بما بحث فيه دي سوسير، ليبقى الهدف هو دراسة اللغة، إلا أنه رغم ذلك فإن الفينومنولوجيا تهتم بالوعي، الذات والكلام مقابل ماتسعى إليه اللسانيات من لغة، نظام ولسان في إطار علمي.

الفصل الثاني

تمهيـــد

اعتبر الفلاسفة والمفكرون أن اللحظة الديكارتية، تمثل بالتحديد مولد الذاتية باعتبار أنها حددت المعالم الكبرى لسمات الفلسفة الحديثة انطلاقا من العقلانية، الذات المفكرة ومبدأ الشك المنهجي في العالم.

فقد اعتبر ديكارت أن الذات هي مدركة الأشياء، وبالتالي وصل إلى أن المعرفة توجد في ذاتي [1] وإن هذه الأولوية التي تتميز بها الذات المفكرة كانت بمثابة أفق فلسفي تبنته فلسفات كثيرة، فالفينومنولوجيا كمذهب فلسفي

تمثل ضربا من ضروب الذاتية فقد كتب هوسرل تأملاته على منوال التأملات الديكارتية، إلا أن ماوجهته الفينومنولوجية الهوسرلية من نقد للعقلانية الديكارتية هو وقوعها في النزعة النفسية، فقد ميز هوسرل بين الأنا النفسي والأنا الترنسندنتاليtranscendantalمن خلال وضع العالم بين قوسين،والشك في العالم من خلال الإحالة و الايبوخيا.

لذلك نجد أن هوسرل ذاته يؤكد على أن الفينومنولوجيا،ليست نظرية تمثل الظواهر الواقعية للعالم،ولكن الظواهر ذاتها تخضع لإحالات ترنسندنتالية [2] فإذا كانت المثالية النقدية الكانطية،ترى أنه لايمكننا الوصول إلى معرفة الأشياء في ذاتها،فإن الفينومنولوجيا مقابل ذلك ونقدا للذات المفكرة الديكارتية ترى حسب هوسرل ضرورة التأكيد على دور ذات ترنسندنتالية متعالية، من خلال كوجيتو Cogito ترنسندتالي يعيد تأسيس القول الفلسفي والتنظير

لمعرفة أكون فيها أنا كذات، مانح المعنى للعالم ،باعتبار أن كل وعي هو وعي بشيء ما.

كما أخذت فينومنولوجيا هوسرل على عاتقها، إعادة تأسيس المعرفة العلمية ضد فلسفات تجريبية وضعية -التي تنطلق من الوقائع التجريبية المحضة كأساس- من خلال الأنا الترنسندنتالي L'ego transcendantalلكن هذا المنطلق هو مارفضه بعض أتباع هوسرل، فلماذا ؟ ان الفينومنولوجيا تصبح هكذا، وببساطة مجرد مثالية مناهضة للواقع.

لذا يعد ميرلوبونتي من أكبر الفينومنولوجيين. إذ سعى لربط الفينومنولوجيا بالواقع، في محاولة منه لتقييم حصيلة

---

(1)- Descartes, les principes de la philosophie,Livre première,(Paris: librairie A.hatier,1948) p35.

(2)- Edmund Husserl, Idées Directrices pour une phénoménologie, Op. Cit, p07.

مسيرة الذاتية من ديكارت حتى هوسرل،فيتساءل في مقدمة " **فينومنولوجيا الإدراك" la Phénoménologie De la Perception**، ماهي الفينومنولوجيا؟للوهلة الأولى يبدو من الغريب طـــرح هذا السؤال،بعدأن حدد

مؤسس الفينومنولوجيا موضوعها الحقيقي، إذ يرى ميرلوبونتي أن الفينومنولوجيا هـــي دراسة للماهيات مثل الإدراك والوعي . . . ، إلا أنها فلسفة تعيد وضع الماهيات في الوجود، وهي ليست قائمة على الاعتقاد أنه بالامكان فهم الإنسان والعالم بصورة مغايرة لتلك التي تقوم على الانطلاق من وقاعيتها[1].

يتضح لنا أن ميرلوبونتي،يريد التأسيس لفينومنولوجيا تدرس علاقة الذات بالعالم لا انطلاقا من ذات متعالية، بقدر ماهي ذات موجودة في عالم واقعي، فهي ذات متجسدة فيه، ليصبح الجسم في فينومنولوجيا ميرلوبونتي، ووعينا به هو أساس حضورنا في العالم، وهو أمر لم ينتبه سارتر إلـى قيمته، رغم دراسته لفكرة الجسم، بـل اكتفى بتقسيم الوجـود إلى **وجود لذاته ووجود في ذاته L'être Pour soi et L'être en soi** فالمعرفة كما يقول ليست غيرحضور الوجود في الوجود لذاته والوجود في ذاته[2] .

إن ما يميز النظرية الميرلوبونتية الفينومنولوجية مبدئيا هو اتسامها بالشمول المعرفـــــي،إذ دخلت في حـوار مـع مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، لتكون فكرة الجسم نقطة ارتكاز و يناقش من خلالها مسائل الإدراك،الآخر و العـالم وحتى قدرة هذا الجسم على التعبير، محاولا تجاوز الثنائية الكلاسيكية بين النزعتين التجريبية و العقلية وهي مسائل نتناولها بالتحليل، النقد والمقارنة. فكيف نظـر ميرلوبونتي إلـى مسـألة الإدراك؟ ما علاقـة الـذات بالجسم ؟ والـجسم بالآخر ؟ ماهي مكانة الجسم في العالم؟ وأخيرا كيف يكون جسمي قادرا على خلق المعنى وأداء التعبير؟.

(1)- Maurice Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,(Paris : Gallimard, 1945) p I.
(2)- J – P, Sartre, L'être et le N'eant, Essai D'ontologie Phénoménologique, (Paris : Caint Armand, 1980) p258.

I

I- العلاقة بين الجسم والعالم

1- نظرية الإدراك

تقوم فينومنولوجيا ميرلوبونتي على ضرورة العودة إلى الخبرة الإدراكية، من خلال الارتباط بين الإدراك وما هو
معيش، وتقوم فينومنولوجيا الإدراك أساسا على العلاقة القائمة بين الوعي والعالم،ولا تكون هذه العلاقـــــة إلا مرورا بفكرة الجسم،والهدف من هذا هو ما سعت إليه الفينومنولوجيا كفلسفة من تجاوز كلا الاتجاهين التجريبي والعقـلاني

ذلـك أن النـزعـة التجريبية تعتبر العمـلية الإدراكيـــة،مـا هي إلا عمـلية تلـقى وتسجيـل معـطيات خـارجيـة لتتجمع بعد ذلك مكونة موضوعات خارجية مع ارتباطها بماهو واقــعي، في حين نجـد أن النـزعة العقلية مـقـابل ذلك
تؤكد على أولوية العقل،ودوره في ترجمة وتأويل ما يتلقاه الوعي من معطيات .

وعلى هذا، فنحن أمام نوعين أو نمطين من الإدراك، أولهما إدراك سلبي، أي أنه عملية آلية للتلقي، أما النـوع
الثاني فهو إدراك يقـوم أساسا على دور العقل في عملية تلقي المعطى، وهما بمثابة موقفين أمام الفينومنولوجيا، فكيف تستطيع تجاوزها، وما هو موقف ميرلوبونتي؟

خصص ميرلوبونتي قسما هاما من كتابه **"فينومنولوجيا الإدراك" Le perception "phénoménologie de la** لمناقشة أفكار هذين المذهبين ، والرد عليهما، لكن سنحاول التركيز على أهم الانتقادات التي وجهها ميرلوبونتي لهما، ففي رده على الاتجاه الآلي ،يرى أنه أثناء عملية الإدراك،فإن ما نتلقاه من معطى لا يكون من خلال رابطة أو طريقة آلية مباشرة، ولكن المعطى يظهر من خلال علاقته بالوعي ذاته [1] .

ولكن هذه العلاقة لا تكون بحضور تلك الذات المتعالية التي تحدث عنها هوسرل، وإنما من خـــــلال الوعي بالجسم والذي هو أداة الإدراك، وسنرى فيما بعد كيف تتم هذه العملية،وإذا كانت النزعة التجريبية كما رأينا تجعل من الإدراك عملية آلية ناقلة، فإن النزعة العقلية تضفـــي عليه أحكام العقل وأفعاله التأويلية،ومع أننا لا ننكر دور

(1)- Merleau- Ponty, La Phénoménologie de la Perception,Op. Cit, p26.

العقل، إلا أننا عندما ندرك موضوعا معينا مثل رؤيتي لمكعب ذي ستة أوجـــه، فإنني لن أتمكن من إدراك أوجهه كلها إلا إذا تحركت، مع أن حركتي أو دوراني لن يغير من وضع الشيء المدرك[1] بل على العكس إذ ومن خلال التفكير في جسمي كموضوع، فإني أستطيع كشف الموضوع المدرك.

وفي هذا يرى أندريه روبينيه Andre Ronet خلافا للتجريبيين أن الإدراك الحســـي لا يحدث في العالم لأنه من المستحيل أن تمحي الثغرة الموجودة في العالم والتي هي نحن وأيضا خلافا للعقليين، فإنه يجب علينا تجاوز فكرة انقسام الإحساس إلى حاس ومحسوس، ذلك أن هناك موقفا أشارك فيه بنظرتي وأستلم فيه المشهد[2] .ليظهر لنا هنا أن الجسم هو وسيلتنا لإدراك الموضوعات، لتصبح فكرة الجسم عند ميرلوبونتي ، هي أساس نظرية الإدراك ومحورها المركزي،انطلاقا من الوعي،وخبرة الجسم وواقعه المعيش،وقد تأثر ميرلوبونتي في هذا بعلم النفس الجشطلت Geistelt* ذلك أننا ندرك الشيء في كليته ، فإدراكي لشيء ما لا يكون بتجميع خصائصه منفصلة، كالشكل ثم ثم الصلابة،فاللون. . .بل كمعطى كلي مباشر، فإدراك الكل أسبق من الجزء.

إن العالم ليس الذي أفكر فيه، بل الذي أعيشه، لأنـــي منفتح على العالم ذلك أن الإدراك ما هو إلا علاقة أو معية قائمة بين الذات والعالم،لذا فإننا نجد ميرلوبونتي يؤكد"أن جسمي هو تلك النواة الحالة، والتي تتصرف كوظيفة عامة
إلا أنه موجود، ومن خلاله نتعرف على تلك الرابطة بين الماهية والوجود، والموجودة عامة في الإدراك والتي نكشف عنها كلية"[3] .

وبذلك يكون الجسم كأساس للإدراك هو كذلك مركز التقاء الخبرات المعيشة والتي تعد من المسائل الأساسية
التي تقوم عليها الفينومنولوجية الوجودية كفلسفة، ذلك أن خبرة الإدراك بالضرورة هي خبرة الجسم،فجسمي هو من يدرك الأشياء والآخرين وكذا العالم، وهي أفكار سنفصل فيها لاحقا.

(1)- Ibid, p236.

(2)- André Robinet, Merleau – Ponty,sa vie, son ouvres avec un expose de sa philosophie , (Paris : Saint-Germain, 1963), p.p 19.20.

*الجشطلت،هي كلمة ألمانية الأصل،تعني الصورة أو الشكل،ويرجع ظهور مدرسة الجشطلت إلى سنة 1912،بجامعة"فرانكفورت"بزعامة،كورت كوفكا.

(3)- Merleau-Ponty,Ibid,p172.

يـرى ميرلوبونتي أن "كل إدراك خـارجي هو مباشرة مرادف لإدراك ثابت لجسمي، مثلما أن كـل إدراك لجسمي يطبق على لغة الإدراك الخارجي.. وإن نظرية الجسم هي نظرية في الإدراك"[1] لأن الجسم هو الجسر الرابط بين الذات المدركة وظواهر أشياء العالم المدركة، وتتحقق هذه العلاقة إنطلاقا من النظرة.

أعطى ميرلوبونتي أهمية كبيرة للنظرة La vision أثنـاء العملية الإدراكية، لما تتميز به النظرة من محاولة مستمرة ودائمة للبحث في العالم، والكشف عن حقائق الظواهر والأشياء، لتكون النظرة هي أساس تكوين الخبرة، ذلك

أني "إذا أردت أن أبعد العقبات أو أرتمي في الحالة الإدراكية La foi Perceptive ألجأ إلى خبرتي بالعـالم الـتي تبدأ معي كل صباح، عندما أفتح عيني، وتتدفق الحياة الإدراكية بين العالم وبيني"[2] .

مما سبق ،تظهــر لنا تلك الأهمية الكبيرة التي تأخذها النـظـرة بالنسبة إلـى الجسم في الـعملية الإدراكية، إذ تتشابك النظرة بالحركة، باعتبار أن الجسم ليس قطعة من مكان،فجسمي متحرك في العالم المرئي، ولهذا فأنـا استطيع

توجيهه في المرئي، وأننا لا نرى إلا إذا تحركنا[3] ذلك أن حركة الجسم هي التي تقود النظرة وتوجهها، فالشيء يصبح معروفا عندما تقع عليه النظرة، فالنظرة ببساطة هي انفتاح على العالم.

فالرؤية أو النظرة، لها القدرة على الدخول في تعدد الوجود* الذي يظهـر، فعندما أرى مصباحا مثلا، فهو يظهر بمثابة أفق بالنسبة لي، ذلك أني أرى في المجال الخاص بنظرتي[4] ولا ينبغي أن ننسى أن النظرة تظهر لنا طبـيعة العملية الإدراكية إنطلاقا من الوعي بالجسم و قصديته،وأن هذه القصدية فيما يرى برغسونBergson هي العلاقة

بين الفكر والمادة، أين يكون هناك تفضيل وأولوية للفكر ، ذلك أن الإدراك عند برغسون، يقوم على هذه الأولوية للفكـر

مقابل المادة .

(1)- Ibid,p239.

(2)- Merleau- Ponty,Le Visible et L'invisible, Op.Cit, p57.

(3)- _____ ,L'œil et L'esprit,(Paris : Gallimard, 1964), p16.

* الـوجـود:L'être هـو لـفظ يستعمل فـي الفرنسية للـدلالة على "الوجـود" أو "الـموجـود" بالمعنى ذاته، فهـو يأتي أحيانا باعتباره مصدرا، ويعني فـعل الـوجود أو الـوجود بالفعل ،كمـا يـأتي اسمـا،ويعني الـوجـود نفسه.

(4)- Philippe Hunisssman & estelleKulich,Introduction à la phénoménologie, (Paris : Armand Colin, 1997) ,p104.

يؤكد أوغستين فريسين Augustin fressin على أن نظرية الادراك عند برغسون تتميز أساسا بـهـذه

الأولوية للفـكر،لأنه هو وسيلتنا لامكانية تحقيق المعـرفة المطـلقة[1] واذا أردنـا مـقـارنـه هـذا الـمفهـوم مـع مـا تـصـوره ميرلوبـونتي فـاننا نجده يؤكـد على أن الإدراك هـو تجسيد لعلاقـــــة الذات بالموضوع ،ومـن ثم الـعـالـم، ويكـون كـجدل طبيعــي يسمى الإدراك والواقع[2] .

ذلك أن الإدراك هو الذي يخبرنا عن العالم، ويعطينا بديهياته، أو هو وسيلة إطلاعنا عليه بما هو جملة من الظواهر والأشياء، ليصبح الإدراك هو بحث في العالم، وذلك انطلاقا من الذات المتجسدة، الواعية بالجسم، الآخرين والعالم وجملة أشيائه.

وقد قدم غزافييه تيلييه Xavier Tilliette اعتراضا عن ميرلوبونتي حول الإدراك والجسم، ذلك أن ميرلوبونتي حسب رأيه لم يعط أهمية كبيرة لمسألة القصدية، كما لم يهتم بعرض وانعكاس الوعي، وماله من دور في العمـلية
الإدراكيـة، فمعرفة العـالم وإدراكـــه ،لايؤسس بهـذه الطريـقة عـلى الجـسم[3] وعلى الـرغم مـن هـذا الإعـتراض فـإن ميرلوبونتي من خلال فكرة الجسم استطاع تجـاوز الـنزعتين التجـريبية والعـقلية، وأصبح الإدراك هكـذا أكـثر إرتباطا بالذات المدركة والموضوع المدرك معا، من دون أولـويـة أو أسبقية لـطـرف على حساب آخر.

(1)- Augustin fressin , La Perception Chez Bergson et Merleau-Ponty ,(Paris :société d'édition et 'enseignement Supérieure ,1976),p149.
(2)- Ibid,142.
(3)- Xavier Tilliette, Merleau-Ponty ou La mesure de l'homme,(Paris:édition Seghers,1970),p43.

2- إنني عين جسمي Je suis mon Corps

يعرض ميرلوبونتي في كتابه**"فينومنولوجيا الإدراك"**وتحت عنوان:" **الجسم كموضوع و الفيزيولوجيا الميكانيكية"**
Le corps Comme objet et la physiologie mécaniste نظـرته الجـديدة إلى الجسم حاول من خلالهاتجاوز التفسيرات الفيزيولوجية الآلية للجسم.فكيف يمكن ذلـك؟وهل يمكـن اعتبار الجسم كموضوع؟

إننا لا نستطيع الوقوف على كل التفسيرات الآلية للجسم في تاريخ الفلسفة والعلم، فديكـــارت مثلا، اعتبر
النفس متمايزة عن الجسم، وهي أيسر أن تعرف،كما يمكن للنفس أن توجد من دون البدن،لان النفس بطبيعتها جوهر
مفكـــــر،في حين أن الإمتداد هو من طبيعة الجسم،وقد استمر الموقف الديكارتـي هذا لمدة طويلة في تاريخ الفلسفـة خصوصا مع المدارس السلوكية.

أما بالنسبة إلى ميرلوبونتي، فقدرفض كل التفسيرات الآلية، إذ لا يمكن اعتبار الجسم موضـوعا مثل بقية
المواضيع المادية،وهي مسألة ناقشها من خلال عرضه لجملة من الأمثلة،مثل ظاهرة العضو الوهميLe membre Fantôme، فحتى التخدير لم يزل الشعور بهذا العضو الوهمي، ويبقى على حالة العضو الحقيقي نفسها، فمصاب الحـرب مثلا رغم أنـه فقد ذراعه إلا أنـه

مـازال يشعر بها، ولا يعتقد ميرلوبونتي، أن يـكون للآثار الـدمـاغية دور فـي عملية التوهم،وإنما هناك محددات نفسية تدخل جملة من علاقات الوعي في الظاهرة[1] .

وقد قدم لناميرلوبونتي مثالا مقابلا للعضو الوهمي وهو العضو المبتور أو العضو المستبعدLe membre

Libré فمثلا، الشخص الذي لـديه ذراع مشلـولة، يحسب وكـأن ذراعه غير موجـودة،إذن ففكرة العـضو الوهمي

تمتاز بنوع من الغموض،ذلك أن وجود حالات نفسية في حالة العضو المستبعد، تؤكد أن الجسم ليس بموضوع أو مجـرد

قطعة مادية، حتى أن الشخص المصاب بالشلل في عضو معين، يحاول إهمال وجود ذلك العضو المشلول، والعاجز عن

أداء وظيفته كوجود فيزيولوجي وذلك بفضل العوامل النفسية .

---

(1)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, p.p 90.91.

ومما سبق نقـول بـأن التفسير الفيزيولوجي لظـاهرتي الـعضـو الوهمي والـعضو المستبعد يقـوم على أن العـضو الوهمي هو وجـود لما يجب أن يمثله الجسم،في حـين أن العضو المستبعد ببساطة هو تغييب لوجـود هذا العضـو،أوهو الغياب الكلي لهذا العضو.لكن مير لوبونتي رفض هذه التفسيرات الفيزيولوجية،وبالتالي رفض اعتبار الجسم كموضوع. ولكن هـل يعني هذا بالمقابل،أنه أخذ بالتفسيرات النفسية ؟.

إننـا إذا أردنا أن نقدم تفسيرا سيكولوجيا، فإننا نـرى أن العضو الوهمي ،مـا هو إلا ذكـرى أو حلـم إيجـابي

في حين أن الاستبعاد هو حكم سلبي، إذ ومع التفسير النفسي يصبح العضو الوهمي هو تمثيل الجسم لوجـود فعال،أما استبعاد العضو فهو تمثيل الجسم لغياب فعال [1] ...

لكن ميرلوبونتي وانطلاقا من تحليلاته الفينومنولوجية ونظريته الجديدة عن الجسم، سيتجاوز كلا من التفسيرين

الفيزيولوجي والسيكولوجي، فالجسم كما يرى هو **"مركبة الكـائن في العالم " Le Corps est la véhicule de l'être au monde** ووجود جسم بالنسبة إلى المـرء يعني الانضمام في وسط محدد، يختلـط بمشروعات معينة، ويرتبط بها بصفة مباشرة، فأنا أعي أن جسمي هو محور العالم [2]والمقصود بهذه المشروعات هو وجود الجسم ضمن أجسام أخرى يعيها، فأنا عين جسمي، لأني أعيه.

فلا يمكن إذن الاقتصار على الوظائف الفيزيولوجية ولا النفسية لتحديد طبيعته، بل إن جسمي هو مركز العـالم

فـإذا كـان سارتر قد قسم الوجود إلى وجــود لذاته، ووجـــود في ذاته، وإذا كان ديكارت قبله انطلق من الكوجيتو والذات المفكرة، فإنهم لم يتمكنوا من حل أهم إشكالية، وهي وجود الجسم وعلاقته بالعالم، ليأتي ميرلوبونتي ويؤكدعلى

الوجود في العالمL'être au monde انطلاقا من الوعي بالجسم، بصفته ليس شيئا من الأشياءبل هو متحـــرك فعال، وكما كان يرى غابرييل مارسيل Gabrielle Marseile فإني أعرف جسمي بقدر ما أحيـاه وأختلط به

وأمـزج وجودي بوجوده .

(1)- Ibid,p95.
2)- Ibid,p97.

ويتضح لنا كذلك أن هذا الموقف الجديد حول الجسم، يقوم أساسا على فكـرة ميرلوبونتي الأساسية، وهي أساس العلاقة بين الذات والموضوع بالربط بينهما، في إطار فينومنولوجيا وجودية جديدة، تكون أكثـر ارتباطا بالواقع
وتوضيحا لفكـــــــرته يرى ميرلوبونتي أنه عندما تلامس يدي اليمنى يدي اليسرى، أشعر بأنها شيء فيزيائي، ولكن في الوقت ذاته إذا جعلت اليسرى تلامس اليمنى، فإن اليد الملموسة أصبحت لامسة، وأنا- كما يقول – مـرغم علـــى التـأكيد بـأن اللمس هنا قد انتشر فـي الجسـم، وأن الجسـم هنـا هـو "شيء حـاس" و"ذات موضـوع" [1] " chose sentante" "Sujet- Objet"
وكما رأينا فإن الجسم لا يمكن أن يكون موضوعا كبقية الموضوعات، ذلك أن من طبيعــة الموضوع أن يكون قابلا للملاحظة، أي أن يكون على مسافة معينة من الذات الملاحظة، ولكن الجسم يمتاز بنوع من الغموض، فلكي أرى
جسمي أحتاج إلى جسم آخر يكون بدوره غير قابل للملاحظة والنظرة الخاصة، لأنـــــي ببساطة لا أرى كل أعضاء جسمي .
أما بالنسبة إلى علاقة الجسم بالشيء، فيرى ميرلوبونتي أن الجسم يختلف عن الأشياء، إلا أنه شـــيء من بين الأشياء ! تظهر وكأن هذه مفارقة بالمعنى المنطقي، إذ يقول:" إني أرى أن الجسم هو موجود ذو مظهرين، فمـن جهة
هو شيء من الأشياء، ومن جهة أخرى هو الذي يرى ويلمس"[2] فالجسم له جانبان أحدهما مرئي والآخـر لا مرئي
وهـذا أيضا ما سماه **بالجسم الموضـوعي** أو المحسوس **Corps objectif** والجسم الظاهـراتي أو الحسـاس**Le corps phénoménale** فالجسم الموضوعـي لا يختلف عن الأشياء والمواضيع المادية،أما الجسم الظاهراتي
الفينومنولوجي، فهو ملكي وخاصتي، وهما معا مظهران لجسم واحد.
فالجسم إذن وعي وحركة ومعرفة وعليه تبني العلاقات الوجودية الأنطولوجية مع الأشياء،الآخرين والعالم واللغة

(1)- Merleau-Ponty, Signes,Op. Cit, p210.
(2)- _____ , Le Visible et L'invisible,Op.Cit, p180.

والتعبير، كما أن ميرلوبونتي بقي وفيا لمبدإه الذي انطلق منه، في تجـــــاوز النزعة التجريبية والعـقلية، من الإدراك إلى
الجسم، لذا نجده يؤكده في **"المرئي واللامرئي"** على أننا لسنا عبارة عن وعي يركب الأشياء كما يعتقد ذلك المثاليون أو نحن تأليف من الأشياء في الوعي،كما يعتقد ذلك الواقعيون،بل نحن"من خلال أجسادنا،ونظراتنا ومعانينا وقـدرتنا على التكلم وفهم الكلام، نحن مقاييس الوجودdes mesurant pour l'être أبعاد أينمانشاء نأخذها[1].

نصل من خلال ما قيل إلى أن وجود الجسم يكون على مستويين، أحدهما شعوري سلبي،وهو الذي نستخدم
فيه ذلك الجسم المعتاد لأنه ببساطة شيء من بين مختلف الأشياء، أما المستوى الثاني فنوظف فيه الجسم الذي تتم فيه التجربة الواعية،فالجسم الأول يشبه المكبوتات بالمعنى الفرويدي، في حين الجسم الثاني فهو أكثر ارتباطا بآنية الجسم وبحياته الفعلية وعلاقته بالعالم.

و الفكرة المهمة التي ينبغي أن نؤكد عليها هنا، هي فكرة غموض الجسم l'ambiguïté du corps
إذ هو جسم وهو شيء في الوقت نفسه، حتى أن برغسون قد أكد على فكرة الغموض هذه، ذلك أنني في الوقت الذي أتكلم، أنا هذا الجسم الذي يتكلم وأيضا من خلاله أنا أتكلم، فليس هناك جسم،ولكن أنا جسمي je suis mon corps[2] .

إذ نظر برغسون إلى الجسم باعتباره وسيلة معرفية في المقام الأول.فعن طريق جسمي أعي الأشياء وأدركها وأن جسمي يعتبر بالنسبة إلى الوعي فعلا كشيء،لكن كشيء خاص،لأنه يحقق الوعي بالجسم الخاصle corps propre فالجسم بالنسبة لبرغسون قصدي، وكذا بالنسبة لميرلوبونتي هو قصدي بوجوده في العالم [3] .

واستنادا إلى ماسبق تصبح مقولة الجسم في الفينومنولوجيا الميرلوبونتية مقولة مركزية، فهو بمثابة نقطة تقاطع بين جملة من المفاهيم ،فالجسم هو المدرك و المتحرك، هو الناظر والمرئي، وهو الجسم والشيء،وبذلك يكون ميرلوبونتي
قد وجد في فكرة الجسم الحل المناسب لتجاوز الثنائية الموروثة بين التجريبية والعقلية .

(1)- Ibid, p140.
(2)- Bernard Sichere, Merleau Ponty ou le Corps de la phelosophie ,(Paris : Grasset, 1982), p71.
(3)- Augustin fressin,Op. Cit, p58.

إلا أن هذا التصور تعرض لجملة من الانتقادات، إذ يرى غارودي Garo Die مثلا أن ميرلوبونتي يكون قد بالغ في تحديد دور الجسم، إذ وقع في نوع من التأويلات الاعتباطية وعزل الجسم عن العالم الموضوعي[1] في حين يرى حبيب الشاروني عكس ذلك إذ استطاع ميرلوبونتي تجاوز الاتجاهين التجريبي والعقلي،من خلال إثباته إرتباط الجسم في كل وظائفه بحركة الوجود[2] وفعلا يكون ميرلوبونتي قد حقق ما لم يحققه،أو ما لم ينتبه إليه حتى مؤسس الفينومنولوجيا.

بل إن ميرلوبونتي تجاوز شبه التعارض الذي خلقته فينومنولوجيا هوسرل بين الذات والجسم،وحتى ما أقامه
سارتر من فصل بين الوجود لذاته والوجود في ذاته، لتصبح الذات في الفينومنولوجيا الوجودية عند ميرلوبونتي ذاتا متجسدة في العالم، ووجودنا منذ البداية في عالم واحد، والوجود معا يحيلنا إلى الحديث عن إشكالية الوجود مع الآخر في فينومنولوجيا ميرلوبونتي، فكيف نظر ميرلوبونتي إلى الآخر؟ .

(1)- غارودي روجيه، الوجودية فلسفة الاستعمار، ت،محمد عيناني،(بيروت : منشورات حمد، دت)، ص46.
(2)- الشاروني حبيب، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية،دط، (مصر: المكتبة الأنجلو مصرية، 1974)، ص112.

3- إشكالية الآخـــر L'Autrui

تعتبر مسألة الآخر من أكبر الإشكاليات الفلسفية، بحيث تطرح نفسها بإلحاح. وتاريخ الفلسفة يظهر لنا نماذج كثيرة ومختلفة تناولت هذا الموضوع سواء مع الفلسفات اليونانية أو الحديثة أو المعاصرة، وهناك جملة من الأسئلة التي تطرح حول هذه المسألة من جوانب متعددة أهمها:كيف يمكن معرفة الآخر؟هل يمكن أن أعامل الآخركما أعامل ذاتي بالشفافية نفسها؟ وهل يمكن أن يكون الآخر في لحظة ما،خطرا على وجودي؟.

أكد نيتشه من خلال أخلاق السادة والعبيد، أن قرارات السادة هي التي تحكم جملة العلاقات الإنسانية وتحددها، أما الآخر والذي هو العبيد فهم القطيع، كما سماهم نيتشه، وقد نظر قبله أرسطو إلى غير اليونانيين على أنهم عبيد،في حين أن هيغل و من خلال جدلية العبد والسيد، نظر إلى الآخر بالمعنى ذاته،وكذا نجد أن فيلسوف الوجودية، سارتر ميز بين الوجود لذاته والوجود للآخر، واعتبر الآخر هو الجحيم.وميرلوبونتي كغيره من الفلاسفة فإن إشكالية الآخر تحتل في فلسفته مكانة جد خاصة.

إذ يعتبر موقفه من الآخرأهم مميزات فلسفته، فقد خصص قسما مهما من كتابه **"فينومنولوجيا الإدراك" la Phénoménologie de la perception** للآخر،وذلك انطلاقا من فكرة الجسم، إذ يرى الآخر مثل جسمي الخاص، إنه شيء أمام الوعي يفكر فيه وينشئه، والناس وأنا ذاتي كموجودات محسوسة،لا تكون إلا كآلات تتحرك من خلال نابض . . .والذات الحقيقية هي هذا الوعي الذي يبحث في قلعة الجسد[1] .

يظهر لنا من خلال هذا القول، أن ميرلوبونتي يطرح موقفين مختلفين أولهما النزعة التجريبية، وثانيهاالنزعة العقلية

وكل موقف ينظر إلى "الآخر" نظرة خاصة، إذ تحاول التجريبية الربط بين الأوصاف المتعلقة بالأجسام الإنسانية إنطلاقا من الوجود الموضوعي في العالم، في حين تقوم إشكالية الآخر عند العقليين على أساس الكوجيتوCogito والتعرف على الآخـــر من خلال التعرف علـــى الذات، لتحاول الفينومنولوجيا الوجودية عند ميرلوبونتي أن لاتنطلق في دراسة مسألة "الآخر"من منظور العالم الموضوعي،ولا من منظور كوجيتو مسيطر، وإنما انطلاقا من خبرة الوجود في العالـــم

(1)- Merleau –Ponty, La phénoménologie de la Perception, Op.Cit, p401.

فيشتق إدراك الذات وإدراك الآخر من مجال الخبرة Expérience فكيف يكون ذلك؟ ولماذا هذه الخبـرة؟ لأن هذه الخبرة تحتوي على ما يسمى في الفينومنولوجيا بالذاتية المتبادلة Intersubjectivité [1].

إن للجسم مكانة بالنسبة إلى الأشياء والعالم،فهناك إذن علاقـــة تكامل بين نظرتي وحركتي في العــالم، وهنا
يكشف الوعي الشخصي عن ذاته، فيقول ميرلوبونتي متسائلا :"لماذا الأجسام الأخرى،والـتي أدركـهـا لا تمتلك بالتبادل وعيا ؟أو إذا كان لوعيي جسما،لماذا الأجسام الأخرى ليس لها وعي؟وبداهة هذا يفرض أن فكرة الجسم والوعي
يتحولان بعمق"[2] ولأجل ذلك يؤكد ميرلوبونتي على ضرورة التمييز بين حقيقة الجسم كما تراه الفينومنولوجيا، وأنــواع
السلــوك المرتبطة بالجسم كمـا تــراه النـزعة العقلية،وبذلك يمكننا الـوصول إلى حقيقة الجسم في عـلاقته بالآخر،وذلك في إطار الخبرة الإنسانية.

هذا عن الجسم. أما بالنسبة إلى الـوعي فلا ننظر إليه كوجــود لذاته،وإنما الـوعي هو مدرك فـاعل للسلوك
كوجود في العالم[3] وقد انطلق ميرلوبونتي من موقف سارتـــر من الآخر ، ذلك أننا إذا رجعنا إلى **"الوجـــود و العدم"**
L'être et le Néantنجد أن الآخر هو بمثابة خطر دائم يحيط بي، ويمكن أن يهددني في أي لحظة، لأن هذا الآخر هو عقبة أمام حريتي.

كما أن الآخـر بالنسبة إلى سارتـر يحيلني بنظرته إلى موضـوع كما أنه يكشف سر وجودي ،وأنـه مثلما يـرى سارتر،يعلم من أكـون، وما يكون المعنى العـميق لـوجودي،إضـافة إلى أنـه بمثابة حمل ثقيل فـوقي،وأني اختبار للآخـر وحتى أن نظرته تشكل جسمي في عرائه[4] وذلك أن النظرة في وجودية سارتر عندما تأتي من الآخر فهي تسلبني وجودي وحريتي، وتجعل من وجودي وجودا كما يراه الآخر، وبذلك أفقد وجودي الأصيل.

والنظرة La vision تلعب دورا هاما في العلاقة بين الأنا والآخر، وذلك باعتبار أنها وسيلة الصراع مع

---

(1)- علا مصطفى أنور، مرجع سابق، ص177.

(2)- Ibid,p403.
(3)- Ibidem.
(4)- Sartre, Op.Cit, p.p 412.413.

الآخر،بهـدف السيطرة على المـوقـف، والحفاظ على الحريـة الذاتية، فإمـا أن تتغلب نظـرتي على الآخر ،وأحـوله إلـى موضوع وإما أن تتغلب نظرته فيحولني إلى موضوع، وأصبح وجودا للآخر، فهل حقا أن هذا الآخر هو الجحيم ؟

إن هـذا الصراع خلق نوعا من الهوة في علاقات الوجود الإنساني في فلسفة سارتر،ليحاول ميرلوبونتي إعادة بناءو تأسيس هذه العلاقة من خلال الوجود في العالم مع الآخرين،إذ يرى في كتاب **"علامـات" "Signes"** أن العـالم المحسوس حين أريد إدراك ذاتي،يكون الآخرون متضمنين فيه،ولكي يكونوا خاضعين لشروط الإمكانيات الخاصة بي .

. .يجب أن يكونوا كنواتيء،وكذلك تنويعات لرؤية واحدة، أشاطرهم إياها أنا كذلك...إنهم توائمي أو جسد جسدي"[1] chair de ma chair.

فإذا كان جسمي بالنسبة لي،لا هو شيء ولا هو موضوع كما رأينا، بل أنا عين جسمي لأني على علاقة وعي
دائمة به، كذلك فإن جسم الآخر بالنسبة لي،لا هو شيء ولا هو موضوع، فنظرتي إلى جسمي هي ذاتها نظرتي إلى
جسم الآخر،ذلك أن جسمي وجسم الآخـــر يمكن أن يلتقيا على أداء عمل مشترك،لا يتم هذا العمل إلا وهما معـا مثل حمل شيء ثقيل مثلا أو دفعه كـأن ندفع سيارة مثلا،لـذا فالعلاقة بالآخر هي عملية تواصلية دائمة ومستمرة ويمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة،كالتخاطب والحديث مثلا، وهي فكرة سندرسها في عناصر لاحقة.

لذا فإن علاقتي بالآخر،ليست صراعا مستمرا كما صورها لنا سارتر،ومسألة حرية أو عبودية بقدر ما هي
ببساطة وبالمفهوم الميرلوبونتي للآخر هي تواصل واستقرار دائم، إلا إذا عرفت أن للآخـــر مثلا نوايا وأفكـار معاديـة ذلك أن الآخر يحدد كمركز للفعل الإنساني،فهناك على الخصوص كما يـرى ميرلوبونتي موضوع ثقافي يلعب دورا أساسيا
في إدراك الآخر، إنما هو اللغة في تجربة القول فيكون بيني وبين الآخر ميدان مشترك[2] ذلك بما أن اللغة وسيلة إتصال اجتماعية وهي انفتاح على الآخر،تساعد كل واحد على فهم أفكار وتصورات الآخر.

لذا تصبح مقولة الـذاتية المتبادلة،التي قـالت بها فينومنولوجا هوسرل ثـم طورها ميرلوبونتي،وأعطاها أبعـادا

---

(1)- Merleau- Ponty, Signes, Op.Cit, p22.
(2)- _____ , La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, P407.

أخرى فـي فلسفة فينومنولوجية وجـودية لتصبح كحجر زاويـة في العلاقة مـع الآخـــر، ولشدة إعـلاء ميرلوبونتي مـن قيمة الآخر يمكننا القول أننا نصل إلى درجة يمتزج فيها مفهوم الأنا بالآخر.

وهل هناك أجمـل مـن ذلك الـوصف الذي قدمه ميرلوبونتي إذ يقـول :"إن الآخـر، هو أنا ملقى فـي الخارج"[1]
L'Autre, un ego projeté au dehors. يتضح لنا من خلال هذا القول مباشرة أن تلك المفارقة والتي لازمت الفلسفة الوجودية عند سارتر، أن الآخر هو الجحيم، تكون قد زالت ووجدت حلا لها مع ميرلوبونتي* فلا أحد يحيل الآخر إلى موضوع بنظرته، بل جسمي وجسم الآخر في تواصل و تكامل مستمر.

صحيح أن العلاقات الاجتماعية مع الآخـــــر، قد تعرف تصادما انطلاقا من المصلحة الشخصية وتشابك سلوكاتي مع سلوكات الآخر،إلا أن هذه المصلحة تلتقي مع مصلحة الآخـــر في مواطن ونقاط كثيرة، وما المؤسسات الاجتماعية،الثقافية، والسياسية وغيرها إلا صورة واضحة عن ذلك، فهناك دائما ميدان أو أرضية تلتقي فيها الذوات

ويمكن أن نعتبر موقف ميرلوبونتي من الآخـر هو انتقاد للكوجيتو الديكارتي،وذلك لأن وعي الذات مرتبط دائما بوعي الآخر لا أن ينغلق على ذاته،كما أن وجودي لا يكون مع الآخرين إلا في وضع تاريخي معين،وهكذا تتعدد أوجه العلاقة
مع الآخر وتختلف صورها،وربما تكون الوظيفة أو النظـرة الجنسية،باعتبارها مـن وظائف الجسم، أحد أوجه هذه العلاقة، فكيف نظر إليها ميرلوبونتي؟.

إن الوظيفة الجنسية للجسم تدخل ضمـن الخبرة المعاشة، وقد اهتم ميرلوبونتي بهذه الخاصية في إطـــــار
ا لعلاقة مع الآخر،ذلك أنها وظيفة رمزية يعبر من خلالها الجسم.فيرى ميرلوبونتي مثلا أن فتاة تمنعها أمها من رؤية الشاب الذي تحب قد يجعلها ذلك تفقد النوم والشهية وحتى القدرة على استعمال الكـلام، كما أن القبلة لا يمكن اعتبارها مجرد وجود جنسي، بقدر ما هي نمط من العلاقة مع الآخر[2] .

وهنا لا ننسى أن نشير إلى الأهمية التي أعطاها فرويد Freud للغريزة الجنسية،حتى ولـو كـان المعنى الذي

(1)- Merleau-Ponty, Signes, Op.Cit, p222.
*Voir Merleau- Ponty, le visible et l'invisible, p24 . . 27.
(2)- _____ , La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, p187.

يقصده ميرلوبونتي هنا ليس بالمعنى ذاته الذي أكد عليه فرويد، إلا أنه من الجديـــر أن نوضح أن للغريزة الجنسية دورا في تحديد جملة سلوكات الأفراد،و علاقاتهم فيما بينهم،ذلك أن الغرائز حسب فرويد معقدة جدا وكثيرة العناصر[1] وهو ماسماه الليبيدو Libidoوالـذي هو جملـة الغرائـز الجنسية اللاشعورية المكبوتة،وقد أرجـع إليهـا فـرويد كـل الأعمال الإبداعية خصوصا الفنية،مثل لـوحة"الموناليـزا"للفنـان ليونارد دي-فينتشي،Lonard de Ventchie أرجعها فرويد إلى غرائز جنسية لاشعورية،تعـود إلـى مـرحلة الطفولة لدى هذا الرسام.

مع أن ميرلوبونتي يناقض فرويد، إذ اعتبر أن علينا بشكل خاص أن لا نفهم بأن الوظيفة الجنسية وحدها تعبر عن معنى الوجود،فالسبب الذي يحول دون رد الوجود كله إلى النزعة الجنسية الذاتية هو ذاته الذي يحول دون ردها إلى الوجود،بمعنى أن العلاقة الجنسية مع الآخر ما هي إلا نموذج من بين نماذج علاقات متعددة تربطنا بالوجود المتعدد والمتشابك العلاقات.

كما تحدث ميشال فوكو Michel Foucault عـن الجنس والوظيفة الجنسية ،إلا أن نظـرته كـانت مـن زاوية أخرى، وهي محـاولة معـرفـة تطـور نظـرة الغـرب لهذه الـوظيفة، واستجـلاء منـاطق اللاوعـي،مـن خـلال بحـث
أركيولوجي خاص،يظهر حقيقة الذات الغربية، وعلى هذا ومما سبق، نصل إلى تقرير أن نظرة ميرلوبونتي للآخـر كانت نظرة جديدة وإيجابية، تحمل طابعا تواصليا أكثر انفتاحا على الآخر والعالم.

لتبنى هنا جسور التواصل بين الأنا والآخر، المبعد و المهمش في وجودية سـارتر الذي لم تكن نظرته إلى الآخر

على أنه الجحيم، إلا شكلا آخر من أشكال بعض العدميات المعاصرة، ويمكننا اعتبـــــار موقف ميرلوبونتي نوعا من فلسفات الإرادة والتواصل،وهذا ما يذكرنا بالحكمة التي تقول:"ما قيمة أجمل منظر في الدنيا، إذا لم يكن بجانبي شخص أقول له: ما أروع هذا المنظر".

(1) - سيجموند فرويد، ما فوق مبدأ اللذة،ت،إسحاق رمزي،(مصر: دار المعارف،1980)، ص11.

4- حضور الجسم في العالم

حقيقة أن مبحث العالم متجذر في تاريـــخ الفلسفة، إذ اهتم الفلاسفة منذ القدم بالبحث في فلسفة العالـم
سواء مع اليونان أو في فلسفات العصور الوسطى ثم الحديثة،وارتبط بمباحث مختلفة، باختلاف الإشكاليات الفلسفية المطروحة حوله، ولعل ما يميز البحث في العالم في الفلسفة الحديثة خصوصا هو ارتباطـــه بمسألتين أساسيتين هما الله والنفس.

لكن هذه المباحث قد زالت بـزوال الإشكاليات،وظهرت إشكاليات جديدة،إذ نجد أن ميرلوبونتي كفيلسوف
فينومنولوجي، يحاول كما فعل مع فكرة الإدراك والجسم تجاوز كل من الاتجاهين التجريبي والعقلي، من خلال جملة من
المفاهيم والتصورات التي تحمل جدية الطرح وعمق التساؤل،فإذا كـانت الذات واعية بجسمها-كما رأينا-فكيف يكون حضور الجسم في العالم؟ هل يكون حضورنا في العالم باعتباره مقولة موضوعية، أو من خلال وجـود الـذات؟ وهـل من جديد في موقف ميرلوبونتي إزاء هذه الإشكالية؟.

إن الميزة الأساسية للفينومنولوجيا الميرلوبونتية،هو تأكيدها على الواقع والانـطلاق منه،فنحن نعلم أن ميرلوبونتي
تأثر بعلم النفس الشكل (الجشطلت) وحاول تجاوز ثنائية المادة والصورة، وكذا الوجود لذاته والوجود في ذاته عند سارتر،وقد رأينا من قبل أننا موجودون بطبيعتنا في العالم أي أننا نحيا في هذا العالم،بما أن الجسم هو وجود جسماني في العالم ومن خلال وجودي المتجسد ومن خلال النظرة والحركة أيضا توجد رابطة بيني وبين العالم و مجوداته .

فجسمي يرتبط بصفته مدركا بما يدرك وبما ينظر إليه من أشياء وموضوعات،و هذا ما أراده ميرلوبونتي من خلال تأكيده في **"العين والفكر"** على أن :"الجسم ينظر نظرا، ويلمس لمسا كما أنه مرئي وحسي بذاته...إنـه ذات غامضة
نرجسية، يتلازم بما يرى مع ما يرى، بما يحس مع ما يحس" [1] ،وإن وعيي بجسمـــي هـو أسـاس كـل هذه العمليـات

فإدراك العالم يكون من خلال الجسم وخبرته الخاصة.وعلى الرغم من دراسة سارتر للجسم،إلا أنه لم ينظـر إليه بتلك النظرة الايجابية المطلقة ،التي توجد لدى ميرلوبونتي، بقدر ما نظر إليه بنوع من التصورية الذاتية.

(1)- Merleau-Ponty, L'oïl et l'esprit, Op.Cit, p.p 18.19.

وهكذا فإن وجودنا في العالم يصبح وجودا جسمانيا، لأن جسمي هو بمثابة وضع إزاء العالم. من خلال ما أقوم به من أفعال وحركات، وأن جسمي هو الذي يعطي معنى الكلمات مثل "فوق" "تحت" "أمام" وذلك انطلاقا من
الصورة الجسمانية[1] لنصل هكذا إلى أن الجسم هو وسيلتنا لمعرفة العالم من خلال الوعي به،لذا لا يمكن افتراض ذات أخرى ترتبط بجسمي، وتتحكم به.

وقد رأى ولينسWaellens في كتابه**"فلسفة الغموض" Une Philosophie de L'ambiguïté** وهو دراسة حـول وجودية ميرلوبونتي، أن الجسم هو وسيلتنا الخاصة للاقتراب من العالم، وفي الوقت نفسه وبالتلازم هو طريقـــــة ثابتة لظهور العالم ذاته، إذ هو بمثابة مشروع وجودي لميرلوبونتي فالجسم ينفتح على ذاتـه وعلى الإدراك وعلى العالم [2].

نستنتج هكذا أن فينومنولوجيا الجسم والإدراك مرتبطة بصفة مباشرة بالعالم على أساس الوعي الجسمـاني الخاص،لذا نجد أن الجسم وانطلاقا من هذا الوعي يعبر عن علاقته بالعالم من خلال حركات وأعمـال معينة، قد تكون أعمالا فنية مثلا، والتي تدل على تكامل العلاقة وتواصلها،وهذا من شأنه أن يزيد الوعـــي بالجسم ذاته لأني " أفهم وظيفة الجسم الحي عندما يكون الاكتمال "أنا- ذاتي" moi- même .حيث أكـون جسما قائما في العالم"[3].

وعليه يكون للجسم خبرته الخاصة بالعالم مرورا بوعيه الذاتي،وللتوضيح أكثر نقول أن لكل واحد منا وعيه
الخـاص بامتلاكه لجسم،وهذا الـوعي هو نقطة الانطلاق نحو هذا العالم.وإذا ربطنا هذه الفكرة بفكرة الذاتية المتبادلة Intersubjectiveنصل إلى حالة عامة نشترك فيها بوعينا بأجسامنا وحضورنا في العالم وخبرتنا التي لا تتوقف.

ومادمت مرتبطا بهذا العـالم، فإني أدرك مـا فيه مـن أشياء،باعتبار وقوعها في مجـال إدراكي وتحت نظرتـي
فالشيء هو جزء من تمثلاتي عن العالم، بل إنه في حاجة دائمة إلي لكي يوجد،ليتسع المجـــال الإدراكي ويشمل كـل ما في العالم وذلك على اعتبار أن الجسم مدرك ومدرُك.

(1)- الشاروني حبيب، مرجع سابق، ص 108 .

(2)- A. de Waellens, Une Philosophie de L'Ambiguïté, L'existentialisme de Merleau-Ponty, 3eméd,(Paris :1978) ,p.p 109.110.

(3)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit, p90.

ذلك أن هذا الشيء الذي ندركه ليس أكثر من تعيين أو تحديد،لأن ما هو موجود حولنا من أشياء يكون هو العالم نفسه،أي العالم الذي يحتوي أجسامنا وأفكارنا وكذا هذه الأشياء[1] وتعلق فرانسوا هايدسيك François Heidsieck علـى ميرلوبونتي، فـترى بأنـه يهتم بالشيء كثرا،ويـؤكد عليه بصـورة غـريبة،وكـأنـه غيـور مـن الـصلابـة الأنطولوجية لهذا الشيء.

وتـزداد العلاقة بالشيء إلى درجـــة أننا موجـودون كأجسام مع أشياء في العالم، مع اعتبار أن ما يميزنا هو وعينا الخاص بأجسامنا،ليؤكد ميرلوبونتي على أن "الشيء والعالم هما معطيان مع أجـزاء جسمي لابواسطة هندسة

طبيعية" géométrie naturelle وإنما في اتصال شبيه بذلك القائم بين أجزاء جسمي ذاته"[2]ويظهر الجسم والعالم معا أثناء العملية الإدراكية،وينتشران معا ضمن المجال الإدراكي،فإدراكي الخاص لجسمي و الإدراك الخارجي يكملان بعضهما بل هما واحد.وهكذا مع ميرلوبونتي يختلف تصور العالم ومكانته الفلسفية،فلا وجود مادي امبريقي كما يرى التجريبيون، ولا هو كما أتصوره في ذهني مثلما أكد العقليين ،خصوصا عند بركلي Berkeley الذي أنكر وجود العالم المادي كلية.

ليأخذ العالم مفهوما مغايرا لماعرفه عند الفلاسفة من قبل،ذلك أنه يتحول إلى عالم لا يتمتع بالاستقلالية المطلقة في مواجهة الذات.ليكون الجسد في معية مع العالم، اجتهدت الفينومنولوجيا في إظهارهاوماهية العالم وبنيته الداخلية مكونة من الأشياء القابلة للإدراك من طرف الذات،وهنا تتشكل دلالة الوجود الثلاثية عند ميرلوبونتي،العالم والأشياء و الإنسان المدرك[3] لذا فمادام اتصالنا بالعالم مستمرا، يبقى الوعي بالجسم قائما، كوعي متجسد في العالم.

ولا ينسى ميرلوبونتي أن يؤكد على أهمية اللغة في معرفة العالم،وذلك باعتبار أننا نطرح على وقائع اللغة السؤال الفلسفي حول العالم،أما الإجابة فيمكن أن نبحث عنها داخل معاني الكلمات ودلالاتها،وهكذا نجدأن فينومنولوجيا

---

(1)- François Heiddsiech, L'ontologie de Merleau- Ponty, 1ereéd, (Paris : presses universitaires de France,1971), p.p 53.54.

(2)- Merleau-Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit ,Ibid, p237.

(3)- مجموعة من المؤلفين،كوجيتو الجسد، (دراسات في فلسفة ميرلوبونتي) ،ط1،(الجزائر: منشورات الاختلاف، 2000)، ص. ص 20.21.

ميرلوبونتي اتجهت بحق نحو الواقع بماهو أشياء،ظواهر و كلمات وعلاقات،عكس ما اتجهت إليه فينومنولوجيا هوسرل المثالية، والتي انطلقت من الذات المتعالية، وتجاوزت الواقع. ليبقى الجسم هكذا قائما في العالم.

إن هذا الوجود في العالم بالمفهوم الميرلوبونتي، هو ما اعترض عليه روجيه غارودي، لأن هذا الوجود قد شوه

المفهوم الحقيقي للعالم،أي العالم الموضوعي وأنكره [1]إلا أنه على الرغم من هذا يبقى موقف ميرلوبونتي واضحا جليا يجعل من الوعي بالجسم أساسا للحضور في العالم*مع الأشياء والآخرين، حضورا واعيا في عالم موضوعي، لتبقى الفلسفة الحقيقية كما يرى ميرلوبونتي هي التي تعمل على رؤية العالم.

فقد أكد على أن الجسم الخاص Le Corps propre في العالم هو كالقلب في الجسم[2] لتكون فكرة الجسم هي نقطة الارتكاز في فينومنولوجيا ميرلوبونتي،وهو محور حركة الوجود الواقعية، باعتبار الجسم مدركا، ناظرا متحركا وموجودا، حاضرا واعيا مع الأشياء والآخرين في العالم، لنحاول أن نعرف إضافة إلى هذه الخصائص والمميزات،كيف يكون الجسم قادرا على أداء المعنى والرمزية باعتباره وسيلة للتعبير؟.

(1)- روجيه غار ودي، مرجع سابق، ص50.
* وهذه بعض العبارات من**"فينومنولوجيا الإدراك"** حول حضور الجسم في العالم: "إنه في العالم"ص117 "إنه رسونا في العالم"ص169."موجود مربوط بعالم ثابت" ص173."إنه الوسيلة العامة لرؤية العالم"ص171.
(2)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit,p235.

II- الجسم والقدرة على التعبير

السلوك الرمزي

رأينا كيف يكون الإدراك ارتباطا أصيلا مع هذا الوجود، بحيث تظهر كـل أشياء العالم وظواهره في كثافـة معينة، تسمح لي أن أكون -باعتباري جسما- على اتصال دائم ومستمر بهذا العـالم. وقد تساءل ميرلوبونتي من قبل في" **فينومنولوجيا الإدراك"** عن معنى الفينومنولوجيا وموضوعها الحقيقـــي،وذلك على الرغم من أنه وضع قبله كتاب **"بنـية السلوك"la structure de comportement**فلماذا ذلك؟ إن التصور الكامل للفينومنولوجيا لـم تتضح معالمه في هذا الكتاب،إذ تناول موضوعات كالإدراك والسلوك،بما يحمله من معنى ورمزية،فهذا السلوك طبيعة إنسانية و يحمل أشكالا مختلفة. فكيف نظر ميرلوبونتي إلى السلوك؟وكيف يمكن لهذا السلوك أن يتخذ طابعا رمزيا؟

لقد تحدث ميرلوبونتي عن الإشكالية الأساسية التي ينـوي تناولها بالبحث في هذا الكتـاب، وهي فعلا تعبر
عن مرحلة معينة من مراحل تطوره الفكري، إذ يرى أن هدفه هو بحث العلاقات الموجودة بين الوعي والطبيعة، سواء العضوية منها أو النفسية، وحتى الاجتماعية كذلك [1] .

يتضح لنا من هذا أن ميرلوبونتي يريد أن يتناول إشكالية هي من جهة قديمة ومن جهة أخرى جديدة، فكيف ذلك؟تناول الفلاسفة على اختلاف أفكارهم علاقة الوعي بالطبيعة، فهناك من أعطى الأولوية للوعي وللذات المفكرة
على حساب الطبيعة مثل ما قال به ديكارت،أما هيغل مثلا فانطلق من جدلية الوعي والعالم والطبيعة في إطار فكرة الـوعي المطلـق،حتى أن هوسرل أكد على أن دور الذات الواعية المتعالية،هـو فـهم وقصد الطبيعة بمختلف مواضيعـها
هذا على سبيل المثال.

أما جدة هذه الإشكالية فتكمن في الطرح، إذ على الرغم من تعدد أنواع العلوم والمعارف المعاصرة، من علم
النفس إلى الفيزياء والبيولوجيا وغيرها، وتنوع الاتجاهات الفلسفية المثالية منها والواقعية إلى غيرها، إلا أن إشكاليـة
علاقـة الـوعي بالطبـيعة تبقى تحمـل الكثير مـن الغموض،إذ انطلـق ميرلوبونتي من أن الـطبيعة لا تـوجد بالمعنـى المـادي

(1)- Maurice Merleau- Ponty,La Structure du Comportement,4eme éd ,(Paris : 1960), p01.

المعروف،كما أن السببية لاتكون عملية منتجة،في حين أن العالم ماهو إلا مجموع العلاقات الموضوعية التي يحملها الوعي [1]ذلك أن الفيزياء تستخدم في ضبط هذه التصورات،نماذج ميكانيكية أو ديناميكية.

في حين نجد أن الوضع يختلف عنه في البيولوجيا، إذ يرى أنه انطلاقا من النمط الفيزيقي الرياضي، تتكون
صورتنا عن الجسم كصورة مادية، لأن الفكر البيولوجي هو فكر واقعي،أما علم النفس فيبقى مرتبطا بالفكر السببي
بقدر محاولته أن يصبح علما طبيعيا [2] .

وقد تميزت الفلسفة المعاصرة في فرنسا في تلك المرحلة بمحاولتها أن تجعل من كل طبيعة وحدة موضوعية أمام الوعي،إذ نتناول العلوم كل من الجسم والوعي على أنهما نظامان من الأنظمة الواقعية،انطلاقامن الأسباب والنتائج
لذلك فمن خلال تحليل فكرة السلوك، يمكن نقد كل هذه الأطروحات وتجاوزها، بالاعتماد على فكرة الشكل في علم النفس "الجشطلت" ونقد السلوك الشرطي المنعكس كما حدده بافلوف Pavlov لأنه تناول السلوك على أنه شيء
انطلاقا من الفكر السببي،فهناك أولوية للشكل والبنية كما يرى غرافييه تيليات Xavier Tilliette لتجاوزالوجود لذاته والوجود في ذاته، وتعارض النزعتين التجريبية والعقلية[3]
لتبقى هي المهمة التي أخذها ميرلوبونتي على عاتقه مثلما رأينا مع مسألة الإدراك والجسم.

إننا نشاهد تحولا في فلسفة ميرلوبونتي، يتمثل في التوسط بين فلسفة للبنية وفلسفة للمعنى، فليست فكرة المعنى مضايفة لفكرة البنية، بل ان هناك شكلا من أشكال الترادف بينهما، فالبنية والمعنى والشكل لها تعبيرات رمزية، إذا أخذناها في حركة الخبرة [4]ليرتبط السلوك بالوعي في إطار الإدراك، وهذا ما يظهر في الخبرة الإدراكية
وبما أنه بنية فلا يمكن القول بأنه يندرج في الزمان والمكان الموضوعي كسلسلة من الأحداث الفيزيائية، فهو إذن ليس عبارة عن غلاف لوعي محض، بل إنه شكل.

لذا يمكننا من خلال الإدراك في فينومنولوجيا ميرلوبونتي،تجاوز كل من النزعة التجريبية التي ترجع السلوك إلى

---

(1)- Ibidem.
(2)- Ibid, p01.
(3)- Xavier Tlliette, Op. Cit, p23.
(4)- علا مصطفى أنور، مرجع سابق، ص104.

الواقع، والنزعة العقلية التي ترجعه إلى الوعي، فالإدراك فيما يرى ميرلوبونتي هو حامل للمعنى منذ بدايته، لذا نجده
يؤكد بأن "الإدراك هو تعبير" [1] la perception est un expression.

إذن بما أن الإدراك تعبير،وأن العالم هومجموع العلاقات التي يحملها الوعي يكون الوعي هو قصديةنحو العالم.وما
فعل التفكير إلا أحد هذه القصديات،ولا يمكن تأويل الارتباط بين الفكر وموضوعه إلا من خلال اللغة وعلاقة العلامة
بمدلولها،لأن ذلك يكون في فعل التعبير الذي هو السلوك الرمزي، ليكون تحليل السلوك عند ميرلوبونتي قائما على أسس علمية واقعية.

يرى ميرلوبونتي أنه إذا كنت في غرفة مظلمة، وكانت على الحائط نقطة مضيئة،فإنها حتما ستثير انتباهي فأنظر
إليها بعيني و في هذه الحالة، حتما إن سلوكي يحمل قصدا كما يحمل معنى[2] وهذا المثال يظهر طبيعة السلوك أيا
كان نوعه وصورته، فهو حامل لمعنى قصدي، وقد حدد ميرلوبونتي الأنواع والأشكال الأساسية التي يمكن للسلوك عموما أن يظهر عليها فهناك الأشكال التأليفية Les Formes Syncrétiques، والأشكال العازلة
Le Formes Emotive وأخيرا الأشكال الرمزية Les Formes Symboliques ففي النوع الأول
منها يكون السلوك بمعنى جد خاص، ذلك أنه يرتبط بجوانب مجردة، وكذا تركيبات لنشاطات جد خاصة،إلا أنه في
كل الحالات يكون في إطار الشروط الطبيعية،أما بالنسبة للنوع الثاني والذي هو الأشكال العازلة فهنا يكون السلوك
شبه منغلق أو منعزل على العلاقات، لكن على الرغم من ذلك يبقى نشطا في جملة من الوضعيات المحددة، هذا عن الشكلان التأليفي والعازل، فماذا عن السلوك الرمزي؟.

أكد ميرلوبونتي على أن السلوك الحيواني لا يتحول أبدا إلى رمزية،فالعلامات أو الإشارات تبقى على حالها فالحيوان إذا أراد اجتياز شيء أمامه، فإنه مثلا قد يقفز ولا يمكنه استخدام وسيلة معينة تساعده على ذلك[3] فسلوك الحيوان لايرتبط بالمعنى والرمزية،ولا يقوم على إدراك واع بالضرورة بالعالم أو بالجسم، وعلى هذا فالسلوكات

---

(1)- Merleau- Ponty, Rusumes de cours, Op. Cit, p14.
(2)- ———— , Existence et Dialectique,1ere éd, (Paris : Saint Germain, 1971) , p07.
(3)- Ibid p.p 22.23.

الرمزية هي ما يختص بها الجسم الإنساني.

ويرى سيشر Sicher أن السلوك الإنساني يتميز عن السلوك الحيواني لأن "المعنى" يرتبط بغريزة الإنسان وأن الوعي الإنساني يتجه إلى الواقع المرتبط به،فمثلا كلمة"حياة"ليس لها المعنى ذاته في الإنسانية والحيوانية، والاختلاف يظهر بالضبط في أن الحيوان لا يمكنه تحديد جسمه من بين الأجسام و الأشياء،أي الوعي به[1].

وخلاصة هذا أن السلوك الرمزي هو المعنى والدلالة،بل إن السلوك في حد ذاته هو معنى،فقد رأى فرويد
أن كل شعور يحمل معنى،مما يعنى أن السلوك البشري أساسه المعنى والرمزية، لذا فقد تحدث ميرلوبونتي حول تكون اللغة عند الطفل، وظهور السلوكات اللغوية.

فالطفل لا تصبح لديه القدرة على استعمال الكلمات،وتوظيفها والتصرف بالمعاني في سلوكاته،انطلاقا من تعلم واستماع الكلام من الآخرين، لأن هذا من شأنه أن يؤخذ وقتا، بل ان الطفل يعرف النواحي المنطقية المتعلقة بالجسم الإنساني والأشياء،ويعرف القيم الدلالية للغة،لأنه هو في حد ذاته يخطط لأفعال تحمل معنى،سواء في كلمات أو إشارات أو حركات[2].

وعلى هذا فالسلوك الرمزي ،هو خاصية إنسانية أولية، ومن وجهة نظر فينومنولوجية أنطولوجية، يكون الإدراك كتعبير أولي، إضافة إلى الوعي بالجسم الخاص،هو أساس هذا السلوك الرمزي،وهو بمثابة تعبير طبيعي، فكما ترى غيسلين شارون Chyslain Charron في كل سلوك تطرح قيمة تعبيرية وقيمة رمزية، لذا نميز بين السلوك الذي له معنى والسلوك الذي هو معنى،وأن السلوك اللغوي يقوم على هذا الصنف الثاني،كما يمكننا من خلاله الانتقال
من مجال ماقبل الشخصي إلى الشخصية، ومن التعبير الطبيعي إلى التعبير اللغوي، ومن الرمزية الضمنية، إلى الرمزية اللفظية [3] وهنا تظهر أهمية رمزية السلوك.

لذا فإن قليلا من الفلاسفة وعلماء اللغة المعاصرين، من اهتم بدراسة الجانب اللغوي الرمزي في السلوك
البشري، رغم أننا نجد جاك لاكان Jaque Lacan اهتم بدراسة الشعور انطلاقا من اعتباره اللاشعور بمثابة لغة

---

(1)- Bernard Sichere, Op. Cit, p48.
(2)- Merleau- Ponty, La Structure du Comportement, Op.Cit, p184.
(3)- Ghyslain Charron, Du Langage, A. Martinet et Merleau-Ponty,(Canada :Ottawa,1972) , p84.

متأثرا في ذلك بكل من فرويد ودي سوسير Freud et Saussure في محاولة منه لتطوير التحليل النفسي في فرنسا لكن ميرلوبونتي ولاكان،يختلفان من حيث المنطلقات والأهداف.

وبعد حديثنا عن السلوك اللغوي الرمزي الإنساني، ننتقل إلى الحديث عن قدرة الجسم على التعبير بصورة مفصلة. فكيف نظر ميرلوبونتي إلى الجسم على أنه وسيلة للتعبير؟ وكيف يمكنه بذلك خلق المعاني؟ .

2

2- الجسم وفعل التعبير

يقوم تصور فكـــرة الجسم على جانبين أساسيين أحدهما موضوعي والآخرذاتي فهنـاك جسم موضوعي وهـو الجسم البيولوجي كموضوع للعلم، في حين أن هناك جسم ذاتـــــي خاص وهو بالضبط موضوع تأملات الفيلسوف، إذ يرتبط هذا الجانب منه بما هو معيش كشعور يولد فينا كل أفعالنا وحركاتنا.

لـذا فـإن سلـوك ونشاط هذا الجسم يقـوم على المعنـــى، الـذي يرتـبط بكل مـا يعبر عنه الجسم من مـواقف وحركات وإشارات، فللجسم إذن قدرة على التعبير وأداء المعنـــــى، وقد حـاول ميرلوبونتي دراسة الجسم مــن هذه النــاحية، في فصل من أهم فصول كتـابه: **"فينـومنولوجيـا الإدراك"** وتحـت عنــوان "الـجسم باعتبـاره تعبيـرا وكـلامـا" Le Corps comme expression et parole فكيف يكون للجسم فعلا قدرة على التعبير ؟

لقد أكد ميرلوبونتي على أن الجسم الخاص، يملك وحدة تختلف عن وحدة الموضـوع العلمي لأنه يملك بداخله

حتى داخل وظيفته الجنسية قصدية وقدرة على أداء المعنى[1] ومن هذا المنطلق يجعـل ميرلوبونتي هدفه هو وصف ظاهرة الكلام والمعنى لتجاوز ثنائية الذات والموضوع، ذلك أنه ومن خـــــلال ما رأيناه سابقـا تظهـر لنا فينومنولوجيا ميرلوبونتي وهي تتميـز على خـــلاف غيرهـا من الفلسفات سواء فلسفة ديكارت أو مـعاصريه هـوسـرل وسـارتر من ناحية، وهي تحاول إعادة تأسيس العلاقة بين الذات والموضوع من ناحية أخرى.

وفي هذا الصدد أيضا كما يكون الجسم فكرة مركزية في عملية الإدراك، ومن خلال وظائف الرؤية والحركة وحتى المكانية ومن خلال حضوره مع الآخرين في العالم، فله كذلك القدرة على التعبير،بل أن الجسم هو قـدرة التـعبير الطبيعية لأنه يحقق المعنى في الإيماءة أو الإشارة بالنسبة إلى الآخرين.

إن هذه العلاقات التعبيرية التي يكونها الجسم هي ما تظهره كوحدة رمزية مختلفة، بما أننا موجودون في العالم

في إطار حلقة تعبيرية. هكذا ومن خلال الخبرة التعبيرية فإن الجسم هو هـذا الشيء الغامض الذي يستخدم أجزاءه الخاصة كرموز عامة، من خلالها نتعامل مع هذا العالم [2] .

(1)- Merleau-Ponty,La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, pXIV

(2)- Ghyslain Charron, Op. Cit, p83.

إن إحدى المسائل الأساسية– التي ينبغي أن نؤكد عليها- هو أن عملية التكـلم تخضع لتفسيرات مختلفة فالنظرية الآلية تجعلهـا تخضع لآلية المـثير والاستجـابة مـع إهمـالهالـدور الفكـر، وبالمقـابل هناك اتجاه عقلي،يعطي كل الأولوية للفكر و الأفكـار على حساب الكلمات فكيف سيحاول ميرلوبونتي انطلاقامـن فكـرة الجسم أن يتجاوز هذا التعارض القائم؟.

تـؤكد النظرية الآلـية أن الإنسان،يمكن أن يتكـلـم ،مثلما يمكن للمصباح أن يضـيء[1] فامتـلاك اللـغة يكـون

بوجود بسيط للكلمات،هذه الكلمات معطاة مع حالات الوعي لترتبط الكلمة بحالة الجسم الواعي وحركته وأحيانا لا

يكون للكلمة أو اللفظ أي فعالية في أداء المعنى،فهل يعني هذا أن المعنى يقوم على الفكر؟

إذا عدنا إلى موقف برغسون Bergson من هذه المسألة،فإننا نجده يرى بأن الفكر أوسع من اللغة،حتى
أنه في بعض الحالات نجدأن أفكارا تموت دون أن نعبر عنها،ويمكن لكل واحد منا أن يتأكد من هذا بالعودة إلى حياته
النفسية الداخلية.وخطأ هذه النظرية هو أنها لم تدرك أن الفكر يوجد في الكلام،فيؤكد ميرلوبونتي أن الطفل يستطيع التعرف على نفسه بأنه عضو في مجتمع لغوي قبل أن يعرف بأنه فكر ينتمي إلى طبيعة ما، وذلك بشرط أن تجهل الذات هنا نفسها كفكر، وتعرف نفسها ككلام، وكذلك أن تكون اللغة معبرة عن الأشياء والمعاني، وهكذا لايتولى الكلام ترجمة فكر تشكل لدى المتحدث، وإنما يقوم بإكماله[2] .

من هنا نقول أن المعنى المتضمن في الكلمة يمكن أن يكون ذاته المتضمن في إشارة الجسم وحركته لأن خاصية الغموض التي تميز الجسم تظهر من خلال الكلام والتعبير مادام هو في حد ذاته معنى،فهو الذي يظهر وهو الذي يتكلم[3]
فالجسم هو الذي يربط اللغة بالإدراك في إطار الخبرة الإدراكية والواقع المعيش.

فالجسم بما هو مدرك وبما هو موضوع إدراك يرتبط بالعالم ويصبح وحدة تعبيرية، لتعمل اللغة على تحديد

---

(5)- Merleau-Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit,p204.
(2)- Ibid, p207.
(3)- Ibid,p230.

الفكر من خلال ارتباطها بالواقع المعيش لأن أحدهما يقوم بالآخر،وكما يرى ميشال لوفيفر Lefeuvre أن التصور الذي قدمه ميرلوبونتي يرفض ما بقي مشوها من قبل التجريبيين والعقليين [1] .

ما نستنتجه هو أن القدرة التي يمتلكها الجسم على أداء المعنى والتعبير هي ما يحدد مكانة الجسم في العالم
ويميزه من بين الأشياء،فالوعي بالجسم الخاص يفترض وجود المعنى،ويرتبط هذا المعنى بالقدرة على التعبير والتجاوز
ليكون الجسم باعتباره معنا حاضرا في مناطق المعنى.

وهذا لايعني أن قدرته على المعنـــى تتوقف على مواضيع معينة، بقدر ما تتعلق بمواضيع طبيعية ومواضيع ثقافية مثل الكلمات [2]فإذا رأى شاب فتاة فأعجب وافتتن بجمالها، قد يقول مثلا بصفة مباشرة، يالها من فتاة رائعة
أو يحاول أن يعبر لها عن شعوره من خلال حركات وإشارات معينة، ففي هذه الحالة نقول أن جسمه تحرك وأصدر
تلك الكلمات أو تلك الإشارات،لأن ما شعر به ذلك الشاب تجمع في كامل أعضاء جسمه،ليعبر عنه الجسم في النهاية

إن المعنى في هذه الحالة لا هو راجع لفكر مسبق ولا هو ناتج عن الكلمات بقدر ماهو الكلمة في حد ذاتـها كفكرة، أي أنه مباطن فيه، كما أن الإيماءة تتضمن معناها أي أنها هي المعنى،لتظهر لنا علاقة العلامة بالجسم، وقد

رأى ميشال فوكو في دراسته لتطور النظرة الطبية في الغرب، أنه في مرحلة الطب العيادي،ارتبط المرض باللغة، فنـــوع المرض هو الدال، وأعراضه على الجسم تمثل المدلول، أي أن الجسم لغة،تعبر عن نوع المرض.

مع أن اهتمامات فوكو تبتعد نوعا ما عن اهتمامات ميرلوبونتي، والمهم بالنسبة لنا هو ما أكد عليه ميرلوبونتي من أن القدرة التي يمتلكها الجسم هي أداء التعبير وقد أشار إلى ذلك في **"نثر العالم"La Prose du monde**

حيث يرى أني عندما أتلفظ بكلمة فان كل أعضاء جسمي تتجمع من أجل النطق بتلك الكلمة،وكأن جسمي كله ينطق بها،مثلما تلتقط يدي شيئا ما[3] .

إن ميرلوبونتي ومن خلال تأكيده على الخاصية التعبيرية للجسم،يسعى للكشف عن الأساس المشترك وراء

(1)- Michel Lefeuvre, Merleau- Ponty ou de la de la phénoménologie,(France :Librairie klincksieck,1976),p24.
(2)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit, p272.
(3)- ——————— , La Prose du Monde,Op.Cit,p28.

اللغة، أي التواصل المسبق، وما علينا إلا إعـــادة اللغة إليه، ذلك أن أساليب التعبير المختلفة وما تتسم به لغة أو لغة أخرى، ماهي إلا أساليب الجسم البشري التي يتخذها للانخراط في العالم[1] لأنه لغة طبيعية على اعتبار الوعي الخاص به كوسيلة للتعبير.

ومما سبق كذلك يمكننا تأكيد أن الجسم بصفته وعينا الخاص وانخراط ووجود في العالم، يكون هو أساس ومصدر ما يوجد في العالم من معنى، بل إن الجسم في حد ذاته هو المعنى،وإذا كان فيلسوف الوجودية سارتر يرى بأنه محكوم علينا بالحرية بحكم أن الإنسان مشروع دائم التجديد، فإن ميرلوبونتي يرى" أنه محكوم علينا بالمعنى"[2] nous sommes condamnés au sens وهي مقولة أكد عليها ميرلوبونتي نظرا إلى وجـودنا الجسماني
الواعي في هذا العالم، فلا نحن مقذوف بناء في هذا الوجود، ولا نحن في قلق دائم ومستمر، وإنما نحن ذوات تحيى مع ذوات أخرى في إطار وجود واحد هو الوجود في العالم.

وإذا كان هيدغر يرى أننا من خلال الخبرة الداخلية، نستطيع التعبير لتكون هذه الخبرة أساس قراءة وفهم الوجود، وأن اللغة هي وسيلة لتأويل الوجود انطلاقا من الذات[3] فإن ميرلوبونتي من خـلال تعبيرية الجسم* وأداء المعنى من خلال مختلف وظائفه، يؤكد على دور الذات ،في السعي الدائم للوصول إلى المعنى و محاولة الكشف عنـه لا عن معنى الوجود بقدر ما أن الجسم مبدع المعنى من خلال نظرته[4] .

ليظهر لنا أن فعل المعنى قائم بين حركة الجسم والوجـــود، والوجود هنا بمعنى الموجـــود أو الموجودات لأن ميرلوبونتي - كما ذكرنا ذلك سابقا- يسعى لإعادة تأسيس علاقة الذات، كذات واعية بالموضوع كوجود واقعي من خلال فكرة الجسم القادر على التعبير، لنؤكد أن ميرلوبونتي استطاع أن يعيد تلك الوحدة المفقودة بين الذات والموضوع منذ ديكارت، كما تجاوز ثنائية التجريبية والعقلية، والـتي لم يستطع هوسرل تجاوزها، لأن فينومنولوجيته بقيت محصورة

(1)- الشاروني حبيب، مرجع سابق، ص141.
(2)- Merleau- Ponty,La phénoménologie De la Perception,Op. Cit, p215.
(3)- Revue de Métaphysique et de Morale, Op. cit, 128.

(4)- Ibid, p130.

*)- هذه بعض العبارات من **"فينومنولوجيا الإدراك"** تبرز تعبيرية الجسم: إنه حركة التعبير" ص171 "إنه قدرة التعبير الطبيعية" ص211 "إنه مكان أو حالية ظاهرة التعبير" ص271.

في الذات المتعالية.

ونجد ميرلوبونتي يؤكد على أن كل إدراك وكل استعمال بشري للجسم إنما هو منذ البداية تعبير أولي [1] فقد كان كل هاجس ميرلوبونتي هو توضيح طبيعة هذه اللغة الأولية بما هي تفعيل جدلي بين الجسم والإشارة، مقابل لغة الألفاظ الأكثر ارتباطا بما هو اكتساب ثقافي .

(1)- Merleau- Ponty, Signes, Op. Cit, p84.

3-الإشارة أو الإيماءة الجسدية

هكذا وبعد أن رأينا الجسم من خلال حركته الواعية في العالم، يحاول أن يحول أو يترجم خبرته التي اكتسبها في إطار المعيش إلى رموز ذات معنى في أسلوب تعبيري خاص، لنجد أن هذا التعبير يتجسد في حركات أو إيماءات أو إشارات، فما المقصود بالإيماءة الجسديةla mimique ؟

إن الإيماءة هي التي تشير. فمثلا كما يرى ميرلوبونتي، أني لاأعيش الغضب كحدث نفسي مختفي وراء الحركة

وإنما الإيماءة أو الحركة هي الغضب ذات، ذلك أن معناها لا يسبقها ولا يليها،بقدر ما أن الإيماءة هي معناها،بحيث

أنها معطاة مع هذا المعنى،فكيف يكون ذلك؟يؤكد ميرلوبونتي على أن التواصل بالإشارات يكون بالتبادل بين قصدياتي

وإشارات الآخرين وبين إشاراتي و القصديات الظاهرة في تصرفاتهم[1].

تظهر لنا هنا طبيعة العلاقة بين الإيماءة ومعناها،فالمعنى متضمن في الإيماءة ذاتها،وما على، إلا أن أحاول فهم هذا المعنى لأن المعنى ليس كالزبد فـوق الكعك كما يرى ميرلوبونتي،فالإيماءة إذن نمطمن الأسلوب الاتصالي بين الذوات
ينكشف فيهاالمعنى،كما يتجلى فيها سر وجود اللامرئي في المرئي.كما نلاحظ من جهة أخرى ،أن هذه الإشارات أو
الإيماءات الجسدية،هي ضرب آخر من ضروب الذاتية المتبادلة في إطار إشكالية الآخر،خصوصا ما يرتبط بمسألة الإدراك واللغة،لذا نجد أن هذه الإيماءات كما أرادها ميرلوبونتي،تعطي طابعا جديدا من حيث الطرح ،لمسألة الجسم والآخر ليمتزج الصمت بالإشارة والإشارة بمعناها.

Chyslainأن الجسم هو وسيلتنا الناجحةلمعرفة العالم بما أنه يحدد إشارات وحركات ثابتة وترى غيسلين
وضرورية في الحياة،لأنه يقدم معاني مجازية مـن خلال هذه الإشارات[2]لذا تعتبر هذه الإشارات، لغة قائمة بحد ذاتها
فرأى ميرلوبونتي ضرورة البحث عن المخططات الأولى للغة في الإيماءات الجسدية،إلا أن الصعوبةتكمن في عدم وجـود
مفاهيم طبيعية تحول الإشارة الاصطناعية أو الاتفـاقية إلى تلك الإشارات الطبيعية،ومع ذلك يبقى لتلك للإحساسات
المرافقة للإيماءات ارتباط وثيق بالأجسام،ولها أهميتها بالنسبة لميدان اللغة.

(1)- Merleau-ponty,La phénoménologie de la perception,Op.Cit,p215.
(2)- Ghyslain Charron,Op.Cit,p84.

فإذا أردنا أن تكون هناك إشارات طبيعية،يجب إيجاد،"حالات وعي" états de conscienceتقدم و
تحتوي على تنظيمات أولية لأجسادناتناظر إشارات معينة،لأن هناك دائما اختلافات بين الإيماءات،فمثلا إيماءة الغضب
أو إيماءة الحب،لا تـكون هي ذاتـها الإيماءات المـوجـودة عند الأوروبي مثلا،ذلك أن هذا الاختلاف، يغطي اختلافـا في الإحساسات ذاتها،بما في ذلك الوضعية والتعامل مع الوضع[1].

وما يتضح لنا من خلال ماسبق،هو أن الحالة الواعية الـواحدة ،يمكن أن تعبر عنها إيماءات جسدية مختلفة
لذلك لكي يعبر بعض الأشخاص أحيانا عن سعادتهم قد يكتفون بنوع من الابتسامة في حين لا يمكن لغيرهم التعبيرعن
هذه السعادة إلا بأداء حركات معينة،وعلى هذا ،نجد اختلافا في توظيف و اختيار الإشارات والإيماءات الجسدية
للتعبير عن حالات وعي معينة ،قد تكون الحالة نفسها.

فالوعي،الإشارة والمعنى هي عناصر ثلاثة يقوم أحدها على الآخر،ذلك أن الإشارة أو الإيمـاءة، أو إن شانا

الحركة هي مصاحبة للأفكار وأن القصد العملي للوعي يجعلها إشارات متولدة،فمهمته هنا هي إخراج وإظـهار تلك
الإشارة ذات المعنى[2]وهذا ما يظهر الأهمية التي تأخذها الإيماءة الجسدية،وذلك من ناحية وظيفتها في الاتصـال بيـن
جسمي وجسم الآخر،فهي تكون بالنسبة لي كسؤال وتحاول إخباري أشياء كثيرة عن العالم،ويكتمل التواصل عـندما
يكون تصرفي في هذا الإطار.

فهناك إثبات للآخر من خلالي واثبات لي من خلال الآخر،فأدرك هذا الآخر وكذا الأشياء من خلال جسمي
فمعنى الإشارة الجسدية يمتزج مع بنية العالم،حيث تكون هي حاملة المعنى في هذا العالم،لأنه لا يوجد إلا معها[3] إلا
أنه من شرط هذا التواصل أن تكون الإشارات أو الإيماءات بين شخص وآخر مع وجود اقتراب في الثقافة،لأننا بطبيعة
الحال لا نفهم شيئا من إيماءة الحيوان،كما نجتهد في بحث وفهم الاختلاف و التشابه بين الحضارات و الثقافات ،لما من

---

(1)- Merleau-ponty,La phénoménologie De la Perception,Op.Cit,p.p 219.220.
(2)- _____ ,La Structure Du Comportement,Op.Cit,p176.
(3)-Bruno Huisman,Les Philosophes et Le Langage,(Paris: Caint-Germain,1986),p318.

شأنه أن يخلق عالما خاصا[1]ويرجع هذا أساسا إلى الواقع المعيش الفردي رغم اختلاف طرق تفكير وتصرف الأشخاص
إلا أنه توجد ظروف وحالات محددة ،من تاريخ ،و حضارة ولغة...تجعل الأشخاص يتفقون على أفكار و مبـــادئ
ثابتة .

وهذا ما أشار إليه المفكر الألماني المعاصر أرنست كاسيرErnst Cassirer إذ رأى أن الإشارة هي
وحدة بين"الداخل"و"الخارج"بين "الروحي"و"الجسدي"وأكد على أهميتها من الناحية اللغوية فميز بين لغات الشعـوب
البدائية،ولغات الشعوب المتقدمة،وعلى الرغم من وجود علامات ورموز لغوية،إلا أن هناك أفكـارا و مـواضيعا،يعبر عنها بإشارات جسدية[2]وهي مساوية للكلمة من ناحية الأهمية التعبيرية،بل إن الإشارات و الإيماءات الجسدية غنية من ناحية المعنى،فهي بمثابة أشكال طبيعية متضمنة للمعنى مقابل الإشارة الإصلاحية الاتفاقية .

كما أننا في اللغة العادية،نصنف اللغات إلى أقسام وأنواع مختلفة من ناحية الألفاظ والقواعد والتراكيب فانه مع
الجسم وإيماءاته هناك لغة واحدة و حيدة نحياها وهي جزء من عالمنا،فكما أن جسمي الواعي حاضر في العالم فان

المعنى لا ينسى حضوره في الإيماءة،فهل يمكننا القول بأن ما تتصف به الإشارة الجسدية من معنى هو نفسه ما تتصف
به الإشارة اللغوية من معنى؟ وكيف نظر مرلوبونتي إلى كلا الإشارتين بالنسبة إلى تعبيرية الجسم؟

(1)- A.de Walhens ,Op.Cit,p157.
(2)-Ernst Cassirer,La Philosophie Des Phormes Symboliques,1Langage,Trad. par,Olehansen-Lave,et Jean Lacoste
(Paris :Les éditions minuit,1972),p.p 129.130.

3-الإشارة اللغـوية

لقد رأينا الأساس الذي تقوم عليه نظرية مرلوبونتي حول الإيماءة الجسدية،على اعتباران الإيماءة في حد ذاتـهـا
هي معناها،ووضحنا ذلك بالمثال و التحليل،لنحاول الآن أن نعرف كيف طور ميرلوبونتي موقفه هذا ليشمل الإشارة اللغوية،وذلك دائما من خلال فكرة الجسم .

ربما من الطرافة أن يكون الحديث عن الجسم بهذه الطريقة،فهو المدرك،المتحرك والناظر..وهو أساسا المتكلم
المعبر من خلال جملة من الحركات والإيماءات،وهو إضافة إلى ذلك مصدر الإشارة اللغوية،فقبل أن نقول بان الكـلام هو
فعل من أفعال التفكير،فانه يكون ببساطة من أفعال الجسم .

يرى ميرلوبونتي أن الكلمة بما هي تمثل جزءا من العالم اللغوي،فانه ليست لدي وسيلة لاستحضارها غير أن
أنطق بها،وذلك مثلما أن الفنان ليس لديه وسيلة أخرى لاستحضاره غير انجازه[1]لذا فان جسمي هو الوسيلة الوحيدة
والمباشرة للنطق والكلام،وإذا كانت الإيماءة الجسدية هي معناها تكون الإشارة اللغوية هكذا هي معناها،إذ لا أسبقية
للفكر على الكلام و لا للكلام على الفكر.

أما بالنسبة إلى المعنى اللغوي فهو نوعان أساسيان،أنـظـمة الـصرف والـنحـو،وهـي تجـسد "وسـائـل الـتعبـير" Moyens d’expression وتـوجد كمشروع لأفعـال الكـلام Actes du Parole ،ولكـن هنـاك معنى لا يصاغ فقط لكي يحـول إلى الآخر و الاتصال بالآخرين،و إنما معنى يصاغ لمعرفة الوجـود لذاته نفسه[2]لـذا فـان المعنى والتعبير في حد ذاتـه ، لا يكـون إلا بهـدف

تأصيل سؤال الذات،من خلال مختلف أشكال التعبير وما يحمله من مقاصد تسعى لإثبات وجودها، سواء في إشارات الفرح، الغضب أو الحزن...وغيرها،وهذا ما كان يقصده مارتن هيدغر حيث يقول:"اللغة بوجه عام وقبل كل شيء،ما يضمن إمكان الوجود،وسط موجود،ينبغي أن يكون موجودا منكشفا"[3].

(1)- Merleau-ponty,La phénoménologie De la Perception,Op.Cit,p210.
(2)- Ibid,p229.
3)-مارتن هيدغر،هيلدرلين و ماهية الشعر،ت،فؤاد كامل،ط2،(القاهرة:دار الثقافة للطباعة والنشر،1974)،ص146.

فاللغة بما هي إشارات و رموز،تعتبر رؤية للوجود ولكن هذا لا يعني أن الذات تبقى مرتبطة بهذه الإشارات
ل إن المعنى يعطي للذات القدرة على تجاوزه،ذلك أن الإشارة تبقى محددة ،واللغة كما يرى ميرلوبونتي ليست سجنا
نحن محبوسون فيه،أو هي عبارة عن دليل يجب علينا إتباعه[1]و ذلك لأنها لا تستنفذ كل قدراتها وطاقاتها في توصيل
المعاني والتصورات،فإذا كان دي سوسير ينظر إلى اللسان على أنه نظام من العلامات لا يعرف إلا نظامه الخاص،فاللغة
بما هي ألفاظ ،بحيث كل لفظ يقابله معنى،فان ما يميز هذا المعنى في فينومنولوجيا اللغة هو الكثافة،إذ يوجد في الإيماءة الجسدية واللغوية،مع أنه ليس معطى لي،وإنما أحاول البحث عنه والوصول إليه .

لذا فان للغة طبيعة خاصة ناتجة عن طبيعة الإشارة اللغوية ذاتها،ذلك أنها تظهر رغبات الذات،وهي ناتجة عن
قدرة محركة،لان الوعي كما يرتبط بالتفكير فانه يتعلق بالممارسة والجانب العملي، لذا فان الإشارة اللغوية تحدد في
العالم اتجاهات كما ترسم أوجها،ونؤسس أبعادا و معاني[2]وتكون هذه الإشارة اتفاقية،مقابل الإشارة الجسدية الطبيعية
فقد رأى دي سوسير أن العلامة توجد وفق استخدام معين لها، في حين يقوم المنظور الفينومنولوجي الميرلوبونتي على
اعتبار أنها تقوم على القصد الموجه لها،وكذا ظهورها في سياق الكلام مثل ما يظهر من نبرة الصوت،واختيار القواعد
و المعاني المشكلة لها...

يمكن مع ذلك أن تشير العلامة إلى معنى محدد،لكن إذا تناولنا العلامات أوالاشارات مجتمعة فإنها توحي إلى
معنى مؤجل،أستطيع كما يقول ميرلوبونتي أن أتجاوزها نحوه.لأن تعلم الطفل مثلا لا يتوقف على ما يكتسبه من معاني
نحوية،معجمية ومورفولوجية[3]ذلك أنه لا يمكنني أن أقارن بين ما أود التعبير عنه ووسائل التعبير المستخدمة،لذا فان
هناك واسطة بين المعنى الذي أريدالتعبير عنه أي المعنى القصدي وبين ماأستخدمه من كلمات للتعبيرعن هذا المعنى
وهذه الواسطة هي معنى كلامي،بحيث أنا ذاتي تفاجئني كلماتي وتعلمني فكرتي،فالإشارة اللغوية لا ترتبط بالتفكير

بقدرماترتبط بما أستطيع التعبير عنه[4]ويمكن لأي شخص أن يقع في هذه الحالة إذ لا تفهم المعنى إلا أثناءحديثك فمثلا

(1)- Merleau-ponty,Signes,Op.Cit,p101.
(2)- Ghyslain Charron,Op.Cit,p87.
(3)- Merleau-ponty,Ibid,p110.
(4)- Ibidem.

إذا طرح الأستاذ على التلميذ سؤالا بصفة مفاجئة وحتى عادية،فانه مباشرة يشرع في الإجابة،ويفهم المعنى في اللحظة التي يجيب فيها،أي أن هناك تزامنا في الظهور بين الكلمة ومعناها.

ولأجل ذلك يرى اللغوي الألماني هامبولدت Hamboldt أن اللغة ليست نتيجة ،بقدرما هي فعل إظهار ،أي إظهار للمعنى الذي يتجسد على أنه نظرة للعالم وذلك انطلاقا من النظرة الإنسانية[1]و المقصود هنا هو الارتبـاط بالجانب العملي الممارساتي لأن الفعل اللغوي ليس مجرد فعل تفكير،لذا اتجهت فينومنولوجيا ميرلوبونتي إلى الواقع .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن الاهتمام مشترك بين ميرلوبونتي وكاسير،هذا الأخير الذي يرى أن اللغة لا توجد في العناصر الناتجة عن التحليل والتجريد،ولكن في العمل الذي يكرر إقامة الفكر،لأجل جعل الصوت اللفظي ،جديرا بالتعبير،وهذا ما سماه كاسير بماهية وشكل اللغة[2]ليبقى المعنى موجودا في الكـلام والتعبير، فلا هـو سابـق الإشارة اللـغوية ولا هـو لاحق بها،بـل إن المعنى هنا كما رأينا في الإيـماءة الجسدية مباطـن في الإشارة اللغـوية،فالـفرح مثلا هو الإشارة التي تدل عليه.لتحقق كل من الإشارتين الجسدية واللغوية علاقة الجسم بالعالم .

وإذا كان دي سوسير يرى أن اللغة لا تحمل أفكارا ولا أصواتا وإنما اختلافات بين الأفكار والأصوات،فان ما يراه ميرلوبونتي في اللغة،كاللغة الفرنسية العادية هو أنها ليست عبارة عن مجموعة من الألفاظ،ولا هي عدد غير محدد من الكلمات ،بل إن مظاهر التعبير هي التي تحدد كل كلمة،و كل شكل بحسب قانون استعماله اللغوي[3].

ويتضح من هذا العرض البسيط أن اللغة تظهر في فعل التعبيركما تحدده الذات المتكلمة لتكون هذه اللغة ليست مجمـوع كلمـاتها،وإنما هي مجمـوع الاستعمالات التي تخضع لهـا اللـغة،لتظهـر هذه الاستعمالات في أفـعال التعبير المختلفة

و صحيح أن دي سوسير لم يرفض كلية الدراسة التاريخية ولم يخرج الكلام من دراسة اللغة،إلا أنه جـعل اللسان وحده الموضوع الأول للدراسة العلمية،ليكون موضوع الفينومنولوجيا اللغوية هو الكلام وأفعاله بما هو خاصية للذات المتكلمة

لنؤكد على الارتباط بين الإشارتين الجسدية واللغوية معا ذلك لأن"حركة الجسم مثل الكلمات..تبقى غامضة

(1)- Jan-Pierre Chacosset,Op.Cit,p55.

(2)- Ernst Cassirer,Op.Cit,p108.
(3)- Merleau-ponty, La Prose Du Monde,Op.Cit,p.p 45.46.

الكلمات،تصدر مثل حركاتي، إنها ترتبطبما أريد قوله،مثلما ترتبط حركاتي بما أريد فعله"[1]فهما يظهران في الموقف الكلي للجسم،وكلها أشكال من أشكال المعنى والصوت،الكلمة والصمت،من خلال جدلية المرئي و الامرئي،في إطار فينومنولوجي وجودي .

لكن ومن خلا ما سبق أيمكن أن ننظر إلى كل من الإشارتين،الجسدية واللغوية من منظور واحد ؟يعترض برينو ويسمان Bruno Huysmans على هذا الربط المباشر بينهما،ويرى أنه من غير الممكن أن تؤدي الإشارة أو الحركة الجسدية المعنى نفسه الذي تؤديه الإشارة اللغوية،كما أن الإشارة الجسدية تشير إلى العلاقة بين الناس و العالم المحسوس،وأن[3] هذا العالم معطى للمشاهد من خلال الإدراك الطبيعي،أما الإشارة اللغوية فهي،على العكس من ذلك تقدم مشهدا ذهنيا غير معطى لأحد من الناحية الحسية،كما أن للإشارة اللغوية ، قدرة أكثر من الإشارة الجسدية على أداء التواصل[2] وهذا صحيح إلى حد ما،لكن ما قصده ميرلوبونتي هو التأكيد على فكرتين مهمتين،أولا أن الجسم هو مركز وأساس الإشارتين معا،وثانيا أن المعنى في كلا الإشارتين متضمن فيهما.

ويذهب ميرلوبونتي إلى حد التأكيد على أن"الكلام هو حركة،العالم معناها" la Parole est un Gest,sa signification un monde لتظهر لنا تلك العلاقة التي تقوم بين الجسم والعالم، الكلام و المعنى

ليكون الجسم هو أساس علاقة الذات بالموضوع،فما الإدراك إلا حضور الجسم و العالم في علاقة واحدة مباشرة، بما

يحتويه العالم من كثافة الأشياء و الآخرين ومختلف الموضوعات،وذلك بما أني أعي جسمي الخاص،لأني أنا ذاتي وعين

جسمي .

ومما سبق ذكره حتى الآن،نرى أنه لم يعد الحديث في فينومنولوجيا ميرلوبونتي قائما حول الذات المتعالية الكامنة

خلف سراديب الوعي،ولا عن وجودين لذاته وفي ذاته يشطران الوجود إلى قسمين،بقدر ما أن هناك ذاتا واعية بجسمها

الخاص الحاضر في العالم،ذلك الجسم الواعي المتحرك و المدرك والمتكلم .

إن الخاصية التعبيرية للجسم-رغم طرافتها-تحمل الكثير من التصورات الجديدة حول فكرة الجسم،في الفلسفة

(1)- Merleau-ponty,Signes,Op.Cit,p190.
(2)- Bruno Huisman,Op.Cit,p318.
(3)- Merleau-ponty,La Phénoménologie de la Perception,Op.Cit,p214.

من خلال التناول و الطرح.وهكذا بعد أن تحدثنا عن أهم العناصر المكونة لفينومنولوجيا ميرلوبونتي،ورأينا تلك القدرة التي يتميز بها الجسم من خلال أداء المعنى و

التعبير.سنحاول أن نتعرف على أهم الإشكاليات المطروحة في مسائل اللغة والكلام والفكر والفن،وغيرها من العناصر التي تمثل فلسفة ميرلوبونتي،ومنظوره الفينومنولوجي للغة .

الفصل الثالث

تمهيـــد

اعتبر الفلاسفة والمفكرون أن اللحظة الديكارتية، تمثل بالتحديد مولد الذاتية باعتبار أنها حددت المعالم الكبرى لسمات الفلسفة الحديثة انطلاقا من العقلانية، الذات المفكرة ومبدأ الشك المنهجي في العالم.

فقد اعتبر ديكارت أن الذات هي مدركة الأشياء، وبالتالي وصل إلى أن المعرفة توجد في ذاتي [1] وإن هذه الأولوية التي تتميز بها الذات المفكرة كانت بمثابة أفق فلسفي تبنته فلسفات كثيرة، فالفينومنولوجيا كمذهب فلسفي

تمثل ضربا من ضروب الذاتية فقد كتب هوسرل تأملاته على منوال التأملات الديكارتية، إلا أن ماوجهته الفينومنولوجية الهوسرلية مـن نقد للعقـلانية الديكارتية هـو وقوعـها في النزعـة النفسية، فقد ميز هوسرل بيـن الأنـا النفسـي والأنـا الترنسندنتاليtranscendantalمن خلال وضع العالم بين قوسين،والشك في العـالم من خلال الإحالة و الايبوخيا.

لذلك نجد أن هوسرل ذاتـه يؤكد علـى أن الفينومنولوجيا،ليست نظـرية تمثل الظـواهر الـواقعية للعـالم،ولكـن الظواهر ذاتها تخضع لإحالات ترنسندنتالية [2] فإذا كانت المثالية النقدية الكانطية،ترى أنه لايمكننا الوصول إلى معرفة الأشياء في ذاتها،فإن الفينومنولوجيا مقابل ذلك ونقدا للذات المفكرة الديكارتية ترى حسب هوسرل ضرورة التأكيد على دور ذات ترنسندنتالية متعالية، من خلال كوجيتو Cogito ترنسندتالي يعيد تأسيس القول الفلسفي والتنظير

لمعرفة أكون فيها أنا كذات، مانح المعنى للعالم ،باعتبار أن كل وعي هو وعي بشيء ما.

كما أخذت فينومنولوجيا هـوسرل على عاتقهـا، إعـادة تأسيس المعرفـة العلـمية ضد فلسفـات تجـريبية وضعية -التي تنطلق من الوقائع التجريبية المحضة كأساس- من خلال الأنا الترنسندنتالي L'ego transcendantalلكـن هذا المنطلـق هـو مارفضه بعـض أتبـاع هوسرل، فلـماذا ؟ ان الفينومنولوجيـا تصبـح هكـذا، وببساطة مجـــرد مثاليـة مناهضة للواقع.

لذا يعد ميرلوبونتي من أكبر الفينومنولوجيين. إذ سعى لربط الفينومنولوجيا بالواقع، في محاولة منه لتقييم حصيلة

---

(1)- Descartes, les principes de la philosophie,Livre première,(Paris: librairie A.hatier,1948) p35.

(2)- Edmund Husserl, Idées Directrices pour une phénoménologie, Op. Cit, p07.

مسيرة الذاتية من ديكارت حتى هوسرل،فيتساءل في مقدمة " **فينومنولوجيا الإدراك" la Phénoménologie De la Perception**، ماهي الفينومنولوجيا؟للوهلة الأولى يبدو من الغريب طـــرح هذا السؤال،بعدأن حدد

مؤسس الفينومنولوجيا موضوعها الحقيقي، إذ يرى ميرلوبونتي أن الفينومنولوجيا هـــي دراسة للماهيات مثل الإدراك والوعي . . . ، إلا أنها فلسفة تعيد وضع الماهيات في الوجود، وهي ليست قائمة على الاعتقاد أنه بالامكان فهم الإنسان والعالم بصورة مغايرة لتلك التي تقوم على الانطلاق من وقاعيتها[1].

يتضح لنا أن ميرلوبونتي،يريد التأسيس لفينومنولوجيا تدرس علاقة الذات بالعالم لا انطلاقا من ذات متعالية، بقدر ماهي ذات موجودة في عالم واقعي، فهي ذات متجسدة فيه، ليصبح الجسم في فينومنولوجيا ميرلوبونتي، ووعينا به هو أساس حضورنا في العالم، وهو أمر لم ينتبه سارتر إلـى قيمته، رغم دراسته لفكرة الجسم، بـل اكتفى بتقسيم الوجـود إلى **وجود لذاته ووجود في ذاته L'être Pour soi et L'être en soi** فالمعرفة كما يقول ليست غيرحضور الوجود في الوجود لذاته والوجود في ذاته[2] .

إن ما يميز النظرية الميرلوبونتية الفينومنولوجية مبدئيا هو اتسامها بالشمول المعرفـــــي،إذ دخلت في حوار مع مختلف العلوم الطبيعية والإنسانية، لتكون فكرة الجسم نقطة ارتكاز و يناقش من خلالها مسائل الإدراك،الآخر و العـالم وحتى قدرة هذا الجسم على التعبير، محاولا تجاوز الثنائية الكلاسيكية بين النزعتين التجريبية و العقلية وهي مسائل نتناولها بالتحليل، النقد والمقارنة. فكيف نظر ميرلوبونتي إلـى مسألة الإدراك؟ ما علاقة الذات بالجسم ؟ والجسم بالآخر ؟ ماهي مكانة الجسم في العالم؟ وأخيرا كيف يكون جسمي قادرا على خلق المعنى وأداء التعبير؟.

(1)- Maurice Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,(Paris : Gallimard, 1945) p I.
(2)- J – P, Sartre, L'être et le N'eant, Essai D'ontologie Phénoménologique, (Paris : Caint Armand, 1980) p258.

I- اللغة و الفكر

1- طبيعة اللغة

تقوم فينومنولوجيا ميرلوبونتي على ضرورة العودة إلى الخبرة الإدراكية، من خلال الارتباط بين الإدراك وما هو
معيش، وتقوم فينومنولوجيا الإدراك أساسا على العلاقة القائمة بين الوعي والعالم،ولا تكون هذه العلاقـــــة إلا مرورا بفكرة الجسم،والهدف من هذا هو ما سعت إليه الفينومنولوجيا كفلسفة من تجاوز كلا الاتجاهين التجريبي والعقـلاني

ذلك أن النـزعـة التجريبية تعتبر العملية الإدراكيـــة،مـا هي إلا عملية تلـقى وتسجيـل معـطيات خـارجيـة لتتجمع بعد ذلك مكونة موضوعات خارجية مع ارتباطها بماهو واقــعي، في حين نجد أن النـزعة العقلية مـقـابل ذلك
تؤكد على أولوية العقل،ودوره في ترجمة وتأويل ما يتلقاه الوعي من معطيات .

وعلى هذا، فنحن أمام نوعين أو نمطين من الإدراك، أولهما إدراك سلبي، أي أنه عملية آلية للتلقي، أما النـوع
الثاني فهو إدراك يقـوم أساسا على دور العقل في عملية تلقي المعطى، وهما بمثابة موقفين أمام الفينومنولوجيا، فكيف تستطيع تجاوزها، وما هو موقف ميرلوبونتي؟

خصص ميرلوبونتي قسما هاما من كتابه **"فينومنولوجيا الإدراك" Le perception "phénoménologie de la** لمناقشة أفكـار هذين المذهبين ، والـرد

عليهما، لكن سنحاول التركيز على أهم الانتقادات التي وجهها ميرلوبونتي لهما، ففي رده على الاتجاه الآلي ،يرى أنه أثناء عملية الإدراك،فإن ما نتلقاه من معطى لا يكون من خلال رابطة أو طريقة آلية مباشرة، ولكن المعطى يظهر من خلال علاقته بالوعي ذاته [1] .

ولكن هذه العلاقة لا تكون بحضور تلك الذات المتعالية التي تحدث عنها هوسرل، وإنما من خـــــلال الوعي بالجسم والذي هو أداة الإدراك، وسنرى فيما بعد كيف تتم هذه العملية،وإذا كانت النزعة التجريبية كما رأينا تجعل من الإدراك عملية آلية ناقلة، فإن النزعة العقلية تضفـــــي عليه أحكام العقل وأفعاله التأويلية،ومع أننا لا ننكر دور

(1)- Merleau- Ponty, La Phénoménologie de la Perception,Op. Cit, p26.

العقل، إلا أننا عندما ندرك موضوعا معينا مثل رؤيتي لمكعب ذي ستة أوجـــــه، فإنني لن أتمكن من إدراك أوجهه كلها إلا إذا تحركت، مع أن حركتي أو دوراني لن يغير من وضع الشيء المدرك[1] بل على العكس إذ ومن خلال التفكير في جسمي كموضوع، فإني أستطيع كشف الموضوع المدرك.

وفي هذا يرى أندريه روبينيه Andre Ronet خلافا للتجريبيين أن الإدراك الحســـي لا يحدث في العالم لأنه من المستحيل أن تمحي الثغرة الموجودة في العالم والتي هي نحن وأيضا خلافا للعقليين، فإنه يجب علينا تجاوز فكرة انقسام الإحساس إلى حاس ومحسوس، ذلك أن هناك موقفا أشارك فيه بنظرتي وأستلم فيه المشهد[2] .ليظهر لنا هنا أن الجسم هو وسيلتنا لإدراك الموضوعات، لتصبح فكرة الجسم عند ميرلوبونتي ، هي أساس نظرية الإدراك ومحورها المركزي،انطلاقا من الوعي،وخبرة الجسم وواقعه المعيش،وقد تأثر ميرلوبونتي في هذا بعلم النفس الجشطلت Geistelt* ذلك أننا ندرك الشيء في كليته ، فإدراكي لشيء ما لا يكون بتجميع خصائصه منفصلة، كالشكل ثم ثم الصلابة،فاللون. . .بل كمعطى كلي مباشر، فإدراك الكل أسبق من الجزء.

إن العالم ليس الذي أفكر فيه، بل الذي أعيشه، لأنـــي منفتح على العالم ذلك أن الإدراك ما هو إلا علاقة أو معية قائمة بين الذات والعالم،لذا فإننا نجد ميرلوبونتي يؤكد"أن جسمي هو تلك النواة الحالة، والتي تتصرف كوظيفة عامة
إلا أنه موجود، ومن خلاله نتعرف على تلك الرابطة بين الماهية والوجود، والموجودة عامة في الإدراك والتي نكشف عنها كلية"[3] .

وبذلك يكون الجسم كأساس للإدراك هو كذلك مركز التقاء الخبرات المعيشة والتي تعد من المسائل الأساسية
التي تقوم عليها الفينومنولوجية الوجودية كفلسفة، ذلك أن خبرة الإدراك بالضرورة هي خبرة الجسم،فجسمي هو من يدرك الأشياء والآخرين وكذا العالم، وهي أفكار سنفصل فيها لاحقا.

(1)- Ibid, p236.

(2)- André Robinet, Merleau – Ponty,sa vie, son ouvres avec un expose de sa philosophie , (Paris : Saint-Germain, 1963), p.p 19.20.

*الجشطلت،هي كلمة ألمانية الأصل،تعني الصورة أو الشكل،ويرجع ظهور مدرسة الجشطلت إلى سنة 1912،بجامعة"فرانكفورت"بزعامة،كورت كوفكا.

(3)- Merleau-Ponty,Ibid,p172.

يرى ميرلوبونتي أن "كل إدراك خارجي هو مباشرة مرادف لإدراك ثابت لجسمي، مثلما أن كل إدراك لجسمي يطبق على لغة الإدراك الخارجي.. وإن نظرية الجسم هي نظرية

في الإدراك"[1] لأن الجسم هو الجسر الرابط بين الذات المدركة وظواهر أشياء العالم المدركة، وتتحقق هذه العلاقة إنطلاقا من النظرة.

أعطى ميرلوبونتي أهمية كبيرة للنظرة La vision أثناء العملية الإدراكية، لما تتميز به النظرة من محاولة مستمرة ودائمة للبحث في العالم، والكشف عن حقائق الظواهر والأشياء، لتكون النظرة هي أساس تكوين الخبرة، ذلك

أني "إذا أردت أن أبعد العقبات أو أرتمي في الحالة الإدراكية La foi Perceptive ألجأ إلى خبرتي بالعالم التي تبدأ معي كل صباح، عندما أفتح عيني، وتتدفق الحياة الإدراكية بين العالم وبيني"[2] .

مما سبق ،تظهر لنا تلك الأهمية الكبيرة التي تأخذها النظرة بالنسبة إلى الجسم في العملية الإدراكية، إذ تتشابك النظرة بالحركة، باعتبار أن الجسم ليس قطعة من مكان،فجسمي متحرك في العالم المرئي، ولهذا فأنا استطيع

توجيهه في المرئي، وأننا لا نرى إلا إذا تحركنا[3] ذلك أن حركة الجسم هي التي تقود النظرة وتوجهها، فالشيء يصبح معروفا عندما تقع عليه النظرة، فالنظرة ببساطة هي انفتاح على العالم.

فالرؤية أو النظرة، لها القدرة على الدخول في تعدد الوجود* الذي يظهر، فعندما أرى مصباحا مثلا، فهو يظهر بمثابة أفق بالنسبة لي، ذلك أني أرى في المجال الخاص بنظرتي[4] ولا ينبغي أن ننسى أن النظرة تظهر لنا طبيعة العملية الإدراكية إنطلاقا من الوعي بالجسم و قصديته،وأن هذه القصدية فيما يرى برغسونBergson هي العلاقة

بين الفكر والمادة، أين يكون هناك تفضيل وأولوية للفكر ، ذلك أن الإدراك عند برغسون، يقوم على هذه الأولوية للفكر

مقابل المادة .

(1)- Ibid,p239.

(2)- Merleau- Ponty,Le Visible et L'invisible, Op.Cit, p57.

(3)- _____ ,L'œil et L'esprit,(Paris : Gallimard, 1964), p16.

* الوجود:L'être هو لفظ يستعمل في الفرنسية للدلالة على "الوجود" أو "الموجود" بالمعنى ذاته، فهو يأتي أحيانا باعتباره مصدرا، ويعني فعل الوجود أو الوجود بالفعل ،كما يأتي اسما،ويعني الوجود نفسه.

(4)- Philippe Hunisssman & estelleKulich,Introduction à la phénoménologie, (Paris : Armand Colin, 1997) ,p104.

يؤكد أوغستين فريسين Augustin fressin على أن نظرية الادراك عند برغسون تتميز أساسا بهذه

الأولوية للفكر،لأنه هو وسيلتنا لامكانية تحقيق المعرفة المطلقة[1] واذا أردنا مقارنه هذا المفهوم مع ما تصوره ميرلوبونتي فاننا نجده يؤكد على أن الإدراك هو تجسيد لعلاقة الذات بالموضوع ،ومن ثم العالم، ويكون كجدل طبيعي يسمى الإدراك والواقع[2] .

ذلك أن الإدراك هو الذي يخبرنا عن العالم، ويعطينا بديهياته، أو هو وسيلة إطلاعنا عليه بما هو جملة من الظواهر والأشياء، ليصبح الإدراك هو بحث في العالم، وذلك انطلاقا من الذات المتجسدة، الواعية بالجسم، الآخرين والعالم وجملة أشيائه.

وقد قدم غزافييه تيلييه Xavier Tilliette اعتراضا عن ميرلوبونتي حول الإدراك والجسم، ذلك أن ميرلوبونتي حسب رأيه لم يعط أهمية كبيرة لمسألة القصدية، كما لم يهتم بعرض وانعكاس الوعي، وماله من دور في العملية

الإدراكية، فمعرفة العالم وإدراكـــه ،لايؤسس بهذه الطريقة على الجسم[3] وعلى الرغم من هذا الإعتراض فإن ميرلوبونتي من خلال فكرة الجسم استطاع تجاوز النزعتين التجريبية والعقلية، وأصبح الإدراك هكذا أكثر إرتباطا بالذات المدركة والموضوع المدرك معا، من دون أولوية أو أسبقية لطرف على حساب آخر.

(1)- Augustin fressin , La Perception Chez Bergson et Merleau-Ponty ,(Paris :société d'édition et 'enseignement Supérieure ,1976),p149.

(2)- Ibid,142.

(3)- Xavier Tilliette, Merleau-Ponty ou La mesure de l'homme,(Paris:édition Seghers,1970),p43.

2- حظور المعانى و الدلالة

يعرض ميرلوبونتي في كتابه**"فينومنولوجيا الإدراك"**وتحت عنوان:" **الجسم كموضوع و الفيزيولوجيا الميكانيكية"**

Le corps Comme objet et la physiologie mécaniste نظرته الجديدة إلى الجسم حاول من خلالهاتجاوز التفسيرات الفيزيولوجية الآلية للجسم.فكيف يمكن ذلك؟وهل يمكن اعتبار الجسم كموضوع؟

إننا لا نستطيع الوقوف على كل التفسيرات الآلية للجسم في تاريخ الفلسفة والعلم، فديكـــارت مثلا، اعتبر
النفس متمايزة عن الجسم، وهي أيسر أن تعرف،كما يمكن للنفس أن توجد من دون البدن،لان النفس بطبيعتها جوهر
مفكـــر،في حين أن الإمتداد هو من طبيعة الجسم،وقد استمر الموقف الديكارتي هذا لمدة طويلة في تاريخ الفلسفة خصوصا مع المدارس السلوكية.

أما بالنسبة إلى ميرلوبونتي، فقدرفض كل التفسيرات الآلية، إذ لا يمكن اعتبار الجسم موضوعا مثل بقية
المواضيع المادية،وهي مسألة ناقشها من خلال عرضه لجملة من الأمثلة،مثل ظاهرة العضو الوهميLe membre Fantôme، فحتى التخدير لم يزل الشعور بهذا العضو الوهمي، ويبقى على حالة العضو الحقيقي نفسها، فمصاب الحرب مثلا رغم أنه فقد ذراعه إلا أنه مازال يشعر بها، ولا يعتقد ميرلوبونتي، أن يكون للآثار الدماغية دور في عملية التوهم،وإنما هناك محددات نفسية تدخل جملة من علاقات الوعي في الظاهرة[1] .

وقد قدم لناميرلوبونتي مثالا مقابلا للعضو الوهمي وهو العضو المبتور أو العضو المستبعدLe membre

Libré فمثلا، الشخص الذي لـديه ذراع مشلـولة، يحسب وكـأن ذراعه غير موجـودة،إذن ففكرة العـضو الوهمي
تمتاز بنوع من الغموض،ذلك أن وجود حالات نفسية في حالة العضو المستبعد، تؤكد أن الجسم ليس بموضوع أو مجـرد
قطعة مادية، حتى أن الشخص المصاب بالشلل في عضو معين، يحاول إهمال وجود ذلك العضو المشلول، والعاجز عن
أداء وظيفته كوجود فيزيولوجي وذلك بفضل العوامل النفسية .

(1)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, p.p 90.91.

ومما سبق نقـول بـأن التفسير الفيزيولوجي لظـاهرتي الـعضـو الوهمي والـعضو المستبعد يقـوم على أن العـضو الوهمي هو وجـود لما يجب أن يمثله الجسم،في حـين أن العضو المستبعد ببساطة هو تغييب لوجـود هذا العضـو،أوهو الغياب الكلي لهذا العضو.لكن مير لوبونتي رفض هذه التفسيرات الفيزيولوجية،وبالتالي رفض اعتبار الجسم كموضوع. ولكن هـل يعني هذا بالمقابل،أنه أخذ بالتفسيرات النفسية ؟.

إننـا إذا أردنا أن نقدم تفسيرا سيكولوجيا، فإننا نـرى أن العضو الوهمي ،مـا هو إلا ذكـرى أو حلـم إيجـابي
في حين أن الاستبعاد هو حكم سلبي، إذ ومع التفسير النفسي يصبح العضو الوهمي هو تمثيل الجسم لوجـود فعال،أما استبعاد العضو فهو تمثيل الجسم لغياب فعال [1] ...

لكن ميرلوبونتي وانطلاقا من تحليلاته الفينومنولوجية ونظريته الجديدة عن الجسم، سيتجاوز كلا من التفسيرين
الفيزيولوجي والسيكولوجي، فالجسم كما يرى هو **"مركبة الكـائن في العالم " Le Corps est la véhicule de l'être au monde** ووجود جسم بالنسبة إلى المـرء يعني الانضمام في وسط محدد، يختلـط بمشروعات معينة، ويرتبط بها بصفة مباشرة، فأنا أعي أن جسمي هو محور العالم [2]والمقصود بهذه المشروعات هو وجود الجسم ضمن أجسام أخرى يعيها، فأنا عين جسمي، لأني أعيه.

فلا يمكن إذن الاقتصار على الوظائف الفيزيولوجية ولا النفسية لتحديد طبيعته، بل إن جسمي هو مركز العـالم
فـإذا كـان سارتر قد قسم الوجود إلى وجــود لذاته، ووجـــود في ذاته، وإذا كان ديكارت قبله انطلق من الكوجيتو والذات المفكرة، فإنهم لم يتمكنوا من حل أهم إشكالية، وهي وجود الجسم وعلاقته بالعالم، ليأتي ميرلوبونتي ويؤكـد على
الوجود في العالمL'être au monde انطلاقا من الوعي بالجسم، بصفته ليس شيئا من الأشياءبل هو متحـــرك فعال، وكما كان يرى غابرييل مارسيل Gabrielle Marseile فإني أعرف جسمي بقدر ما أحيـاه وأختلط به
وأمـزج وجودي بوجوده .

(1)- Ibid,p95.
2)- Ibid,p97.

ويتضح لنا كذلك أن هذا الموقف الجديد حول الجسم، يقوم أساسا على فكرة ميرلوبونتي الأساسية، وهي أساس العلاقة بين الذات والموضوع بالربط بينهما، في إطار فينومنولوجيا وجودية جديدة، تكون أكثر ارتباطا بالواقع
وتوضيحا لفكـــــــرته يرى ميرلوبونتي أنه عندما تلامس يدي اليمنى يدي اليسرى، أشعر بأنها شيء فيزيائي، ولكن في الوقت ذاته إذا جعلت اليسرى تلامس اليمنى، فإن اليد الملموسة أصبحت لامسة، وأنا- كما يقول – مرغم علـــى التأكيد بأن اللمس هنا قد انتشر في الجسم، وأن الجسم هنا هو "شيء حاس" و"ذات موضوع" [1] " chose sentante" "Sujet- Objet"

وكما رأينا فإن الجسم لا يمكن أن يكون موضوعا كبقية الموضوعات، ذلك أن من طبيعة الموضوع أن يكون قابلا للملاحظة، أي أن يكون على مسافة معينة من الذات الملاحظة، ولكن الجسم يمتاز بنوع من الغموض، فلكي أرى
جسمي أحتاج إلى جسم آخر يكون بدوره غير قابل للملاحظة والنظرة الخاصة، لأنـــــي ببساطة لا أرى كل أعضاء جسمي .

أما بالنسبة إلى علاقة الجسم بالشيء، فيرى ميرلوبونتي أن الجسم يختلف عن الأشياء، إلا أنه شـــيء من بين الأشياء ! تظهر وكأن هذه مفارقة بالمعنى المنطقي، إذ يقول:" إني أرى أن الجسم هو موجود ذو مظهرين، فمن جهة
هو شيء من الأشياء، ومن جهة أخرى هو الذي يرى ويلمس"[2] فالجسم له جانبان أحدهما مرئي والآخر لا مرئي
وهذا أيضا ما سماه **بالجسم الموضوعي** أو المحسوس **Corps objectif** والجسم الظاهراتي أو الحساس**Le corps phénoménale** فالجسم الموضوعي لا يختلف عن الأشياء والمواضيع المادية،أما الجسم الظاهراتي
الفينومنولوجي، فهو ملكي وخاصتي، وهما معا مظهران لجسم واحد.

فالجسم إذن وعي وحركة ومعرفة وعليه تبني العلاقات الوجودية الأنطولوجية مع الأشياء،الآخرين والعالم واللغة

---

(1)- Merleau-Ponty, Signes,Op. Cit, p210.
(2)- ———— , Le Visible et L'invisible,Op.Cit, p180.

والتعبير، كما أن ميرلوبونتي بقي وفيا لمبدإه الذي انطلق منه، في تجـــــاوز النزعة التجريبية والعقلية، من الإدراك إلى
الجسم، لذا نجده يؤكده في **"المرئي واللامرئي"** على أننا لسنا عبارة عن وعي يركب الأشياء كما يعتقد ذلك المثاليون أو نحن تأليف من الأشياء في الوعي،كما يعتقد ذلك الواقعيون،بل نحن"من خلال أجسادنا،ونظراتنا ومعانينا وقدرتنا على التكلم وفهم الكلام، نحن مقاييس الوجود des mesurant pour l'être أبعاد أينما نشاء نأخذها[1].

نصل من خلال ما قيل إلى أن وجود الجسم يكون على مستويين، أحدهما شعوري سلبي،وهو الذي نستخدم

فيه ذلك الجسم المعتاد لأنه ببساطة شيء من بين مختلف الأشياء، أما المستوى الثاني فنوظف فيه الجسم الذي تتم فيه التجربة الواعية،فالجسم الأول يشبه المكبوتات بالمعنى الفرويدي، في حين الجسم الثاني فهو أكثر ارتباطا بآنية الجسم وبحياته الفعلية وعلاقته بالعالم.

و الفكرة المهمة التي ينبغي أن نؤكد عليها هنا، هي فكرة غموض الجسم l'ambiguïté du corps

إذ هو جسم وهو شيء في الوقت نفسه، حتى أن برغسون قد أكد على فكرة الغموض هذه، ذلك أنني في الوقت الذي أتكلم، أنا هذا الجسم الذي يتكلم وأيضا من خلاله أنا أتكلم، فليس هناك جسم،ولكن أنا جسمي je suis mon corps[2] .

إذ نظر برغسون إلى الجسم باعتباره وسيلة معرفية في المقام الأول.فعن طريق جسمي أعي الأشياء وأدركها وأن جسمي يعتبر بالنسبة إلى الوعي فعلا كشيء،لكن كشيء خاص،لأنه يحقق الوعي بالجسم الخاصle corps propre فالجسم بالنسبة لبرغسون قصدي، وكـــذا بالنسبة لميرلوبونتي هو قصدي بوجوده في العالم [3] .

واستنادا إلى ماسبق تصبح مقولة الجسم في الفينومنولوجيا الميرلوبونتية مقولة مركزية، فهو بمثابة نقطة تقاطع بين جملة من المفاهيم ،فالجسم هو المدرك و المتحرك، هو الناظر والمرئي، وهو الجسم والشيء،وبذلك يكون ميرلوبونتي
قد وجد في فكرة الجسم الحل المناسب لتجاوز الثنائية الموروثة بين التجريبية والعقلية .

(1)- Ibid, p140.
(2)- Bernard Sichere, Merleau Ponty ou le Corps de la phelosophie ,(Paris : Grasset, 1982), p71.
(3)- Augustin fressin,Op. Cit

إلا أن هذا التصور تعرض لجملة من الانتقادات، إذ يرى غارودي Garo Die مثلا أن ميرلوبونتي يكون قد بالغ في تحديد دور الجسم، إذ وقع في نوع من التأويلات الاعتباطية وعزل الجسم عن العالم الموضوعي[1] في حين يرى حبيب الشاروني عكس ذلك إذ استطاع ميرلوبونتي تجاوز الاتجاهين التجريبي والعقلي،من خلال إثباته إرتباط الجسم في كل وظائفه بحركة الوجود[2] وفعلا يكون ميرلوبونتي قد حقق ما لم يحققه،أو ما لم ينتبه إليه حتى مؤسس الفينومنولوجيا.

بل إن ميرلوبونتي تجاوز شبه التعارض الذي خلقته فينومنولوجيا هوسرل بين الذات والجسم،وحتى ما أقامه
سارتر من فصل بين الوجود لذاته والوجود في ذاته، لتصبح الذات في الفينومنولوجيا الوجودية عند ميرلوبونتي ذاتا متجسدة في العالم، ووجودنا منذ البداية في عالم واحد، والوجود معا يحيلنا إلى الحديث عن إشكالية الوجود مع الآخـــر في فينومنولوجيا ميرلوبونتي، فكيف نظر ميرلوبونتي إلى الآخر؟ .

(1)- غارودي روجيه، الوجودية فلسفة الاستعمار، ت،محمد عيناني،(بيروت : منشورات حمد، دت)، ص46.
(2)- الشاروني حبيب، فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية،دط، (مصر: المكتبة الأنجلو مصرية، 1974)، ص112.

3- ظهور المعانى الجدىدة

تعتبر مسألة الآخر من أكبر الإشكاليات الفلسفية، بحيث تطرح نفسها بإلحاح. وتاريخ الفلسفة يظهر لنا نماذج كثيرة ومختلفة تناولت هذا الموضوع سواء مع الفلسفات اليونانية أو الحديثة أو المعاصرة، وهناك جملة من الأسئلة التي تطرح حول هذه المسألة من جوانب متعددة أهمها:كيف يمكن معرفة الآخر؟هل يمكن أن أعامل الآخركما أعامل ذاتي بالشفافية نفسها؟ وهل يمكن أن يكون الآخر في لحظة ما،خطرا على وجودي؟.

أكد نيتشه من خلال أخلاق السادة والعبيد، أن قرارات السادة هي التي تحكم جملة العلاقات الإنسانية وتحددها، أما الآخر والذي هو العبيد فهم القطيع، كما سماهم نيتشه، وقد نظر قبله أرسطو إلى غير اليونانيين على أنهم عبيد،في حين أن هيغل و من خلال جدلية العبد والسيد، نظر إلى الآخر بالمعنى ذاته،وكذا نجد أن فيلسوف الوجودية، سارتر ميز بين الوجود لذاته والوجود للآخر، واعتبر الآخر هو الجحيم.وميرلوبونتي كغيره من الفلاسفة فإن إشكالية الآخر تحتل في فلسفته مكانة جد خاصة.

إذ يعتبر موقفه من الآخرأهم مميزات فلسفته، فقد خصص قسما مهما من كتابه **"فينومنولوجيا الإدراك" la Phénoménologie de la perception** للآخر،وذلك انطلاقا من فكرة الجسم، إذ يرى الآخر مثل جسمي الخاص، إنه شيء أمام الوعي يفكر فيه وينشئه، والناس وأنا ذاتي كموجودات محسوسة،لا تكون إلا كآلات تتحرك من خلال نابض . . .والذات الحقيقية هي هذا الوعي الذي يبحث في قلعة الجسد[1] .

يظهر لنا من خلال هذا القول، أن ميرلوبونتي يطرح موقفين مختلفين أولهما النزعة التجريبية، وثانيهاالنزعة العقلية

وكل موقف ينظر إلى "الآخر" نظرة خاصة، إذ تحاول التجريبية الربط بين الأوصاف المتعلقة بالأجسام الإنسانية إنطلاقا من الوجود الموضوعي في العالم، في حين تقوم إشكالية الآخر عند العقليين على أساس الكوجيتوCogito والتعرف على الآخر من خلال التعرف على الذات، لتحاول الفينومنولوجيا الوجودية عند ميرلوبونتي أن لاتنطلق في دراسة مسألة "الآخر"من منظور العالم الموضوعي،ولا من منظور كوجيتو مسيطر، وإنما انطلاقا من خبرة الوجود في العالم

(1)- Merleau –Ponty, La phénoménologie de la Perception, Op.Cit, p401.

فيشتق إدراك الذات وإدراك الآخر من مجال الخبرة Expérience فكيف يكون ذلك؟ ولماذا هذه الخبـرة؟ لأن هذه الخبرة تحتوي على ما يسمى في الفينومنولوجيا بالذاتية المتبادلة Intersubjectivité [1].

إن للجسم مكانة بالنسبة إلى الأشياء والعالم،فهناك إذن علاقـــة تكامل بين نظرتي وحركتي في العـالم، وهنا
يكشف الوعي الشخصي عن ذاته، فيقول ميرلوبونتي متسائلا :"لماذا الأجسام الأخرى،والـتي أدركـهـا لا تمتلك بالتبادل وعيا ؟أو إذا كان لوعيي جسما،لماذا الأجسام الأخرى ليس لها وعي؟وبداهة هذا يفرض أن فكرة الجسم والوعي
يتحولان بعمق"[2] ولأجل ذلك يؤكد ميرلوبونتي على ضرورة التمييز بين حقيقة الجسم كما تراه الفينومنولوجيا، وأنـواع
السلـوك المرتبطة بالجسم كمـا تـراه النـزعة العقلية،وبذلك يمكننا الـوصول إلى حقيقة الجسم في عـلاقته بالآخر،وذلك في إطار الخبرة الإنسانية.

هذا عن الجسم. أما بالنسبة إلى الـوعي فلا ننظر إليه كوجـــود لذاته،وإنما الـوعي هو مدرك فـاعل للسلوك
كوجود في العالم[3] وقد انطلق ميرلوبونتي من موقف سارتـــر من الآخر ، ذلك أننا إذا رجعنا إلى **"الوجـــود و العدم"**
L'être et le Néantنجد أن الآخر هو بمثابة خطر دائم يحيطبي، ويمكن أن يهددني في أي لحظة، لأن هذا الآخر هو عقبة أمام حريتي.

كما أن الآخـر بالنسبة إلى سارتـر يحيلني بنظرته إلى موضـوع كما أنه يكشف سر وجودي ،وأنـه مثلما يـرى سارتر،يعلم من أكـون، وما يكون المعنى العـميق لـوجودي،إضـافة إلى أنـه بمثابة حمل ثقيل فـوقي،وأني اختبار للآخـر وحتى أن نظرته تشكل جسمي في عرائه[4] وذلك أن النظرة في وجودية سارتر عندما تأتي من الآخر فهي تسلبني وجودي وحريتي، وتجعل من وجودي وجودا كما يراه الآخر، وبذلك أفقد وجودي الأصيل.

والنظرة La vision تلعب دورا هاما في العلاقة بين الأنا والآخر، وذلك باعتبار أنها وسيلة الصراع مع

---

(1)- علا مصطفى أنور، مرجع سابق، ص177.

(2)- Ibid,p403.

(3)- Ibidem.

(4)- Sartre, Op.Cit, p.p 412.413.

الآخر،بهـدف السيطرة على المـوقـف، والحفاظ على الحريـة الذاتية، فإمـا أن تتغلب نظـرتي على الآخر ،وأحـوله إلـى موضوع وإما أن تتغلب نظرته فيحولني إلى موضوع، وأصبح وجودا للآخر، فهل حقا أن هذا الآخر هو الجحيم ؟

إن هـذا الصراع خلق نوعا من الهوة في علاقات الوجود الإنساني في فلسفة سارتر،ليحاول ميرلوبونتي إعادة بناءو تأسيس هذه العلاقة من خلال الوجود في العالم مع الآخرين،إذ يرى في كتاب **"علامـات" "Signes"** أن العـالم المحسوس حين أريد إدراك ذاتي،يكون الآخرون متضمنين فيه،ولكي يكونوا خاضعين لشروط الإمكانيات الخاصة بي .

. .يجب أن يكونوا كنواتيء،وكذلك تنويعات لرؤية واحدة، أشاطرهم إياها أنا كذلك...إنهم توائمي أو جسد جسدي"[1] chair de ma chair.

فإذا كان جسمي بالنسبة لي،لا هو شيء ولا هو موضوع كما رأينا، بل أنا عين جسمي لأني على علاقة وعي
دائمة به، كذلك فإن جسم الآخر بالنسبة لي،لا هو شيء ولا هو موضوع، فنظرتي إلى جسمي هي ذاتها نظرتي إلى
جسم الآخر،ذلك أن جسمي وجسم الآخـــر يمكن أن يلتقيا على أداء عمل مشترك،لا يتم هذا العمل إلا وهما معـا مثل حمل شيء ثقيل مثلا أو دفعه كـأن ندفع سيارة مثلا،لـذا فالعلاقة بالآخر هي عملية تواصلية دائمة ومستمرة ويمكن أن تأخذ أشكالا مختلفة،كالتخاطب والحديث مثلا، وهي فكرة سندرسها في عناصر لاحقة.

لذا فإن علاقتي بالآخر،ليست صراعا مستمرا كما صورها لنا سارتر،ومسألة حرية أو عبودية بقدر ما هي
ببساطة وبالمفهوم الميرلوبونتي للآخر هي تواصل واستقرار دائم، إلا إذا عرفت أن للآخـــر مثلا نوايا وأفكـار معاديـة ذلك أن الآخر يحدد كمركز للفعل الإنساني،فهناك على الخصوص كما يـرى ميرلوبونتي موضوع ثقافي يلعب دورا أساسيا
في إدراك الآخر، إنما هو اللغة في تجربة القول فيكون بيني وبين الآخر ميدان مشترك[2] ذلك بما أن اللغة وسيلة إتصال اجتماعية وهي انفتاح على الآخر،تساعد كل واحد على فهم أفكار وتصورات الآخر.

لذا تصبح مقولة الـذاتية المتبادلة،التي قـالت بها فينومنولوجا هوسرل ثـم طورها ميرلوبونتي،وأعطاها أبعـادا

---

(1)- Merleau- Ponty, Signes, Op.Cit, p22.
(2)- _____ , La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, P407.

أخرى فـي فلسفة فينومنولوجية وجـودية لتصبح كحجر زاويـة في العلاقة مـع الآخـــر، ولشدة إعـلاء ميرلوبونتي مـن قيمة الآخر يمكننا القول أننا نصل إلى درجة يمتزج فيها مفهوم الأنا بالآخر.

وهل هناك أجمـل مـن ذلك الـوصف الذي قدمه ميرلوبونتي إذ يقـول :"إن الآخـر، هو أنا ملقى فـي الخارج"[1]
L'Autre, un ego projeté au dehors. يتضح لنا من خلال هذا القول مباشرة أن تلك المفارقة والتي لازمت الفلسفة الوجودية عند سارتر، أن الآخر هو الجحيم، تكون قد زالت ووجدت حلا لها مع ميرلوبونتي* فلا أحد يحيل الآخر إلى موضوع بنظرته، بل جسمي وجسم الآخر في تواصل و تكامل مستمر.

صحيح أن العلاقات الاجتماعية مع الآخـــــر، قد تعرف تصادما انطلاقا من المصلحة الشخصية وتشابك سلوكاتي مع سلوكات الآخر،إلا أن هذه المصلحة تلتقي مع مصلحة الآخـــر في مواطن ونقاط كثيرة، وما المؤسسات الاجتماعية،الثقافية، والسياسية وغيرها إلا صورة واضحة عن ذلك، فهناك دائما ميدان أو أرضية تلتقي فيها الذوات

ويمكن أن نعتبر موقف ميرلوبونتي من الآخـر هو انتقاد للكوجيتو الديكارتي،وذلك لأن وعي الذات مرتبط دائما بوعي الآخر لا أن ينغلق على ذاته،كما أن وجودي لا يكون مع الآخرين إلا في وضع تاريخي معين،وهكذا تتعدد أوجه العلاقة
مع الآخر وتختلف صورها،وربما تكون الوظيفة أو النظـرة الجنسية،باعتبارها مـن وظائف الجسم، أحد أوجه هذه العلاقة، فكيف نظر إليها ميرلوبونتي؟.

إن الوظيفة الجنسية للجسم تدخل ضمـن الخبرة المعاشة، وقد اهتم ميرلوبونتي بهذه الخاصية في إطـــــار
ا لعلاقة مع الآخر،ذلك أنها وظيفة رمزية يعبر من خلالها الجسم.فيرى ميرلوبونتي مثلا أن فتاة تمنعها أمها من رؤية الشاب الذي تحب قد يجعلها ذلك تفقد النوم والشهية وحتى القدرة على استعمال الكـلام، كما أن القبلة لا يمكن اعتبارها مجرد وجود جنسي، بقدر ما هي نمط من العلاقة مع الآخر[2] .

وهنا لا ننسى أن نشير إلى الأهمية التي أعطاها فرويد Freud للغريزة الجنسية،حتى ولـو كـان المعنى الذي

(1)- Merleau-Ponty, Signes, Op.Cit, p222.
*Voir Merleau- Ponty, le visible et l'invisible, p24 . . 27.
(2)- _____ , La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, p187.

يقصده ميرلوبونتي هنا ليس بالمعنى ذاته الذي أكد عليه فرويد، إلا أنه من الجديـــر أن نوضح أن للغريزة الجنسية دورا في تحديد جملة سلوكات الأفراد،و علاقاتهم فيما بينهم،ذلك أن الغرائز حسب فرويد معقدة جدا وكثيرة العناصر[1] وهو ماسماه الليبيدو Libidoوالـذي هو جملـة الغرائـز الجنسية اللاشعورية المكبوتة،وقد أرجـع إليهـا فـرويد كـل الأعمال الإبداعية خصوصا الفنية،مثل لـوحة"الموناليـزا"للفنـان ليونارد دي-فينتشي،Lonard de Ventchie أرجعها فرويد إلى غرائز جنسية لاشعورية،تعـود إلـى مـرحلة الطفولة لدى هذا الرسام.

مع أن ميرلوبونتي يناقض فرويد، إذ اعتبر أن علينا بشكل خاص أن لا نفهم بأن الوظيفة الجنسية وحدها تعبر عن معنى الوجود،فالسبب الذي يحول دون رد الوجود كله إلى النزعة الجنسية الذاتية هو ذاته الذي يحول دون ردها إلى الوجود،بمعنى أن العلاقة الجنسية مع الآخر ما هي إلا نموذج من بين نماذج علاقات متعددة تربطنا بالوجود المتعدد والمتشابك العلاقات.

كما تحدث ميشال فوكو Michel Foucault عـن الجنس والوظيفة الجنسية ،إلا أن نظـرته كـانت مـن زاوية أخرى، وهي محـاولة معـرفـة تطـور نظـرة الغـرب لهذه الـوظيفة، واستجـلاء منـاطق اللاوعـي،مـن خـلال بحـث
أركيولوجي خاص،يظهر حقيقة الذات الغربية، وعلى هذا ومما سبق، نصل إلى تقرير أن نظرة ميرلوبونتي للآخـر كانت نظرة جديدة وإيجابية، تحمل طابعا تواصليا أكثر انفتاحا على الآخر والعالم.

لتبنى هنا جسور التواصل بين الأنا والآخر، المبعد و المهمش في وجودية سـارتر الذي لم تكن نظرته إلى الآخر

على أنه الجحيم، إلا شكلا آخر من أشكال بعض العدميات المعاصرة، ويمكننا اعتبـــــار موقف ميرلوبونتي نوعا من فلسفات الإرادة والتواصل،وهذا ما يذكرنا بالحكمة التي تقول:"ما قيمة أجمل منظر في الدنيا، إذا لم يكن بجانبي شخص أقول له: ما أروع هذا المنظر".

(1) - سيجموند فرويد، ما فوق مبدأ اللذة،ت،إسحاق رمزي،(مصر: دار المعارف،1980)، ص11.

4- اللغة و الحقيقة

حقيقة أن مبحث العالم متجذر في تاريـــخ الفلسفة، إذ اهتم الفلاسفة منذ القدم بالبحث في فلسفة العالـم
سواء مع اليونان أو في فلسفات العصور الوسطى ثم الحديثة،وارتبط بمباحث مختلفة، باختلاف الإشكاليات الفلسفية المطروحة حوله، ولعل ما يميز البحث في العالم في الفلسفة الحديثة خصوصا هو ارتباطـــه بمسألتين أساسيتين هما الله والنفس.

لكن هذه المباحث قد زالت بـزوال الإشكاليات،وظهرت إشكاليات جديدة،إذ نجد أن ميرلوبونتي كفيلسوف
فينومنولوجي، يحاول كما فعل مع فكرة الإدراك والجسم تجاوز كل من الاتجاهين التجريبي والعقلي، من خلال جملة من
المفاهيم والتصورات التي تحمل جدية الطرح وعمق التساؤل،فإذا كـانت الذات واعية بجسمها-كما رأينا-فكيف يكون حضور الجسم في العالم؟ هل يكون حضورنا في العالم باعتباره مقولة موضوعية، أو من خلال وجـود الـذات؟ وهـل من جديد في موقف ميرلوبونتي إزاء هذه الإشكالية؟.

إن الميزة الأساسية للفينومنولوجيا الميرلوبونتية،هو تأكيدها على الواقع والانـطلاق منه،فنحن نعلم أن ميرلوبونتي
تأثر بعلم النفس الشكل (الجشطلت) وحاول تجاوز ثنائية المادة والصورة، وكذا الوجود لذاته والوجود في ذاته عند سارتر،وقد رأينا من قبل أننا موجودون بطبيعتنا في العالم أي أننا نحيا في هذا العالم،بما أن الجسم هو وجود جسماني في العالم ومن خلال وجودي المتجسد ومن خلال النظرة والحركة أيضا توجد رابطة بيني وبين العالم و مجوداته .

فجسمي يرتبط بصفته مدركا بما يدرك وبما ينظر إليه من أشياء وموضوعات،و هذا ما أراده ميرلوبونتي من خلال تأكيده في **"العين والفكر"** على أن :"الجسم ينظر نظرا، ويلمس لمسا كما أنه مرئي وحسي بذاته...إنـه ذات غامضة
نرجسية، يتلازم بما يرى مع ما يرى، بما يحس مع ما يحس" [1] ،وإن وعيي بجسمـــي هـو أسـاس كـل هذه العمليـات

فإدراك العالم يكون من خلال الجسم وخبرته الخاصة.وعلى الرغم من دراسة سارتر للجسم،إلا أنه لم ينظـر إليه بتلك النظرة الايجابية المطلقة ،التي توجد لدى ميرلوبونتي، بقدر ما نظر إليه بنوع من التصورية الذاتية.

(1)- Merleau-Ponty, L'oïl et l'esprit, Op.Cit, p.p 18.19.

وهكذا فإن وجودنا في العالم يصبح وجودا جسمانيا، لأن جسمي هو بمثابة وضع إزاء العالم. من خلال ما أقوم به من أفعال وحركات، وأن جسمي هو الذي يعطي معنى الكلمات مثل "فوق" "تحت" "أمام" وذلك انطلاقا من
الصورة الجسمانية[1] لنصل هكذا إلى أن الجسم هو وسيلتنا لمعرفة العالم من خلال الوعي به،لذا لا يمكن افتراض ذات أخرى ترتبط بجسمي، وتتحكم به.

وقد رأى ولينسWaellens في كتابه**"فلسفة الغموض" Une Philosophie de L'ambiguïté** وهو دراسة حـول وجودية ميرلوبونتي، أن الجسم هو وسيلتنا الخاصة للاقتراب من العالم، وفي الوقت نفسه وبالتلازم هو طريقـــــة ثابتة لظهور العالم ذاته، إذ هو بمثابة مشروع وجودي لميرلوبونتي فالجسم ينفتح على ذاتـه وعلى الإدراك وعلى العالم [2].

نستنتج هكذا أن فينومنولوجيا الجسم والإدراك مرتبطة بصفة مباشرة بالعالم على أساس الوعي الجسمـاني الخاص،لذا نجد أن الجسم وانطلاقا من هذا الوعي يعبر عن علاقته بالعالم من خلال حركات وأعمـال معينة، قد تكون أعمالا فنية مثلا، والتي تدل على تكامل العلاقة وتواصلها،وهذا من شأنه أن يزيد الوعـــي بالجسم ذاته لأني " أفهم وظيفة الجسم الحي عندما يكون الاكتمال "أنا- ذاتي" moi- même .حيث أكـون جسما قائما في العالم"[3].

وعليه يكون للجسم خبرته الخاصة بالعالم مرورا بوعيه الذاتي،وللتوضيح أكثر نقول أن لكل واحد منا وعيه
الخـاص بامتلاكه لجسم،وهذا الـوعي هو نقطة الانطلاق نحو هذا العالم.وإذا ربطنا هذه الفكرة بفكرة الذاتية المتبادلة Intersubjectiveنصل إلى حالة عامة نشترك فيها بوعينا بأجسامنا وحضورنا في العالم وخبرتنا التي لا تتوقف.

ومادمت مرتبطا بهذا العـالم، فإني أدرك مـا فيه مـن أشياء،باعتبار وقوعها في مجـال إدراكي وتحت نظرتـي
فالشيء هو جزء من تمثلاتي عن العالم، بل إنه في حاجة دائمة إلي لكي يوجد،ليتسع المجـــال الإدراكي ويشمل كـل ما في العالم وذلك على اعتبار أن الجسم مدرك ومدرُك.

(1)- الشاروني حبيب، مرجع سابق، ص 108 .

(2)- A. de Waellens, Une Philosophie de L'Ambiguïté, L'existentialisme de Merleau-Ponty, 3eméd,(Paris :1978) ,p.p 109.110.

(3)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit, p90.

ذلك أن هذا الشيء الذي ندركه ليس أكثر من تعيين أو تحديد،لأن ما هو موجود حولنا من أشياء يكون هو العالم نفسه،أي العالم الذي يحتوي أجسامنا وأفكارنا وكذا هذه الأشياء[1] وتعلق فرانسوا هايدسيك François Heidsieck علـى ميرلوبونتي، فـترى بأنـه يهتم بالشيء كثرا،ويـؤكد عليه بصـورة غـريبة،وكـأنـه غيـور مـن الـصلابـة الأنطولوجية لهذا الشيء.

وتـزداد العلاقة بالشيء إلى درجـــة أننا موجـودون كأجسام مع أشياء في العالم، مع اعتبار أن ما يميزنا هو وعينا الخاص بأجسامنا،ليؤكد ميرلوبونتي على أن "الشيء والعالم هما معطيان مع أجـزاء جسمي لابواسطة هندسة

طبيعية" géométrie naturelle وإنما في اتصال شبيه بذلك القائم بين أجزاء جسمي ذاته"[2]ويظهر الجسم والعالم معا أثناء العملية الإدراكية،وينتشران معا ضمن المجال الإدراكي،فإدراكي الخاص لجسمي و الإدراك الخارجي يكملان بعضهما بل هما واحد.وهكذا مع ميرلوبونتي يختلف تصور العالم ومكانته الفلسفية،فلا وجود مادي امبريقي كما يرى التجريبيون، ولا هو كما أتصوره في ذهني مثلما أكد العقليين ،خصوصا عند بركلي Berkeley الذي أنكر وجود العالم المادي كلية.

ليأخذ العالم مفهوما مغايرا لماعرفه عند الفلاسفة من قبل،ذلك أنه يتحول إلى عالم لا يتمتع بالاستقلالية المطلقة في مواجهة الذات.ليكون الجسد في معية مع العالم، اجتهدت الفينومنولوجيا في إظهارهاوماهية العالم وبنيته الداخلية مكونة من الأشياء القابلة للإدراك من طرف الذات،وهنا تتشكل دلالة الوجود الثلاثية عند ميرلوبونتي،العالم والأشياء و الإنسان المدرك[3] لذا فمادام اتصالنا بالعالم مستمرا، يبقى الوعي بالجسم قائما، كوعي متجسد في العالم.

ولا ينسى ميرلوبونتي أن يؤكد على أهمية اللغة في معرفة العالم،وذلك باعتبار أننا نطرح على وقائع اللغة السؤال الفلسفي حول العالم،أما الإجابة فيمكن أن نبحث عنها داخل معاني الكلمات ودلالاتها،وهكذا نجدأن فينومنولوجيا

---

(1)- François Heiddsiech, L'ontologie de Merleau- Ponty, 1ereéd, (Paris : presses universitaires de France,1971), p.p 53.54.

(2)- Merleau-Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit ,Ibid, p237.

(3)- مجموعة من المؤلفين،كوجيتو الجسد، (دراسات في فلسفة ميرلوبونتي) ،ط1،(الجزائر: منشورات الاختلاف، 2000)، ص. ص 20.21.

ميرلوبونتي اتجهت بحق نحو الواقع بماهو أشياء،ظواهر و كلمات وعلاقات،عكس ما اتجهت إليه فينومنولوجيا هوسرل المثالية، والتي انطلقت من الذات المتعالية، وتجاوزت الواقع. ليبقى الجسم هكذا قائما في العالم.

إن هذا الوجود في العالم بالمفهوم الميرلوبونتي، هو ما اعترض عليه روجيه غارودي، لأن هذا الوجود قد شوه

المفهوم الحقيقي للعالم،أي العالم الموضوعي وأنكره [1]إلا أنه على الرغم من هذا يبقى موقف ميرلوبونتي واضحا جليا يجعل من الوعي بالجسم أساسا للحضور في العالم*مع الأشياء والآخرين، حضورا واعيا في عالم موضوعي، لتبقى الفلسفة الحقيقية كما يرى ميرلوبونتي هي التي تعمل على رؤية العالم.

فقد أكد على أن الجسم الخاص Le Corps propre في العالم هو كالقلب في الجسم[2] لتكون فكرة الجسم هي نقطة الارتكاز في فينومنولوجيا ميرلوبونتي،وهو محور حركة الوجود الواقعية، باعتبار الجسم مدركا، ناظرا متحركا وموجودا، حاضرا واعيا مع الأشياء والآخرين في العالم، لنحاول أن نعرف إضافة إلى هذه الخصائص والمميزات،كيف يكون الجسم قادرا على أداء المعنى والرمزية باعتباره وسيلة للتعبير؟.

(1)- روجيه غار ودي، مرجع سابق، ص50.
* وهذه بعض العبارات من**"فينومنولوجيا الإدراك"** حول حضور الجسم في العالم: "إنه في العالم"ص117 "إنه رسونا في العالم"ص169."موجود مربوط بعالم ثابت" ص173."إنه الوسيلة العامة لرؤية العالم"ص171.
(2)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit,p235.

II- الفكر و الكلام

1- بين اللغة و الفكر

رأينا كيف يكون الإدراك ارتباطا أصيلا مع هذا الوجود، بحيث تظهر كـل أشياء العالم وظواهره في كثافـة معينة، تسمح لي أن أكون -باعتباري جسما- على اتصال دائم ومستمر بهذا العـالم. وقد تساءل ميرلوبونتي من قبل في" **فينومنولوجيا الإدراك"** عن معنى الفينومنولوجيا وموضوعها الحقيقـــي،وذلك على الرغم من أنه وضع قبله كتاب **"بنـية السلوك"la structure de comportement**فلماذا ذلك؟ إن التصور الكامل للفينومنولوجيا لـم تنضح معالمه في هذا الكتاب،إذ تناول موضوعات كالإدراك والسلوك،بما يحمله من معنى ورمزية،فهذا السلوك طبيعة إنسانية و يحمل أشكالا مختلفة. فكيف نظر ميرلوبونتي إلى السلوك؟وكيف يمكن لهذا السلوك أن يتخذ طابعا رمزيا؟

لقد تحدث ميرلوبونتي عن الإشكالية الأساسية التي ينـوي تناولها بالبحث في هذا الكتـاب، وهي فعلا تعبر
عن مرحلة معينة من مراحل تطوره الفكري، إذ يرى أن هدفه هو بحث العلاقات الموجودة بين الوعي والطبيعة، سواء العضوية منها أو النفسية، وحتى الاجتماعية كذلك [1] .

يتضح لنا من هذا أن ميرلوبونتي يريد أن يتناول إشكالية هي من جهة قديمة ومن جهة أخرى جديدة، فكيف ذلك؟تناول الفلاسفة على اختلاف أفكارهم علاقة الوعي بالطبيعة، فهناك من أعطى الأولوية للوعي وللذات المفكرة
على حساب الطبيعة مثل ما قال به ديكارت،أما هيغل مثلا فانطلق من جدلية الوعي والعالم والطبيعة في إطار فكرة الـوعي المطلـق،حتى أن هوسرل أكد على أن دور الذات الواعية المتعالية،هـو فـهم وقصد الطبيعة بمختلف مواضيعـها
هذا على سبيل المثال.

أما جدة هذه الإشكالية فتكمن في الطرح، إذ على الرغم من تعدد أنواع العلوم والمعارف المعاصرة، من علم
النفس إلى الفيزياء والبيولوجيا وغيرها، وتنوع الاتجاهات الفلسفية المثالية منها والواقعية إلى غيرها، إلا أن إشكاليـة
علاقـة الـوعي بالطبـيعة تبقى تحمـل الكثير مـن الغموض،إذ انطلـق ميرلوبونتي من أن الـطبيعة لا تـوجد بالمعنـى المـادي

(1)- Maurice Merleau- Ponty,La Structure du Comportement,4eme éd ,(Paris : 1960), p01.

المعروف،كما أن السببية لاتكون عملية منتجة،في حين أن العالم ماهو إلا مجموع العلاقات الموضوعية التي يحملها الوعي [1]ذلك أن الفيزياء تستخدم في ضبط هذه التصورات،نماذج ميكانيكية أو ديناميكية.

في حين نجد أن الوضع يختلف عنه في البيولوجيا، إذ يرى أنه انطلاقا من النمط الفيزيقي الرياضي، تتكون
صورتنا عن الجسم كصورة مادية، لأن الفكر البيولوجي هو فكر واقعي،أما علم النفس فيبقى مرتبطا بالفكر السببي
بقدر محاولته أن يصبح علما طبيعيا [2] .

وقد تميزت الفلسفة المعاصرة في فرنسا في تلك المرحلة بمحاولتها أن تجعل من كل طبيعة وحدة موضوعية أمام الوعي،إذ نتناول العلوم كل من الجسم والوعي على أنهما نظامان من الأنظمة الواقعية،انطلاقامن الأسباب والنتائج
لذلك فمن خلال تحليل فكرة السلوك، يمكن نقد كل هذه الأطروحات وتجاوزها، بالاعتماد على فكرة الشكل في علم النفس "الجشطلت" ونقد السلوك الشرطي المنعكس كما حدده بافلوف Pavlov لأنه تناول السلوك على أنه شيء
انطلاقا من الفكر السببي،فهناك أولوية للشكل والبنية كما يرى غرافييه تيليات Xavier Tilliette لتجاوزالوجود لذاته والوجود في ذاته، وتعارض النزعتين التجريبية والعقلية[3]
لتبقى هي المهمة التي أخذها ميرلوبونتي على عاتقه مثلما رأينا مع مسألة الإدراك والجسم.

إننا نشاهد تحولا في فلسفة ميرلوبونتي، يتمثل في التوسط بين فلسفة للبنية وفلسفة للمعنى، فليست فكرة المعنى مضايفة لفكرة البنية، بل ان هناك شكلا من أشكال الترادف بينهما، فالبنية والمعنى والشكل لها تعبيرات رمزية، إذا أخذناها في حركة الخبرة [4]ليرتبط السلوك بالوعي في إطار الإدراك، وهذا ما يظهر في الخبرة الإدراكية
وبما أنه بنية فلا يمكن القول بأنه يندرج في الزمان والمكان الموضوعي كسلسلة من الأحداث الفيزيائية، فهو إذن ليس عبارة عن غلاف لوعي محض، بل إنه شكل.

لذا يمكننا من خلال الإدراك في فينومنولوجيا ميرلوبونتي،تجاوز كل من النزعة التجريبية التي ترجع السلوك إلى

---

(1)- Ibidem.
(2)- Ibid, p01.
(3)- Xavier Tlliette, Op. Cit, p23.
(4)- علا مصطفى أنور، مرجع سابق، ص104.

الواقع، والنزعة العقلية التي ترجعه إلى الوعي، فالإدراك فيما يرى ميرلوبونتي هو حامل للمعنى منذ بدايته، لذا نجده
يؤكد بأن "الإدراك هو تعبير" [1] la perception est un expression.

إذن بما أن الإدراك تعبير،وأن العالم هومجموع العلاقات التي يحملها الوعي يكون الوعي هو قصديةنحو العالم.وما
فعل التفكير إلا أحد هذه القصديات،ولا يمكن تأويل الارتباط بين الفكر وموضوعه إلا من خلال اللغة وعلاقة العلامة
بمدلولها،لأن ذلك يكون في فعل التعبير الذي هو السلوك الرمزي، ليكون تحليل السلوك عند ميرلوبونتي قائما على أسس علمية واقعية.

يرى ميرلوبونتي أنه إذا كنت في غرفة مظلمة، وكانت على الحائط نقطة مضيئة،فإنها حتما ستثير انتباهي فأنظر
إليها بعيني و في هذه الحالة، حتما إن سلوكي يحمل قصدا كما يحمل معنى[2] وهذا المثال يظهر طبيعة السلوك أيا
كان نوعه وصورته، فهو حامل لمعنى قصدي، وقد حدد ميرلوبونتي الأنواع والأشكال الأساسية التي يمكن للسلوك عموما أن يظهر عليها فهناك الأشكال التأليفية Les Formes Syncrétiques، والأشكال العازلة
Le Formes Emotive وأخيرا الأشكال الرمزية Les Formes Symboliques ففي النوع الأول
منها يكون السلوك بمعنى جد خاص، ذلك أنه يرتبط بجوانب مجردة، وكذا تركيبات لنشاطات جد خاصة،إلا أنه في
كل الحالات يكون في إطار الشروط الطبيعية،أما بالنسبة للنوع الثاني والذي هو الأشكال العازلة فهنا يكون السلوك
شبه منغلق أو منعزل على العلاقات، لكن على الرغم من ذلك يبقى نشطا في جملة من الوضعيات المحددة، هذا عن الشكلان التأليفي والعازل، فماذا عن السلوك الرمزي؟.

أكد ميرلوبونتي على أن السلوك الحيواني لا يتحول أبدا إلى رمزية،فالعلامات أو الإشارات تبقى على حالها فالحيوان إذا أراد اجتياز شيء أمامه، فإنه مثلا قد يقفز ولا يمكنه استخدام وسيلة معينة تساعده على ذلك[3] فسلوك الحيوان لايرتبط بالمعنى والرمزية،ولا يقوم على إدراك واع بالضرورة بالعالم أو بالجسم، وعلى هذا فالسلوكات

---

(1)- Merleau- Ponty, Rusumes de cours, Op. Cit, p14.
(2)- ———— , Existence et Dialectique,1ere éd, (Paris : Saint Germain, 1971) , p07.
(3)- Ibid p.p 22.23.

الرمزية هي ما يختص بها الجسم الإنساني.

ويرى سيشر Sicher أن السلوك الإنساني يتميز عن السلوك الحيواني لأن "المعنى" يرتبط بغريزة الإنسان وأن الوعي الإنساني يتجه إلى الواقع المرتبط به،فمثلا كلمة"حياة"ليس لها المعنى ذاته في الإنسانية والحيوانية، والاختلاف يظهر بالضبط في أن الحيوان لا يمكنه تحديد جسمه من بين الأجسام و الأشياء،أي الوعي به[1].

وخلاصة هذا أن السلوك الرمزي هو المعنى والدلالة،بل إن السلوك في حد ذاته هو معنى،فقد رأى فرويد
أن كل شعور يحمل معنى،مما يعنى أن السلوك البشري أساسه المعنى والرمزية، لذا فقد تحدث ميرلوبونتي حول تكون اللغة عند الطفل، وظهور السلوكات اللغوية.

فالطفل لا تصبح لديه القدرة على استعمال الكلمات،وتوظيفها والتصرف بالمعاني في سلوكاته،انطلاقا من تعلم واستماع الكلام من الآخرين، لأن هذا من شأنه أن يؤخذ وقتا، بل ان الطفل يعرف النواحي المنطقية المتعلقة بالجسم الإنساني والأشياء،ويعرف القيم الدلالية للغة،لأنه هو في حد ذاته يخطط لأفعال تحمل معنى،سواء في كلمات أو إشارات أو حركات[2].

وعلى هذا فالسلوك الرمزي ،هو خاصية إنسانية أولية، ومن وجهة نظر فينومنولوجية أنطولوجية، يكون الإدراك كتعبير أولي، إضافة إلى الوعي بالجسم الخاص،هو أساس هذا السلوك الرمزي،وهو بمثابة تعبير طبيعي، فكما ترى غيسلين شارون Chyslain Charron في كل سلوك تطرح قيمة تعبيرية وقيمة رمزية، لذا نميز بين السلوك الذي له معنى والسلوك الذي هو معنى،وأن السلوك اللغوي يقوم على هذا الصنف الثاني،كما يمكننا من خلاله الانتقال
من مجال ماقبل الشخصي إلى الشخصية، ومن التعبير الطبيعي إلى التعبير اللغوي، ومن الرمزية الضمنية، إلى الرمزية اللفظية [3] وهنا تظهر أهمية رمزية السلوك.

لذا فإن قليلا من الفلاسفة وعلماء اللغة المعاصرين، من اهتم بدراسة الجانب اللغوي الرمزي في السلوك
البشري، رغم أننا نجد جاك لاكان Jaque Lacan اهتم بدراسة الشعور انطلاقا من اعتباره اللاشعور بمثابة لغة

---

(1)- Bernard Sichere, Op. Cit, p48.
(2)- Merleau- Ponty, La Structure du Comportement, Op.Cit, p184.
(3)- Ghyslain Charron, Du Langage, A. Martinet et Merleau-Ponty,(Canada :Ottawa,1972) , p84.

متأثرا في ذلك بكل من فرويد ودي سوسير Freud et Saussure في محاولة منه لتطوير التحليل النفسي في فرنسا لكن ميرلوبونتي ولاكان،يختلفان من حيث المنطلقات والأهداف.

وبعد حديثنا عن السلوك اللغوي الرمزي الإنساني، ننتقل إلى الحديث عن قدرة الجسم على التعبير بصورة مفصلة. فكيف نظر ميرلوبونتي إلى الجسم على أنه وسيلة للتعبير؟ وكيف يمكنه بذلك خلق المعاني؟ .

2

2- الكلام المتكلم و الكلام المتكلم

يقوم تصور فكـــرة الجسم على جانبين أساسيين أحدهما موضوعي والآخرذاتي فهنـاك جسم موضوعي وهـو الجسم البيولوجي كموضوع للعلم، في حين أن هناك جسم ذاتـــــي خاص وهو بالضبط موضوع تأملات الفيلسوف، إذ يرتبط هذا الجانب منه بما هو معيش كشعور يولد فينا كل أفعالنا وحركاتنا.

لـذا فـإن سلـوك ونشاط هذا الجسم يقـوم على المعنـــى، الـذي يرتـبط بكل مـا يعبر عنه الجسم من مـواقف وحركات وإشارات، فللجسم إذن قدرة على التعبير وأداء المعنـــــى، وقد حـاول ميرلوبونتي دراسة الجسم مــن هذه النــاحية، في فصل من أهم فصول كتـابه: **"فينـومنولوجيـا الإدراك"** وتحـت عنــوان "الـجسم باعتبـاره تعبيـرا وكـلامـا" Le Corps comme expression et parole فكيف يكون للجسم فعلا قدرة على التعبير ؟

لقد أكد ميرلوبونتي على أن الجسم الخاص، يملك وحدة تختلف عن وحدة الموضـوع العلمي لأنه يملك بداخله

حتى داخل وظيفته الجنسية قصدية وقدرة على أداء المعنى[1] ومن هذا المنطلق يجعـل ميرلوبونتي هدفه هو وصف ظاهرة الكلام والمعنى لتجاوز ثنائية الذات والموضوع، ذلك أنه ومن خـــــلال ما رأيناه سابقـا تظهـر لنا فينومنولوجيا ميرلوبونتي وهي تتميـز على خـــلاف غيرهـا من الفلسفات سواء فلسفة ديكارت أو مـعاصريه هـوسـرل وسـارتر من ناحية، وهي تحاول إعادة تأسيس العلاقة بين الذات والموضوع من ناحية أخرى.

وفي هذا الصدد أيضا كما يكون الجسم فكرة مركزية في عملية الإدراك، ومن خلال وظائف الرؤية والحركة وحتى المكانية ومن خلال حضوره مع الآخرين في العالم، فله كذلك القدرة على التعبير،بل أن الجسم هو قـدرة التـعبير الطبيعية لأنه يحقق المعنى في الإيماءة أو الإشارة بالنسبة إلى الآخرين.

إن هذه العلاقات التعبيرية التي يكونها الجسم هي ما تظهره كوحدة رمزية مختلفة، بما أننا موجودون في العالم

في إطار حلقة تعبيرية. هكذا ومن خلال الخبرة التعبيرية فإن الجسم هو هـذا الشيء الغامض الذي يستخدم أجزاءه الخاصة كرموز عامة، من خلالها نتعامل مع هذا العالم [2] .

(1)- Merleau-Ponty,La phénoménologie de la Perception, Op. Cit, pXIV

(2)- Ghyslain Charron, Op. Cit, p83.

إن إحدى المسائل الأساسية– التي ينبغي أن نؤكد عليها- هو أن عملية التكـلم تخضع لتفسيرات مختلفة فالنظرية الآلية تجعلهـا تخضع لآلية المـثير والاستجـابة مـع إهمـالهالـدور الفكـر، وبالمقـابل هناك اتجاه عقلي،يعطي كل الأولوية للفكر و الأفكـار على حساب الكلمات فكيف سيحاول ميرلوبونتي انطلاقامـن فكـرة الجسم أن يتجاوز هذا التعارض القائم؟.

تـؤكد النظرية الآلـية أن الإنسان،يمكن أن يتكـلـم ،مثلما يمكن للمصباح أن يضـيء[1] فامتـلاك اللـغة يكـون

بوجود بسيط للكلمات،هذه الكلمات معطاة مع حالات الوعي لترتبط الكلمة بحالة الجسم الواعي وحركته وأحيانا لا

يكون للكلمة أو اللفظ أي فعالية في أداء المعنى،فهل يعني هذا أن المعنى يقوم على الفكر؟

إذا عدنا إلى موقف برغسون Bergson من هذه المسألة،فإننا نجده يرى بأن الفكر أوسع من اللغة،حتى
أنه في بعض الحالات نجدأن أفكارا تموت دون أن نعبر عنها،ويمكن لكل واحد منا أن يتأكد من هذا بالعودة إلى حياته
النفسية الداخلية.وخطأ هذه النظرية هو أنها لم تدرك أن الفكر يوجد في الكلام،فيؤكد ميرلوبونتي أن الطفل يستطيع التعرف على نفسه بأنه عضو في مجتمع لغوي قبل أن يعرف بأنه فكر ينتمي إلى طبيعة ما، وذلك بشرط أن تجهل الذات هنا نفسها كفكر، وتعرف نفسها ككلام، وكذلك أن تكون اللغة معبرة عن الأشياء والمعاني، وهكذا لايتولى الكلام ترجمة فكر تشكل لدى المتحدث، وإنما يقوم بإكماله[2] .

من هنا نقول أن المعنى المتضمن في الكلمة يمكن أن يكون ذاته المتضمن في إشارة الجسم وحركته لأن خاصية الغموض التي تميز الجسم تظهر من خلال الكلام والتعبير مادام هو في حد ذاته معنى،فهو الذي يظهر وهو الذي يتكلم[3]
فالجسم هو الذي يربط اللغة بالإدراك في إطار الخبرة الإدراكية والواقع المعيش.

فالجسم بما هو مدرك وبما هو موضوع إدراك يرتبط بالعالم ويصبح وحدة تعبيرية، لتعمل اللغة على تحديد

---

(5)- Merleau-Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit,p204.
(2)- Ibid, p207.
(3)- Ibid,p230.

الفكر من خلال ارتباطها بالواقع المعيش لأن أحدهما يقوم بالآخر،وكما يرى ميشال لوفيفر Lefeuvre أن التصور الذي قدمه ميرلوبونتي يرفض ما بقي مشوها من قبل التجريبيين والعقليين [1] .

ما نستنتجه هو أن القدرة التي يمتلكها الجسم على أداء المعنى والتعبير هي ما يحدد مكانة الجسم في العالم
ويميزه من بين الأشياء،فالوعي بالجسم الخاص يفترض وجود المعنى،ويرتبط هذا المعنى بالقدرة على التعبير والتجاوز
ليكون الجسم باعتباره معنا حاضرا في مناطق المعنى.

وهذا لايعني أن قدرته على المعنـــى تتوقف على مواضيع معينة، بقدر ما تتعلق بمواضيع طبيعية ومواضيع ثقافية مثل الكلمات [2]فإذا رأى شاب فتاة فأعجب وافتتن بجمالها، قد يقول مثلا بصفة مباشرة، يالها من فتاة رائعة
أو يحاول أن يعبر لها عن شعوره من خلال حركات وإشارات معينة، ففي هذه الحالة نقول أن جسمه تحرك وأصدر
تلك الكلمات أو تلك الإشارات،لأن ما شعر به ذلك الشاب تجمع في كامل أعضاء جسمه،ليعبر عنه الجسم في النهاية

إن المعنى في هذه الحالة لا هو راجع لفكر مسبق ولا هو ناتج عن الكلمات بقدر ماهو الكلمة في حد ذاتـها كفكرة، أي أنه مباطن فيه، كما أن الإيماءة تتضمن معناها أي أنها هي المعنى،لتظهر لنا علاقة العلامة بالجسم، وقد

رأى ميشال فوكو في دراسته لتطور النظرة الطبية في الغرب، أنه في مرحلة الطب العيادي،ارتبط المرض باللغة، فنـــوع المرض هو الدال، وأعراضه على الجسم تمثل المدلول، أي أن الجسم لغة،تعبر عن نوع المرض.

مع أن اهتمامات فوكو تبتعد نوعا ما عن اهتمامات ميرلوبونتي، والمهم بالنسبة لنا هو ما أكد عليه ميرلوبونتي من أن القدرة التي يمتلكها الجسم هي أداء التعبير وقد أشار إلى ذلك في **"نثر العالم"La Prose du monde**

حيث يرى أني عندما أتلفظ بكلمة فان كل أعضاء جسمي تتجمع من أجل النطق بتلك الكلمة،وكأن جسمي كله ينطق بها،مثلما تلتقط يدي شيئا ما[3] .

إن ميرلوبونتي ومن خلال تأكيده على الخاصية التعبيرية للجسم،يسعى للكشف عن الأساس المشترك وراء

(1)- Michel Lefeuvre, Merleau- Ponty ou de la de la phénoménologie,(France :Librairie klincksieck,1976),p24.
(2)- Merleau- Ponty, La phénoménologie de la perception,Op. Cit, p272.
(3)- ———— , La Prose du Monde,Op.Cit,p28.

اللغة، أي التواصل المسبق، وما علينا إلا إعـــادة اللغة إليه، ذلك أن أساليب التعبير المختلفة وما تتسم به لغة أو لغة أخرى، ماهي إلا أساليب الجسم البشري التي يتخذها للانخراط في العالم[1] لأنه لغة طبيعية على اعتبار الوعي الخاص به كوسيلة للتعبير.

ومما سبق كذلك يمكننا تأكيد أن الجسم بصفته وعينا الخاص وانخراط ووجود في العالم، يكون هو أساس ومصدر ما يوجد في العالم من معنى، بل إن الجسم في حد ذاته هو المعنى،وإذا كان فيلسوف الوجودية سارتر يرى بأنه محكوم علينا بالحرية بحكم أن الإنسان مشروع دائم التجديد، فإن ميرلوبونتي يرى" أنه محكوم علينا بالمعنى"[2] nous sommes condamnés au sens وهي مقولة أكد عليها ميرلوبونتي نظرا إلى وجـودنا الجسماني
الواعي في هذا العالم، فلا نحن مقذوف بناء في هذا الوجود، ولا نحن في قلق دائم ومستمر، وإنما نحن ذوات تحيى مع ذوات أخرى في إطار وجود واحد هو الوجود في العالم.

وإذا كان هيدغر يرى أننا من خلال الخبرة الداخلية، نستطيع التعبير لتكون هذه الخبرة أساس قراءة وفهم الوجود، وأن اللغة هي وسيلة لتأويل الوجود انطلاقا من الذات[3] فإن ميرلوبونتي من خـلال تعبيرية الجسم* وأداء المعنى من خلال مختلف وظائفه، يؤكد على دور الذات ،في السعي الدائم للوصول إلى المعنى و محاولة الكشف عنـه لا عن معنى الوجود بقدر ما أن الجسم مبدع المعنى من خلال نظرته[4] .

ليظهر لنا أن فعل المعنى قائم بين حركة الجسم والوجـــود، والوجود هنا بمعنى الموجـــود أو الموجودات لأن ميرلوبونتي - كما ذكرنا ذلك سابقا- يسعى لإعادة تأسيس علاقة الذات، كذات واعية بالموضوع كوجود واقعي من خلال فكرة الجسم القادر على التعبير، لنؤكد أن ميرلوبونتي استطاع أن يعيد تلك الوحدة المفقودة بين الذات والموضوع منذ ديكارت، كما تجاوز ثنائية التجريبية والعقلية، والتي لم يستطع هوسرل تجاوزها، لأن فينومنولوجيته بقيت محصورة

(1)- الشاروني حبيب، مرجع سابق، ص141.
(2)- Merleau- Ponty,La phénoménologie De la Perception,Op. Cit, p215.
(3)- Revue de Métaphysique et de Morale, Op. cit, 128.

(4)- Ibid, p130.

*)- هذه بعض العبارات من **"فينومنولوجيا الإدراك"** تبرز تعبيرية الجسم: إنه حركة التعبير" ص171 "إنه قدرة التعبير الطبيعية" ص211 "إنه مكان أو حالية ظاهرة التعبير" ص271.

في الذات المتعالية.

ونجد ميرلوبونتي يؤكد على أن كل إدراك وكل استعمال بشري للجسم إنما هو منذ البداية تعبير أولي [1] فقد كان كل هاجس ميرلوبونتي هو توضيح طبيعة هذه اللغة الأولية بما هي تفعيل جدلي بين الجسم والإشارة، مقابل لغة الألفاظ الأكثر ارتباطا بما هو اكتساب ثقافي .

(1)- Merleau- Ponty, Signes, Op. Cit, p84.

3-الكلام المتكلم و اللغة العادية

هكذا وبعد أن رأينا الجسم من خلال حركته الواعية في العالم، يحاول أن يحول أو يترجم خبرته التي اكتسبها في إطار المعيش إلى رموز ذات معنى في أسلوب تعبيري خاص، لنجد أن هذا التعبير يتجسد في حركات أو إيماءات أو إشارات، فما المقصود بالإيماءة الجسديةla mimique ؟

إن الإيماءة هي التي تشير. فمثلا كما يرى ميرلوبونتي، أني لاأعيش الغضب كحدث نفسي مختفي وراء الحركة

وإنما الإيماءة أو الحركة هي الغضب ذات، ذلك أن معناها لا يسبقها ولا يليها،بقدر ما أن الإيماءة هي معناها،بحيث

أنها معطاة مع هذا المعنى،فكيف يكون ذلك؟يؤكد ميرلوبونتي على أن التواصل بالإشارات يكون بالتبادل بين قصدياتي

وإشارات الآخرين وبين إشاراتي و القصديات الظاهرة في تصرفاتهم[1].

تظهر لنا هنا طبيعة العلاقة بين الإيماءة ومعناها،فالمعنى متضمن في الإيماءة ذاتها،وما على، إلا أن أحاول فهم هذا المعنى لأن المعنى ليس كالزبد فـوق الكعك كما يرى ميرلوبونتي،فالإيماءة إذن نمطمن الأسلوب الاتصالي بين الذوات
ينكشف فيهاالمعنى،كما يتجلى فيها سر وجود اللامرئي في المرئي.كما نلاحظ من جهة أخرى ،أن هذه الإشارات أو
الإيماءات الجسدية،هي ضرب آخر من ضروب الذاتية المتبادلة في إطار إشكالية الآخر،خصوصا ما يرتبط بمسألة الإدراك واللغة،لذا نجد أن هذه الإيماءات كما أرادها ميرلوبونتي،تعطي طابعا جديدا من حيث الطرح ،لمسألة الجسم والآخر ليمتزج الصمت بالإشارة والإشارة بمعناها.

Chyslainأن الجسم هو وسيلتنا الناجحةلمعرفة العالم بما أنه يحدد إشارات وحركات ثابتة وترى غيسلين
وضرورية في الحياة،لأنه يقدم معاني مجازية مـن خلال هذه الإشارات[2]لذا تعتبر هذه الإشارات، لغة قائمة بحد ذاتها
فرأى ميرلوبونتي ضرورة البحث عن المخططات الأولى للغة في الإيماءات الجسدية،إلا أن الصعوبةتكمن في عدم وجـود
مفاهيم طبيعية تحول الإشارة الاصطناعية أو الاتفـاقية إلى تلك الإشارات الطبيعية،ومع ذلك يبقى لتلك للإحساسات
المرافقة للإيماءات ارتباط وثيق بالأجسام،ولها أهميتها بالنسبة لميدان اللغة.

(1)- Merleau-ponty,La phénoménologie de la perception,Op.Cit,p215.
(2)- Ghyslain Charron,Op.Cit,p84.

فإذا أردنا أن تكون هناك إشارات طبيعية،يجب إيجاد،"حالات وعي" états de conscienceتقدم و
تحتوي على تنظيمات أولية لأجسادناتناظر إشارات معينة،لأن هناك دائما اختلافات بين الإيماءات،فمثلا إيماءة الغضب
أو إيماءة الحب،لا تـكون هي ذاتـها الإيماءات المـوجـودة عند الأوروبي مثلا،ذلك أن هذا الاختلاف، يغطي اختلافـا في الإحساسات ذاتها،بما في ذلك الوضعية والتعامل مع الوضع[1].

وما يتضح لنا من خلال ماسبق،هو أن الحالة الواعية الـواحدة ،يمكن أن تعبر عنها إيماءات جسدية مختلفة
لذلك لكي يعبر بعض الأشخاص أحيانا عن سعادتهم قد يكتفون بنوع من الابتسامة في حين لا يمكن لغيرهم التعبيرعن
هذه السعادة إلا بأداء حركات معينة،وعلى هذا ،نجد اختلافا في توظيف و اختيار الإشارات والإيماءات الجسدية
للتعبير عن حالات وعي معينة ،قد تكون الحالة نفسها.

فالوعي،الإشارة والمعنى هي عناصر ثلاثة يقوم أحدها على الآخر،ذلك أن الإشارة أو الإيمـاءة، أو إن شانا

الحركة هي مصاحبة للأفكار وأن القصد العملي للوعي يجعلها إشارات متولدة،فمهمته هنا هي إخراج وإظـهار تلك
الإشارة ذات المعنى[2]وهذا ما يظهر الأهمية التي تأخذها الإيماءة الجسدية،وذلك من ناحية وظيفتها في الاتصـال بيـن
جسمي وجسم الآخر،فهي تكون بالنسبة لي كسؤال وتحاول إخباري أشياء كثيرة عن العالم،ويكتمل التواصل عـندما
يكون تصرفي في هذا الإطار.

فهناك إثبات للآخر من خلالي واثبات لي من خلال الآخر،فأدرك هذا الآخر وكذا الأشياء من خلال جسمي
فمعنى الإشارة الجسدية يمتزج مع بنية العالم،حيث تكون هي حاملة المعنى في هذا العالم،لأنه لا يوجد إلا معها[3] إلا
أنه من شرط هذا التواصل أن تكون الإشارات أو الإيماءات بين شخص وآخر مع وجود اقتراب في الثقافة،لأننا بطبيعة
الحال لا نفهم شيئا من إيماءة الحيوان،كما نجتهد في بحث وفهم الاختلاف و التشابه بين الحضارات و الثقافات ،لما من

---

(1)- Merleau-ponty,La phénoménologie De la Perception,Op.Cit,p.p 219.220.
(2)- _____ ,La Structure Du Comportement,Op.Cit,p176.
(3)-Bruno Huisman,Les Philosophes et Le Langage,(Paris: Caint-Germain,1986),p318.

شأنه أن يخلق عالما خاصا[1]ويرجع هذا أساسا إلى الواقع المعيش الفردي رغم اختلاف طرق تفكير وتصرف الأشخاص
إلا أنه توجد ظروف وحالات محددة ،من تاريخ ،و حضارة ولغة...تجعل الأشخاص يتفقون على أفكار و مبـــادئ
ثابتة .

وهذا ما أشار إليه المفكر الألماني المعاصر أرنست كاسيرErnst Cassirer إذ رأى أن الإشارة هي
وحدة بين"الداخل"و"الخارج"بين "الروحي"و"الجسدي"وأكد على أهميتها من الناحية اللغوية فميز بين لغات الشعـوب
البدائية،ولغات الشعوب المتقدمة،وعلى الرغم من وجود علامات ورموز لغوية،إلا أن هناك أفكـارا و مـواضيعا،يعبر عنها بإشارات جسدية[2]وهي مساوية للكلمة من ناحية الأهمية التعبيرية،بل إن الإشارات و الإيماءات الجسدية غنية من ناحية المعنى،فهي بمثابة أشكال طبيعية متضمنة للمعنى مقابل الإشارة الإصلاحية الاتفاقية .

كما أننا في اللغة العادية،نصنف اللغات إلى أقسام وأنواع مختلفة من ناحية الألفاظ والقواعد والتراكيب فانه مع
الجسم وإيماءاته هناك لغة واحدة و حيدة نحياها وهي جزء من عالمنا،فكما أن جسمي الواعي حاضر في العالم فان

المعنى لا ينسى حضوره في الإيماءة،فهل يمكننا القول بأن ما تتصف به الإشارة الجسدية من معنى هو نفسه ما تتصف
به الإشارة اللغوية من معنى؟ وكيف نظر مرلوبونتي إلى كلا الإشارتين بالنسبة إلى تعبيرية الجسم؟

(1)- A.de Walhens ,Op.Cit,p157.
(2)-Ernst Cassirer,La Philosophie Des Phormes Symboliques,1Langage,Trad. par,Olehansen-Lave,et Jean Lacoste
(Paris :Les éditions minuit,1972),p.p 129.130.

4-الكلام المتكلم و اللغة الادبية

لقد رأينا الأساس الذي تقوم عليه نظرية مرلوبونتي حول الإيماءة الجسدية،على اعتباران الإيماءة في حد ذاتـها
هي معناها،ووضحنا ذلك بالمثال و التحليل،لنحاول الآن أن نعرف كيف طور ميرلوبونتي موقفه هذا ليشمل الإشارة اللغوية،وذلك دائما من خلال فكرة الجسم .

ربما من الطرافة أن يكون الحديث عن الجسم بهذه الطريقة،فهو المدرك،المتحرك والناظر..وهو أساسا المتكلم
المعبر من خلال جملة من الحركات والإيماءات،وهو إضافة إلى ذلك مصدر الإشارة اللغوية،فقبل أن نقول بان الكـلام هو
فعل من أفعال التفكير،فانه يكون ببساطة من أفعال الجسم .

يرى ميرلوبونتي أن الكلمة بما هي تمثل جزءا من العالم اللغوي،فانه ليست لدي وسيلة لاستحضارها غير أن
أنطق بها،وذلك مثلما أن الفنان ليس لديه وسيلة أخرى لاستحضاره غير انجازه[1]لذا فان جسمي هو الوسيلة الوحيدة
والمباشرة للنطق والكلام،وإذا كانت الإيماءة الجسدية هي معناها تكون الإشارة اللغوية هكذا هي معناها،إذ لا أسبقية
للفكر على الكلام و لا للكلام على الفكر.

أما بالنسبة إلى المعنى اللغوي فهو نوعان أساسيان،أنظمة الصرف والنحو،وهي تجسد "وسائل التعبير" Moyens d’expression وتوجد كمشروع لأفعال الكلام Actes du Parole ،ولكن هناك معنى لا يصاغ فقط لكي يحول إلى الآخر و الاتصال بالآخرين،و إنما معنى يصاغ لمعرفة الوجود لذاته نفسه[2]لذا فان المعنى والتعبير في حد ذاته ، لا يكون إلا بهدف

تأصيل سؤال الذات،من خلال مختلف أشكال التعبير وما يحمله من مقاصد تسعى لإثبات وجودها، سواء في إشارات الفرح، الغضب أو الحزن...وغيرها،وهذا ما كان يقصده مارتن هيدغر حيث يقول:"اللغة بوجه عام وقبل كل شيء،ما يضمن إمكان الوجود،وسط موجود،ينبغي أن يكون موجودا منكشفا"[3].

(1)- Merleau-ponty,La phénoménologie De la Perception,Op.Cit,p210.
(2)- Ibid,p229.
3)-مارتن هيدغر،هيلدرلين و ماهية الشعر،ت،فؤاد كامل،ط2،(القاهرة:دار الثقافة للطباعة والنشر،1974)،ص146.

فاللغة بما هي إشارات و رموز،تعتبر رؤية للوجود ولكن هذا لا يعني أن الذات تبقى مرتبطة بهذه الإشارات
ل إن المعنى يعطي للذات القدرة على تجاوزه،ذلك أن الإشارة تبقى محددة ،واللغة كما يرى ميرلوبونتي ليست سجنا
نحن محبوسون فيه،أو هي عبارة عن دليل يجب علينا إتباعه[1]و ذلك لأنها لا تستنفذ كل قدراتها وطاقاتها في توصيل
المعاني والتصورات،فإذا كان دي سوسير ينظر إلى اللسان على أنه نظام من العلامات لا يعرف إلا نظامه الخاص،فاللغة
بما هي ألفاظ ،بحيث كل لفظ يقابله معنى،فان ما يميز هذا المعنى في فينومنولوجيا اللغة هو الكثافة،إذ يوجد في الإيماءة الجسدية واللغوية،مع أنه ليس معطى لي،وإنما أحاول البحث عنه والوصول إليه .

لذا فان للغة طبيعة خاصة ناتجة عن طبيعة الإشارة اللغوية ذاتها،ذلك أنها تظهر رغبات الذات،وهي ناتجة عن
قدرة محركة،لان الوعي كما يرتبط بالتفكير فانه يتعلق بالممارسة والجانب العملي، لذا فان الإشارة اللغوية تحدد في
العالم اتجاهات كما ترسم أوجها،ونؤسس أبعادا و معاني[2]وتكون هذه الإشارة اتفاقية،مقابل الإشارة الجسدية الطبيعية
فقد رأى دي سوسير أن العلامة توجد وفق استخدام معين لها، في حين يقوم المنظور الفينومنولوجي الميرلوبونتي على
اعتبار أنها تقوم على القصد الموجه لها،وكذا ظهورها في سياق الكلام مثل ما يظهر من نبرة الصوت،واختيار القواعد
و المعاني المشكلة لها...

يمكن مع ذلك أن تشير العلامة إلى معنى محدد،لكن إذا تناولنا العلامات أوالاشارات مجتمعة فإنها توحي إلى
معنى مؤجل،أستطيع كما يقول ميرلوبونتي أن أتجاوزها نحوه.لأن تعلم الطفل مثلا لا يتوقف على ما يكتسبه من معاني
نحوية،معجمية ومورفولوجية[3]ذلك أنه لا يمكنني أن أقارن بين ما أود التعبير عنه ووسائل التعبير المستخدمة،لذا فان
هناك واسطة بين المعنى الذي أريدالتعبير عنه أي المعنى القصدي وبين ماأستخدمه من كلمات للتعبيرعن هذا المعنى
وهذه الواسطة هي معنى كلامي،بحيث أنا ذاتي تفاجئني كلماتي وتعلمني فكرتي،فالإشارة اللغوية لا ترتبط بالتفكير

بقدرماترتبط بما أستطيع التعبير عنه[4]ويمكن لأي شخص أن يقع في هذه الحالة إذ لا تفهم المعنى إلا أثناءحديثك فمثلا

(1)- Merleau-ponty,Signes,Op.Cit,p101.
(2)- Ghyslain Charron,Op.Cit,p87.
(3)- Merleau-ponty,Ibid,p110.
(4)- Ibidem.

إذا طرح الأستاذ على التلميذ سؤالا بصفة مفاجئة وحتى عادية،فانه مباشرة يشرع في الإجابة،ويفهم المعنى في اللحظة التي يجيب فيها،أي أن هناك تزامنا في الظهور بين الكلمة ومعناها.

ولأجل ذلك يرى اللغوي الألماني هامبولدت Hamboldt أن اللغة ليست نتيجة ،بقدرما هي فعل إظهار
،أي إظهار للمعنى الذي يتجسد على أنه نظرة للعالم وذلك انطلاقا من النظرة الإنسانية[1]و المقصود هنا هو الارتبـاط
بالجانب العملي الممارساتي لأن الفعل اللغوي ليس مجرد فعل تفكير،لذا اتجهت فينومنولوجيا ميرلوبونتي إلى الواقع .

ومن جهة أخرى نلاحظ أن الاهتمام مشترك بين ميرلوبونتي وكاسير،هذا الأخير الذي يرى أن اللغة لا توجد
في العناصر الناتجة عن التحليل والتجريد،ولكن في العمل الذي يكرر إقامة الفكر،لأجل جعل الصوت اللفظي ،جديرا
بالتعبير،وهذا ما سماه كاسير بماهية وشكل اللغة[2]ليبقى المعنى موجودا في الكـلام والتعبير، فلا هـو سابـق الإشارة اللـغوية ولا هـو لاحق بها،بـل إن المعنى هنا كما رأينا في الإيـماءة الجسدية مباطـن في الإشارة اللغـوية،فالـفرح مثلا هو الإشارة التي تدل عليه.لتحقق كل من الإشارتين الجسدية واللغوية علاقة الجسم بالعالم .

وإذا كان دي سوسير يرى أن اللغة لا تحمل أفكارا ولا أصواتا وإنما اختلافات بين الأفكار والأصوات،فان
ما يراه ميرلوبونتي في اللغة،كاللغة الفرنسية العادية هو أنها ليست عبارة عن مجموعة من الألفاظ،ولا هي عدد غير محدد من الكلمات ،بل إن مظاهر التعبير هي التي تحدد كل كلمة،و كل شكل بحسب قانون استعماله اللغوي[3].

ويتضح من هذا العرض البسيط أن اللغة تظهر في فعل التعبيركما تحدده الذات المتكلمة لتكون هذه اللغة ليست مجمـوع كلمـاتها،وإنما هي مجمـوع الاستعمالات التي تخضع لهـا اللـغة،لتظهـر هذه الاستعمالات في أفـعال التعبير المختلفة
و صحيح أن دي سوسير لم يرفض كلية الدراسة التاريخية ولم يخرج الكلام من دراسة اللغة،إلا أنه جـعل اللسان وحده
الموضوع الأول للدراسة العلمية،ليكون موضوع الفينومنولوجيا اللغوية هو الكلام وأفعاله بما هو خاصية للذات المتكلمة

لنؤكد على الارتباط بين الإشارتين الجسدية واللغوية معا ذلك لأن"حركة الجسم مثل الكلمات..تبقى غامضة

(1)- Jan-Pierre Chacosset,Op.Cit,p55.

(2)- Ernst Cassirer,Op.Cit,p108.
(3)- Merleau-ponty, La Prose Du Monde,Op.Cit,p.p 45.46.

الكلمات،تصدر مثل حركاتي، إنها ترتبطبما أريد قوله،مثلما ترتبط حركاتي بما أريد فعله"[1]فهما يظهران في الموقف الكلي للجسم،وكلها أشكال من أشكال المعنى والصوت،الكلمة والصمت،من خلال جدلية المرئي و الامرئي،في إطار فينومنولوجي وجودي .

لكن ومن خلا ما سبق أيمكن أن ننظر إلى كل من الإشارتين،الجسدية واللغوية من منظور واحد ؟يعترض برينو ويسمان Bruno Huysmans على هذا الربط المباشر بينهما،ويرى أنه من غير الممكن أن تؤدي الإشارة أو الحركة الجسدية المعنى نفسه الذي تؤديه الإشارة اللغوية،كما أن الإشارة الجسدية تشير إلى العلاقة بين الناس و العالم المحسوس،وأن[3] هذا العالم معطى للمشاهد من خلال الإدراك الطبيعي،أما الإشارة اللغوية فهي،على العكس من ذلك تقدم مشهدا ذهنيا غير معطى لأحد من الناحية الحسية،كما أن للإشارة اللغوية ، قدرة أكثر من الإشارة الجسدية على أداء التواصل[2] وهذا صحيح إلى حد ما،لكن ما قصده ميرلوبونتي هو التأكيد على فكرتين مهمتين،أولا أن الجسم هو مركز وأساس الإشارتين معا،وثانيا أن المعنى في كلا الإشارتين متضمن فيهما.

ويذهب ميرلوبونتي إلى حد التأكيد على أن"الكلام هو حركة،العالم معناها" la Parole est un Gest,sa signification un monde لتظهر لنا تلك العلاقة التي تقوم بين الجسم والعالم، الكلام و المعنى
ليكون الجسم هو أساس علاقة الذات بالموضوع،فما الإدراك إلا حضور الجسم و العالم في علاقة واحدة مباشرة، بما
يحتويه العالم من كثافة الأشياء و الآخرين ومختلف الموضوعات،وذلك بما أني أعي جسمي الخاص،لأني أنا ذاتي وعين
جسمي .

ومما سبق ذكره حتى الآن،نرى أنه لم يعد الحديث في فينومنولوجيا ميرلوبونتي قائما حول الذات المتعالية الكامنة
خلف سراديب الوعي،ولا عن وجودين لذاته وفي ذاته يشطران الوجود إلى قسمين،بقدر ما أن هناك ذاتا واعية بجسمها
الخاص الحاضر في العالم،ذلك الجسم الواعي المتحرك و المدرك والمتكلم .

إن الخاصية التعبيرية للجسم-رغم طرافتها-تحمل الكثير من التصورات الجديدة حول فكرة الجسم،في الفلسفة

(1)- Merleau-ponty,Signes,Op.Cit,p190.
(2)- Bruno Huisman,Op.Cit,p318.
(3)- Merleau-ponty,La Phénoménologie de la Perception,Op.Cit,p214.

من خلال التناول و الطرح.وهكذا بعد أن تحدثنا عن أهم العناصر المكونة لفينومنولوجيا ميرلوبونتي،ورأينا تلك القدرة التي يتميز بها الجسم من خلال أداء المعنى و

التعبير.سنحاول أن نتعرف على أهم الإشكاليات المطروحة في مسائل اللغة والكلام والفكر والفن،وغيرها من العناصر التي تمثل فلسفة ميرلوبونتي،ومنظوره الفينومنولوجي للغة .

الفصل الرابع

تمـــهيد

بعد أن تعرفنا في المنظور الفينومنولوجي،على طبيعة اللغة وكيفيتها التعبيرية،و كيف يمتاز المعنى بالتأجيل
إلى درجة أن الذات لا تعرف معنى كلماتها إلا من خلال أو أثناء حديثها.لتزول ثنائية الفكر و الكلام،وتصبح الفكرة
متكلمة و الكلمة مفكرة.ونحاول في هذا الفصل الرابع و الأخير أن نتعرف على موقف"ميرلوبونتي"من الكوجيتو
الديكارتي،وعلى تلك العلاقة الموجودة بين الصمت و الكلام،لنصل إلى معرفة كيف يكون الفن لغة و أسلوبا تعبيريا
إبداعيا .

إن ماتتميز به فينومنولوجيا"ميرلوبونتي"هنا هو ارتباطها بالمباحث الوجودية،واتخاذهامن فكرة الجسم نقطة
ارتكاز أساسية،ليصل"ميرلوبونتي"حتى بالنسبة إلى الكوجيتو إلى وضع كوجيو جديد يقوم على هذه الفكرة ،محاولا
بذلك تقديم حلول لإشكاليات و تساؤلات فلسفية مختلفة،بقيت موروثة منذ اللحظة الديكارتية،إضافة إلى المهمة
الأساسية وهي تجاوز الاتجاهين التجريبي و العقلاني .

ولا تظهر لنا المسألة هنا على أنها تجاوز للأرضية الفينومنولوجية الخالصة،أو محاولة رفض بعض الأبعاد
الأخرى،بقدر ما هي إعادة تأهيل أو إعادة ضبط للمفاهيم و التصورات،وان مايتميز به التفكير"الميرلوبونتي"هنا هو
عمق و جدية الطرح الإشكالي،مع محاولة توضيح الخبرة و الإدراك بما ترتبط به هذه المفاهيم و غيرها بالكوجيتو
و الكـــلام .

وعلى هذا سنجد أن فينومنولوجيا"ميرلوبونتي"،تتحول إلى نوع من الانطولوجيا من خلال حديثه عن الكوجيتو
و الصمت و حتى العلاقة بين الفـن و اللغة،ذلك أن كل هذه المفاهيم و التصورات تحدد مكانة الذات في هذا الوجود
وتجيب عن سؤال وجودها وهذا ما سعى إليه "هيدغر"(Heidegger) من أجل البحث عن طبيعة الوجود الأصيل
للكائن.لذا سنرى كيف يعيد"ميرلوبونتي" قراءة الكوجيتو الديكارتي؟كيف ينظر إلى الصمت و علاقته بالمعنى؟وكيف
ينظر كذلك إلى الارتباط الموجود بين الفن و اللغة،وهذه أهم عناصر فصلنا القادم.

I- الكـوجيتو و الكـلام

1- قراءة"ميرلوبونتي" للكوجيتو الديكارتي

تعتبر مقولة الكوجيتو Cogito،كمقولة فلسفية معبرة عن مرحلة معينة،من تاريخ الفكر الفلسفي انطلاقا من
اللحظة الديكارتية،فقد تأثرت معظم الفلسفات الحديثة بالكوجيتو الديكارتي،باعتباره وسيلة لإثبات وجود الذات
من خلال الفكر،و هو ما عبر عنه"ديكارت"بقوله"أنا أفكر،أنا موجود"" je pense,donc je suis"[1].

وتطورت العقلانية الديكارتية فيما بعدخصوصا مع"سبينوزا"(Spinoza)"ليبنتز (Leibniz)،و عرف
الكوجيتو تغييرات مختلفة،و كذلك مع الفلسفات المعاصرة كالوجودية و الفينومنولوجية مع"سارتر"و" هوسرل"،فقد تأثر مؤسس الفينومنولوجيا كثيرا"بديكارت"،من خلال العودة إلى الذات و خبرتها الحية ليضع تصورا جديدا عن الكوجيتو يتناسب و اتجاهه الفلسفي الجديد.

فمثلا عندما أرى هذا الورق الأبيض و ألمسه،فهذا يعني أن هناك إدراكا يساهم في تأسيس المعيش النفسي
المتعلق بهذا الورق الذي أراه،إذن فان الورق من خلال كيفياته هو معيش للوعي،إضافة إلى أنه من خلال
الكيفيات الموضوعية،و وجوده في المكان،مقارنه بهذا الشيء المكاني الذي يسمى جسمي،فهو كوجيتاتوم
Cogitatum،ليصبح كل معيش يتمظهر على خلفية الخبرة[2]ويقوم الكوجيتو هكذا على فعل الذات الواعية.

إن هذا الوعي هو أساس الفينومنولوجيا الهوسرلية، من خلال العودة إلى الذات المتعالية،لنجد أنفسنا أمام
فلسفة للذات أو الوعي،أو فلسفة مثالية هي بمثابة الإعلان الصوري لمثالية متعالية،ويكون وعيا متعاليا للذات خارج
العالم[3]ويكون الوعي المتعالي للذات أساس الكوجيتو،وليجعل"سارتر" فيما بعد الأنا المتعالي كفعل مطلق للذات و يعطيه طابعا وجوديا،من خلال مقولة الحرية.فكيف نظر"ميرلوبونتي"إلى الكوجيتو الديكارتي؟و كيف وظفه
في فلسفته مقابل الفينومنولوجية و الوجودية عند"هوسرل"و"سارتر"؟.

---

(1)- Descartes,Op.Cit,p36.
(2)- Husserl,**idées directrices pour une phénoménologie**,Op.Cit,p112.
(3)- Raymond Van court,**La phénoménologie de la Foix**,(Belgique :édition desclée,1953),p 41.

لقد خصص"ميرلوبونتي"في كتابه **"فينومنولوجيا الإدراك"** فصلا مهما حول الكوجيتو حدد فيه موقفه من
الكوجيتو الديكارتي،إذ انطلق من النقطة التي توقف عندها"ديكارت"من مقولة"أنا أفكر،أنا موجود"،فهناك كما يرى أولوية للفكر على الوجود،و يؤكد"ميرلوبونتي"انطلاقا من مفهوم القصدية أنه"إذا عرفنا بالتأكيد أن علاقتنا بالأشياء
لا يمكن أن تكون علاقات خارجية،وكما لا يمكن للوعي بالذات أن يكون تسجيلا بسيطا لأحداث نفسية،فانه يبقى

بالتحديد أن، نفهم انتماء العالم للذات و انتماء الذات إلى نفسها"[1]وذلك بتحديد طبيعة العلاقة التي تربط الذات بالموضوع،وبالضبط حركة الوعي الذي يسري بينهما.

تؤكد فينومنولوجيا "ميرلوبونتي"-كما رأينا-على أن الجسم هو الوجود الواعي في العالم،وهو بهذا يحقق الوعي
و الاتصال المباشر ما بين الذات و الموضوعات انطلاقا من قصديه الجسم و حركته،وهذا ما توصل إليه "ميرلوبونتي" من خلال مقولة الواقع المعيش التي عبرت عنها فلسفة
"هوسرل"المتأخرة،لأن الذات دائمة الانخراط في حركة اتصالية واعية مع العالم،ليس وعيا متعاليا على الواقع،وإنما هو وعي جسماني،ليرتبط الكوجيتو هكذا بالواقع.

أيضا،ومن ناحية أخرى إذا كان"ديكارت"قد سعى إلى الفصل بين فكرتي الجسم و النفس،ورأى أن الذات
تفكر و تشك في كل شيء ما عدا أنها تشك،بهدف إثبات وجود النفس و الذات المفكرة مقابل الوجود الجسماني
الزائف.فان"ميرلوبونتي"ذهب إلى أن الوجود الحقيقي هو وجود الجسم،لأن الجسم الواعي هو تعبير عن الوجود
ليصبح الكوجيتو بذلك كوجيتو وجودي،وهو بدوره كوجيتو متجسد.

انطلقت فلسفة كل من"هوسرل"الفينومنولوجية و"سارتر"الوجودية،من فكرة وعي الذات،فظهرت بذلك
أشكال مختلفة لفلسفات الوعي،كرست نماذج فلسفية تبتعد عن الواقع.لذا تؤكد
فينومنولوجيا"ميرلوبونتي"على أن ما
يظهر في الوعي هو الظاهرة باعتبار أن المعيش هو معيش خاص بي،ولا يمكن إرجاع الوعي إلى الوعي ذاته،بل إن
"الأنا أفكر هو الذي ارتبط بحركة التعالي الخالصة،بالأنا موجود و بالوعي بالوجود"[2].فالوعي لا يسبق العالم وإنما
يكون الوعي و الوجود الواقعي لظواهر العالم مرتبطان مع بعضهما.فما هو الكوجيتو الذي يقترحه علينا"ميرلوبونتي"؟

(1)- Merleau-ponty,**La phénoménologie de la perception**,Op.Cit,p427.
(2)- Ibid,p439.

إن الكوجيتو الحقيقي و الفعلي هو كالآتي "هناك وعي بشيء ما،والشيء موجود،إذن توجد الظاهرة"[1]
ليظهر لنا تحول الوعي من يقينه المطلق النابع من سيطرته على الأشياء و العالم،إلى وعي يقوم على التسليم أساسا
بوجود الأشياء الواقعية،لينطلق في رحلة البحث عن حقيقة الظواهر،فما الوعي إذن إلا وعي جسماني يحقق
الوحدة المفقودة بين الذات و الموضوع في الفلسفات السابقة خاصة عند"ديكارت" و"سارتر".

إن الفكر يسبق ذاته،وذلك لأنه يحدد منذ البداية ما يريد البحث عنه،و إلا ما كان ليفعل،ففكري هو

تلك القدرة الغريبة التي تدفع إلى الأمام والفكر يجد نفسه دائما داخل نفسه،ومنه أستطيع معرفته في استقلاليته
لأن كل فكر بشيء ما هو في الوقت نفسه،وعي بذاته[2].

ويتضح لنا مما سبق ذكره، أن قيمة الوعي تكون بالنسبة إلى الموضوع.فمن دون هذا الوعي لا يكون الموضوع
لأن الموضوع هو ما يظهر في خبرة الوعي،ليصبح الفكر الفعال هو أساس الوعي بالذات،لذا نجد أن"ميرلوبونتي"
في قراءته للكوجيتو الديكارتي،يأخذنا في رحلة بين المفاهيم القديمة و الجديدة،قديمة في شكلها جديدة في محتواها
فإذا كان الوعي في الكوجيتو الديكارتي هو وعي الذات بالذات،فانه في الكوجيتو الميرلوبونتي وعي بذات متجسدة
مدركة لأشياء متحققة في الواقع.

وقد حاول"ميرلوبونتي" نقد نماذج متنوعة من فلسفات الذات،فتحت عنوان"اكتشاف الذاتية"ضمن كتاب
"**علامات**""**Signes**"،تساءل،كيف أن أجيالا من فلسفات متنوعة تشترك في التأكيد على الذات؟.و من
أهم الذين اهتموا بالذات في فلسفاتهم نجد،"منتاني(Montagne) ،"ديكارت"،و"باسكال" (Pascal)
إضافة إلى كيركيجارد * (Kierkegaard).وغيرهم[3]،و الخطأ الذي وقع فيه هؤلاء حسب "ميرلوبونتي" هو أنهم حاولوا كشف الذات،وجعلوا من أنفسهم مكتشفين لها في حين لم تكن هذه الذات تنتظرهم لكشف النقاب عنها أو أن يصرحوا بأنها من أعظم اكتشافات البشرية.

---

(1)- Ibid, p342.
(2)- Ibid, p .p 425.426.

* كيركيجارد (Kierkegaard) 1813-1855، فيلسوف وجودي ألماني.

(3)- Merleau-Ponty ,**Signes** ,Op.Cit ,p.p 191.192.

ولا يعني هذا النقد الموجه إلى فلسفات الذات و الكوجيتو الديكارتي خصوصا رفض "ميرلوبونتي" المطلق
لهذا الكوجيتو،أو انتقاصا من قيمته و أهميته الفكرية و الفلسفية،فالكوجيتو الديكارتي له عظيم الأثر على الفلسفة
الحديثة كلها،إلى درجه أن"ميرلوبونتي"يؤكد على أن كل إنسان حتى و لو كان ماركسيا،مرغم على أن يذهب مع
ديكارت إلى التأكيد على الكوجيتو،وعدم إنكار الوعي[1].

إن من أهم الخصائص التي تميز الكوجيتو عند"ميرلوبونتي"،هو طابعه الواقعي،ذلك أن العالم الموجود يظهر
أمامي لا كبناء مجرد،و إنما هناك وعي واقعي بموضوعات العالم و أشياءه،لذا فما يمكن الأنا أفكر من أن يكون

الأنا موجود،هو قدرة الفكر على التساوي مع الثراء الواقعي للعالم[2]لذا رفض"ميرلوبونتي"فكرة الرد الهوسرلي بالمعنى الايديتيكي éditique،لأن هذا يجعل الشيء حضورا واعيا لدى الذات.

وعلى ذلك فان حقيقة وجودي لا ترجع لكوني أفكر بوجودي،فأنا موجود.بل أنا أفكر لأنه لدى يقين
بوجودي،هذا إضافة إلى أن "ديكارت"أعطى سلطة للذات على حساب الأشياء و الموجودات،في حين يكون إدراك
هذه الأشياء في فينومنولوجي"ميرلوبونتي"،في إطار الوجود الواقعي و الجسم هو الوجود الواقعي في العالم،ليتحول الكوجيتو
من الذاتية الديكارتية المطلقة و يتجه نحو الواقع متجاوزا ثنائية الاتجاهين التجريبي والعقلاني،من خلال الكوجيتو
المتجسد.

وذلك لأن إدراكاتنا الحسية التي يمكن أن تكون صحيحة و خاطئة،لن تكون ممكنة إلا إذا كان يسكنها
عقل قادر على أن يميز و يعين هوية موضوعها القصدي و يحفظه أمامنا،ولكن إذا كان الإدراك الحسي مجرد امتداد
لدينامية داخلية أكون على وعي بها،فان تأكدي من المقدمات المتعالية للعالم يجب أن يمتد إلى العالم بالذات[3]وعلى
هذا تصطبغ الذاتية المتعالية بنوع من الواقعية لتجد الذات نفسها ملقاة مع موضوعاتها في العالم،وهو ما سعت
إلى إثباته الفينومنولوجية الوجودية عند"ميرلوبونتي".

وما نصل إليه من خلال هذا العرض،هو أن الكوجيتو الحقيقي ليس الذي يحدد وجود الإنسان بفكرته

---

(1)- Merleau-ponty,**Sens et Non sens** ,Op.Cit,p138.
(2)- ———— ,**La phénoménologie de la perception**,Op.Cit,p430.
(3)- André Robinet,Op.Cit,p92.

الذاتية عن هذا الوجود،ولا يحول العالم إلى فكرة عن العالم،و إنما على العكس من ذلك،إذ يرى "ميرلوبونتي""بأن
فكرتي هي واقع لا يقبل التصرف،ويلغي أي شكل من أشكال المثالية،كما يمكنني من اكتشاف نفسي ككائن في
العالم"[1]ليحتل الكوجيتو مكانة مهمة عند"ميرلوبونتي"،كما نؤكد أنه من المسائل المهمة جدا في فينومنولوجيته وذلك
لارتباطه بموضعة الذات في الوجود من الناحية المعرفية و علاقته ببقية عناصر فلسفة "ميرلوبونتي" من النواحي
النظرية المنهجية،فبقدر مايرتبط الكوجيتو بالذات يرتبط بالجسم الواعي و بملامح التجربة المعيشة بمعانيها الواسعة.

كما يمكننا القول بأن الكوجيتو الميرلوبونتي ينطلق من الكوجيتو الديكارتي و يتجاوزه،لأنه انطلق من الوعي

و استطاع تجاوز الكثير من الإشكاليات التي ظلت سائدة لمدة طويلة في تاريخ الفكر الفلسفي،كإشكالية الذات وثنائية التجريبية و العقلية و مثالية الذات المتعالية عند"هوسرل"وانقسام الوجود مع "سارتر" إلى قسمين الوجود في ذاته L'être en soi و الوجود لذاته L'être pour soi.ليعيد"ميرلوبونتي" ربط المثالي بالواقعي وبناء جسور التواصل عبر الجسم الواعي بين الذات و عالمها المليء بالأشياء،من خلال جملة من المفاهيم
السائدة في المعارف المعاصرة.

وان المتأمل في المضمون الفعلي لكوجيتو "ميرلوبونتي"،يجد نفسه في حركة جدلية بين العالم و واقعيته وبين الوعي
و أفكاره.ليكون لهذا الكوجيتو أهمية و تأثيرا كبيرا على الكثير من المفكرين و الفلاسفة المعاصرين،أوليس بعد هذا أن الوجود بالمفهوم الميرلوبونتي هو الذي يضمن وجودي الحقيقي و الواقعي في العالم؟لنحاول بعد أن تعرفنا على مضمون الكوجيتو،أن نتعرف على التمييز الذي قدمه "ميرلوبونتي" بين الكوجيتو الضمني Cogito tacite و الكوجيتو المتكلم Cogito parlant.وهو موضوع العنصر الآتي.

---

(1)- Merleau-ponty,**La phénoménologie de la perception**,Op.Cit,p VIII.

2- الكوجيتو الضمني و الكوجيتو المتكلم Cogito tacite et cogito parlant

لقد أصبح الكوجيتو الديكارتي،من خلال القراءة الجديدة التي
قدمها"ميرلوبونتي"،أنا جسماني،إذ يقوم فيه
الفكر و الوجود المتجسد في الآن نفسه،ذلك أن الميزة الغالبة على الكوجيتو الوجودي هو تحوله عن الذاتية و توجهه
إلى العالم،لذا ليس الوجود تابعا لحركة الوعي،و إنما يكون الأنا موجودا من خلال الوعي الخاص بالوجود،ولهذا رأينا
أن الكوجيتو يقوم على فكرة الجسم،كما فعل "ميرلوبونتي" مع الإدراك و التعبير.

هذا الجسم لا ينفصل عن وجهة نظرنا إلى العالم،بل إن وجهة النظر هذه هي شرط تلك العمليات التعبيرية
وكل المكتسبات التي تكون العالم الثقافي،وعندما نقول أن الفكر عفوي و تلقائي فان هذا لا يعني تلاؤمه مع ذاته،بل
يتجاوز ذاته،لأن الكلام هو الفعل الذي يتحول من خلال الفكر إلى حقيقة[1]ومن خلال هذه العلاقة يميز"ميرلوبونتي"بين
الكوجيتو الضمني Cogito tacite و الكوجيتو المتكلم Cogito parlant،فما المقصود بذلك؟.

ينبغي أولا أن نبين أن الوعي الذي يحتل الصدارة في تحليلات"ديكارت"،أو"هوسرل"و حتى سارتر،ليس هو

الوعي الذي يتحدث عنه"ميرلوبونتي"فهو هنا وعي ضمني يتميز بأنه مفكر،وهو منفتح على العالم وعليه فالوعي المفكر
هو وعي لذات موجودة في العالم ،لذا فالعملية التعبيرية طبيعية فينا.فهل يمكن القول على هذا الاعتبار أن اللغة
تحتوينا و تقودنا؟.

إن كلمة كوجيتو،يمكن أن تحتوي على معنى تجريبي عملي،أي أنه قبل أي كلام نتلفظ به،هناك احتكاك لي
بخبرتي الخاصة بصورة مباشرة،وفي احتكاكي بخبرتي و بفكري،هناك كوجيتو ضمني يقابله كوجيتو متحدث أو
متكلم[2]فاللغة منفصلة نوعيا عن الوعي وهي تفترض وعيها الخاص،أو وعيا صامتا،هو الكوجيتو الضمني،أي أن هناك وعيا أوليا ضمنيا للغة،يقابله الكوجيتو المتكلم أو الوعي المتكلم،ويمكن للكوجيتو الضمني أن يتحول إلى كوجيتو متكلم و ذلك من خلال وعيه لذاته بذاته،وبهذا تتحقق العلاقة الواعية مع العالم،بواسطة العملية التعبيرية.

(1)- Ibid, p445.
(2)- Ibid, p.p 460.461.

ويرى"ميرلوبونتي"أن الكوجيتو الديكارتي في حد ذاته،بما هو تأمل،هو عملية لتحول المعاني و العلاقات التي
التي تظهر في الأفعال التعبيرية،لذا من أجل معرفة الفكر , العودة إلى الوعي يجب معرفة الكلمات و معانيها[1]إذ نؤكد
أنه على الرغم من التمايز الذي يظهر للوهلة الأولى بين الكوجيتو الضمني و الكوجيتو المتكلم إلا أن هناك نوعا من
الارتباط بينهما وهذا ما يظهر في علاقة الوعي بالمعنى،لأن معاني الكلمات في الكوجيتو المتكلم ترجع في أصلها أو
في مراحلها الأولى إلى الكوجيتو الضمني،رغم ما يتميز به الكوجيتو المتكلم من قدرة على بناء و تأسيس معاني
جديدة.

وهذا ما يذكرنا بالكلام المتكلم Parole parlant و الكلام المتكلم Parole parler،وإشكالية
طبيعة العلاقة بين الكلمات و الأفكار،وكذلك الإدراك الداخلي و الإدراك الخارجي بما يرتبط بالكلام،إذ ترى
"غيسلين شارون"(Gyslain charron) أن هناك تشابكا في البنية بين كل من الإدراك و الكلام فكلاهما
يندرج في إطار أسلوب و نظام ارتباطي،ولكن يبقى أن الإدراك يتمركز حول الجسم لأنه شعور و إحساس،بينما الكلام يتمركز حول الجسم من حيث هو تعبيرات و إيماءات[2].

لم يعتبر أحد من الفلاسفة من اللغة كشرط لوجود الكوجيتو،رغم أن الكوجيتو الديكارتي في حد ذاته مصاغ في كلمات،كما أنه مفهوم من خلال هذه الكلمات،وعلى ذلك فالكوجيتو"أنا أفكر،أنا موجود"،لا يحمل حقيقة

الـوجـود،وإنما الصيغة المثلى "نـحـن نـفـكـر،نـحـن نـوجـد"،لأن هنـاك كلمـات تحمل معاني الأفكـار كما تحمل أصواتا
فالكوجيتو الأول يتناسى اللغة في حين يؤكد الثاني على روعة اللغة،وكذلك قيمتها[3]فاللغة شرط الكوجيتو،لأن هذا
الكوجيتو هو كوجيتو متكلم.

واللـغة تفترض وعيا بهـا،كمـا ينفي"ميرلوبونتي"أن تكـون اللـغة إسهـاما خـارجيا كمـا يدعي علماء الاجتماع
فوراء الكوجيتو المتكلم يوجد كوجيتو ضمني،هو اختيار لي بواسطتي أنا،ويمكن للكوجيتو أن يتعرف على ذاته فيما
يسمى بالمواقف الحدية Situations limites مثل ألـم الموت[4]وحتى ألم المرض حالات الخوف،وغيرها،وعلى

(1)- Merleau-ponty,**Le Visible et L'invisible**,Op.Cit ,p.p 224.225.
(2)- Ghyslain Charron,Op.Cit,p122.
(3)- Merleau-ponty,**La phénoménologie de la perception**,Op.Cit,p460.
(4)- Ibid,p462

يتمكن الكوجيتو الميرلوبونتي من إبراز الجوانب الأنطولوجية في الكوجيتو من خلال علاقته باللغة،لتتميز قراءة"ميرلوبونتي"
بالجدة و الأصالة و التنوع وهذا ما يـؤكـد شدة اهتمـام"ميرلوبونتي"باللغة خصوصا وأنها أصبحت في مراحل متطورة من فلسفته أهم انشغالاته.

ويمثل الكوجيتو الضمني إذن،الوعي في مرحلة الصمت،ولا يدرك هذا الوعي الصامت إلا باعتباره"أنا أفكر"
وهو محتاج إلى أن نفكـر فيه،وهذا فيما يـرى"ميرلوبونتي"مشـروع تعمل الفلسفة على استعادته،وهذا أيضا ما يتطلب من الذات استخدام قدرات لا تعرف سرها،كما يحتاج ذاتا متكلمة،لأن الكوجيتو الضمني لا يتحول إلى كوجيتو إلا عندما يعبر عن ذاته[1]وهنا فقط تظهر علاقة الصمت بالكلام،وكيف يجتاح أو يتجاوز أحدهما الآخر،من الصمت إلى الكلام و من الكلام إلى الصمت،وليس الكوجيتو غير الكوجيتو المعبر عن الوجود بواسطة المعنى.

إن العالم هو مجال خبرتنا و ما نحن إلا شكل من أشكاله،لذا لا ينفصل الداخل عن الخارج،ولا الـذاتي عن
الموضوعي،والعالم بأكمله موجود بداخلي،وأنا بأكملي موجود خارج ذاتي،والمهم أن الذات لا تتحقق إلا باعتبارها جسما،لترتبط في الأخير ماهية الذات بماهية الجسم و ماهية العالم،فوجودي كذات يتوحد مع وجود العالم[2].

ولا نقول أن هذه نتيجة يكون"ميرلوبونتي"قد توصل إليها،لأنه يرفض النتائج،وإنما هي حقيقة يقوم عليها الكوجيتو في التصور الـجديد،وما الـذات التي يرتكـز عليـها هذا الكـوجيتو إلا ذاتا متكـلمة و واعـية و متجسدة في
العالـم،ليرتبط الفكـر بالـوجود،ويكـون هذا الوجود أساس فعل التفكير،لذ لا يمكن التفكير بدون الوجود.وما سعى
إليه"ميرلوبونتي"منة خلال كل هذا هو تقويض مفاهيم الذات المفكرة و الذات المتعالية،ليرتبط الكوجيتو بجسم نعيه كوسيلة للإدراك و للمعرفة،وأداة للوجود في العالم.

ويشير "ميرلوبونتي" في "**المرئي و اللامرئي**" "**Le visible et L'invisible**" إلى أن الكلام ما يرتبط
وهو مايكون كلاما مفكرا،وأن الكوجيتو الضمني لا يرتبط بهذه المسائل إلا من ناحية محاولة فهم إمكانية اللغة وكذا
مسألة مرور المعنى الإدراكي إلى المعنى اللغوي،واللغة هنا تحقق ظهور الصمت،وأن الصمت يواصل تطوير اللغة

(1)- Ibid,p463.
(2)- Ibid,p467.

أي صمت اللغة المطلق أو اللغة المفكرة،فمثل أي ممارسة نجد أن اللغة تفترض تأسيسا يشير إلى تناول ذلك التعاقب
و التزامن بين الذوات بما هي تفكر و تتكلم[1] تهتم الفلسفة بهذا الصمت من خلال محاولة دحرجة هذا الصمت من منطقة السكوت و العتمة إلى مجال الكلام و النور،حيث تتحقق هكذا وحدة المرئي واللامرئي،المعنى و اللامعنى في العالم.

فلا قيمة لما هو مرئي دون اللامرئي،ولا قيمة للمعنى دون اللامعنى،فكما أن هناك معني لغوية فان هناك معاني للصمت.كما نرى أن الكوجيتو الضمني و الكوجيتو المتكلم،يشبه في مضمونه إلى ما ذهب إليه "فرويد" (Freud)من تمييزه بين الشعور و اللاشعور،وعليه فحقيقة الذات لا ترتبط فقط بما تقوله من كلمات،و إنما هي أيضا ترتبط بعالم من الصمت هو جزء من وجودها،حامل لمعناه،ويستخدم أساليب خاصة به لإظهار هذا المعنى.

(1)- Merleau-ponty,**Le Visible et L'invisible**,Op.Cit,p.p 229.230.

3- الكـــلام و الصمت

إذا كان يجب على الفلسفة أن تعمل على تغيير العالم كما يرى "ماركس"(Marx) ،وإذا هذه الفلسفة كما رأت قبل ذلك المثالية الهيغلية أنها وصف العالم،فان المهمة التي تصبح الفلسفة مكلفة بها في فينومنولوجيا "ميرلوبونتي" هي الحديث عن العالم،ليظهر التواصل

بـيـن الـمرئي و اللامرئي و الـوحدة بين المعنى و اللامعنى،وتصبح الفلسفة هكذا في فلسفة"ميرلوبونتي"المتأخرة لا تعبر فقط عن الأشياء و إنما تترك موجودات العالم و أشيائه تعبر عن ذاتها.

ومثلما أن اللامرئي ليس عدما،فان الصمت ليس فراغا،ويمكننا التأكد من أنه مليء بمعنى لا يزال مسجونا

يفترض علينا أن،نعمل على إطلاق صراحه،وتخليصه من القيـود، ومن ثـم يتعين أن نبحث عن فـرص ممكنة لإدمــاج

العمـق داخل الإدراك و تقريب اللـغة من الصمت[1]وحـالة الصمت تشبه الحـالة أو الموقف الذي تكون عليه الذات في حالة الإحالة بالمعنى الفينومنولوجي،ليبقى عالم الصمت ليس الذي يقابـل عالم الكـلام بالمعنى المبـاشر و إنما عـالم يخلو من المعاني و الدلالات.

تظهر الخبرة المعاشة في ميدان الكلمات،في عملية ترجمة لمعاني مكتسبة في كلمات تكون قد اكتملت لتقدم

إمكـانيـات الذات.لكن كيف نسمع الصمت الذي ينطـوي خلف هذه الكلمـات؟لا يمكننا أبدا إلغـاء هذا الصمت

فهو يجري في كل لحظة،كما لا يمكننا أن نضع حدودا لمعطيـاته إذ أن هنـاك خطـابا مستمرا للصمت،لا يتـوقف عند

حدود ما قيل،وهذا ما يؤكد أنه لا توجد حدود بين اللغة و العالم[2].

وعلى ذلك فإلى جانب المعاني اللغوية ،هناك معاني غير لغوية ترجع إلى الصمت و العالم المعيش كذلك وهو

نظام حيث توجد فيه المعاني غير اللغـوية[3]فمقـابل الأنا المتعـالي L'ego transcendantal الـهوسرلي يكـون

الأنا الميرلوبونتي يعيش حـالـة الصمت الـواعية بالجسم،يرتبـط فيه المعنى بالكـلام و الصمت معـا،لتتحقق وحـدة الأنا الممكنة بالعالم.

(1)- مجموعة من المؤلفين،مرجع سابق،ص54.

(2)- Merleau-ponty,**Le visible et L'invisible** ,Op.Cit,p357.

(3)- Ibid,p225.

وهكذا تكون اللغة بصفتها وسيلة اتصال و ميدان ظهور المعاني،تأكيدا للوجود الصامت الذي يربط الذات

بالعالم و الآخرين،وهذا ما يذكرنا بموقف "هيدغر" من أن اللغة هي مسكننا،وقد أكد "نيتشة"(Neisctzche)

قبل ذلك أننا نحيا داخل الاستعـارات،لأننا نتكلم ونحيـا في اللـغة و بها،فالمعنى الكـلي للـوجـود لا يكتمل إلا بمعـاني

الكلمات و معاني الصمت معا.

لقـد رأينا كيف ازداد اهتمـام"ميرلوبونتي"فـي فلسفته المتأخرة باللغة،لذا فإننا نجده يؤكد"أن الفلسفة ليست

معجما لأنها تهتم بمعاني الكلمات،كما لا تبحث عن بديل شفهي للعالم الذي نراه،ولا تحوله إلى أشياء مقولة،ولا تبرمجه

فـي نظـام القـول و الكتـابة مثلمـا يفعـل المنطـقي بالنسبة إلـى الألفـاظ...بل إنهـا الأشياء ذاتها التي تؤسس صمتها

و تأخذا إلى التعبير"[1]فالذات ليست ذلك الموجود الواعي الذي يقوم بحركات و يتلفظ بكلمات ،بل إن التشابك
بين الكلمة و الصمت،بين المرئي واللامرئي،هو ما يجسد الذات،انه العودة إلى اللوغوس،لوغوس الصمت.

وقد اهتم"ميرلوبونتي"كثيرا بمسألة الصمت في مواضع كثيرة و متنوعة من مؤلفاته،فنجده مثلا في **"نثر العالم"**
يرى أن اللغة تعبر سواء كان ذلك بواسطة الكلمات أو بما بين الكلمات،بما نقوله و بما لا نقوله،مثل الرسام يرسم ما
يشاء على اللوحة و يعبر بالريشة كما يريد[2]لأن ما يميز الصمت هو تنوع أساليبه التعبيرية و تنوع الموضوعات
وهو ما يسميه"ميرلوبونتي"بأصوات الصمت.

وتمثل لنا"غيسلين"(Ghyslain) العلاقة بين الكلام و الصمت،بعلاقة الدال و المدلول،إذ ترى أن العلاقة
بين الدالX و المدلولY تفترض علاقات متعددة بين الدوال: $X_1,X_2,X_3.....X_n$ وهذا نفسه بالنسبة
للمدلولات و علاقاتها فهي ليست متكلمة بل إنها تعمل في صمت داخل الكلام ذاته،وبالتأكيد يمكننا القول أن هذا
العمل صامت،وهذا ما يتعلق بالجدل الأولي و المتعذر تجاوزه بين الصمت و الكلام[3].

ويتضح لنا مما سبق قوله،أن فكرة الصمت عند"ميرلوبونتي"تقترب في مفهومها كثيرا من أنطولوجيا "هيدغر"
من خلال العودة إلى الوجود الذاتي أو الدازين (Dasein) لأن العودة إلى الذات و محاولة البحث عن الوجود

---

(1)- Ibid,p18.
(2)- Merleau-ponty,**La Prose du Monde** ,Op.Cit,p.p 61.62.
(3)- Ghyslain Charron,Op.Cit,p123.

الأصيل تمثل لحظة الصمت رغم أن الأهداف الفلسفية لفينومنولوجيا"ميرلوبونتي"،لا تتوقف عند الوجود الفردي لتسعى إلى معرفة و إثبات الوجود مع الذوات الأخرى،فذلك هو وجود الذات الأصيل و الواقعي.ويظهر لنا كذلك أن الصمت هو بنفس معنى الكوجيتو الضمني و أن الكلام هو الكوجيتو المتكلم،وعلى ما ذكرناه لحد الآن يظهر أن الصمت يمتاز بالشمول و الاتساع.

لا يمكن أن تقتصر الذات على الكلمات في فهم معنى العالم و التعبير عنه،ذلك أن العالم المرئي يفترض عالما
آخر هو العالم اللامرئي،يعمل الكائن الصامت هنا على إظهار معناه[1]وهذا ما تؤكده لنا مختلف الأعمال الفنية الإبداعية كأعمال الرسامين أو أعمال الأدباء فهي في أصلها معاني و ترسبات كانت موجودة في عالم الصمت،وهي
تمثل جوانب أساسية من حقيقة العالم و أكثر من ذلك تجسد بالفعل علاقة الذات بالعالم.

لنصل إلى أنه إذا كانت اللغة مشروطة بالوعي أو هي تفترض الوعي ،فان هذا الوعي مرتبط بالصمت

فيغلف العالم المتكلم حيث تكون هذه الكلمات ظواهر و معاني،وهذا ما كان"ميرلوبونتي"يقصده من دعوته بإرجاع اللغة إلى اللغة،وترك العالم و الأشياء تتحدث عن ذاتها بذاتها.

(1)- Merleau-ponty,**L'oeil et L'esprit**,Op.Cit ,p87.

II-العلاقة بين اللغة المباشرة و أصوات الصمت

1- اللغة و الفن

إن ما يميز فينومنولوجيا"ميرلوبونتي"عن غيرها من الفينومنولوجيات،هو أن نظرية المعرفة تتأسس على فكرة
الجسم،فقصدية الوعي ترجع إلى قصدية هذا الجسم،كما أن الجسم بوجوده في العالم يسعى إلى فهمه و معرفته،ليصبح
وجودنا وجودا واعيا إلى جانب الخبرة المعاشة،وان أهم ما يتميز به هذا الجسم هو كونه أداة و وسيلة للتعبير
وأداء المعنى.

وقد تأسست النظرية الجمالية عند"ميرلوبونتي"،على أساس الخاصية التعبيرية للجسم من خلال الإيماءات
و الإشارات،فالعالم الذي تكشف عنه اللغة هو العالم المعيش،بما يمكن ذلك الذوات المتكلمة من التواصل،ولا تتوقف
فكرة التواصل هنا بالمفهوم الهيدغري ،عندما يكشف الإنسان وجوده من خلال اللغة،لتتخذ مع "ميرلوبونتي" طابعا
شموليا،وينكشف وجود الآخرين خصوصا في أفعال التعبير و ما الفن إلا أحد هذه الأساليب التعبيرية،فيف يكون
الفن لغة و تعبيرا؟.

من المعلوم أن المنظور الفينومنولوجي للغة يربط بين اللغة و الوعي و بالتحديد الوعي القصدي،فيكون الوعي وعيا بشيء ما،كما أن الكلمة ليست مجرد وسيلة بسيطة يستحوذ عليها الوعي في عملية الاتصال و خلق المعاني
فاللغة تتميز بخاصيتها الإبداعية وهذا ما نجده في اللغة المؤسسة أو الفكر المفكر،دون أن ننسى الميزة الأساسية للمعنى سواء بالنسبة إلى الإيماءة الجسدية أو اللغوية،إذ أن الإشارة هي في حد ذاتها معناها.

وهذه الفكرة بالذات انطلق منها"ميرلوبونتي"في دراسة طبيعة العمل الفني فهو في حد ذاته معناه أي أن معناه مباطن فيه،فطبيعة العلاقة بين الفن و اللغة ضمنية،فالرسامون و الكتاب فيما يؤكد"ميرلوبونتي"لم ينتبهوا إلى ما
بينهم من روابط و علاقات،فاللغة و الرسم مثلا يعيشان في وسط واحد،وعملية التعبير يمكن أن تأسس فن الرسم
على أساس اللغة و اللغة على أساس فن الرسم ،لذا فالمقارنة بينهما لا تكون إلا انطلاقا من فكرة التعبير.

لذا يتصل الفن بالأدب،واللغة و الرسم يعيشان في وسط واحد،والأساس التي يتم من خلاله الربط أو الجمع
ما بين اللغة و الفن هو فكرة التعبير الإبداعي،وما تظهره من جوانب اتصالية[1]و إذا كانت اللغة تقوم على الخبرة فان الفن بدوره يقوم على هذه الخبرة،كما يرتبط كل منهما بفكرة الجسم،ويحققان وحدة الذات و موضوعها،ومما
سبق ذكره إلى حد الآن يمكن أن نقول إن الفن لغة و اللغة فن.

إن الفن عملية تعبيرية،لأن الفنان في عمله يتجه نحو العالم الذي يريد التعبير عنه،لكي يخلق صوتا خاصا
و ينطق به،وهذا الصوت هو تلك اللغة التعبيرية الإرادية التي لا يصل إليها الفنان إلا في مرحلة نضجه،وهذا ما نجده في الفرق بين الفنان المبتدئ و الفنان المتمرس فقدرة كل واحد منهما على أداء العمل الفني،تختلف حسب خبرة كل واحد منهما،والمهم هنا هو أن العمل الفني يوقظ فينا القدرة على التعبير.

فلغة الفن توصلنا إلى ما وراء الأشياء المرئية،لكن مشكلة الفن كما يرى"ميرلوبونتي"تكمن في القدرة على
تحقيق التواصل بين الفنان و الجمهور[2]فعلى الرغم من إعجاب"ميرلوبونتي"بفلسفة الفن عند"مالرو" (Malraux)
إلا أنه يرفض طابعها الذاتي المطلق،وتفتقد إلى تحقيق العلاقة بين الفنان و الآخرين و العالم،فعمل الفنان لغة صامتة
تدعو الجمهور إلى عالم أراد الفنان أن يعبر عنه،ويخاطبهم بلغة الصمت هذه.

إن الكلمات و الرسومات كلها من أفعال و عمليات الجسم،وهو ما يشكل نقطة الارتباط بين اللغة و الفن
كأساليب تعبير،فقد سعى"ميرلوبونتي"من خلال هذا إلى إبعاد الفينومنولوجيا عن مثاليتها و تحويلها إلى الواقع،وكذا
إعادة ربط الصلة بين الذات و موضوعات العالم،فبالنسبة إلى الألوان مثلا فهي صادرة عن ذاتي مثل حركاتي

كما تمتاز العملية التعبيرية في الفن بالعفوية،وتنقل الكلمات في فن النثر مثلا ،الذي يتكلم و الذين يستمعون إلى
دلالات جديدة[3].

لقد تأثر"ميرلوبونتي كثيرا "بسيزان"(Cézanne)،كرسام لأنه يعطي أهمية كبيرة للموضوع،فالعمل ليس شيئا
يوجد في الذات و إنما هو موضوع خارجي،إضافة إلى أن سيزان ينطلق من إدراكنا المباشر للأشياء المعاشة،ومع
أن ميرلوبونتي لم يخصص كتابا معينا للفن،إلا أنه ترك العديد من المقالات حول هذا الميدان في مختلف مؤلفاته.

---

(1)-Merleau-Ponty,**la Prose du Monde**,Op.Cit,p.p 67.68.
(2)- ———— ,**Signes**,Op.Cit,p65.
(3)- Ibid,p94.

وتتميز مسألة الفن عند"ميرلوبونتي"عن غيرها من المسائل،إذ نجده ينظر إليها نظرة خاصة،لم تكن موجودة
عند بعض الوجوديين و الفينومنولوجيين،فتحليلات"ميرلوبونتي"تمتاز بالجدة و الجدية في الطرح،محاولا تقديم حلول لبعض الإشكاليات الفلسفية العالقة،خصوصا ابتعاد الفينومنولوجيا عن الواقع،ليحاول الربط بين ما هو فينومنولوجي
وما هو وجودي ،وبين ما هو مثالي و ما هو واقعي.

لقد أكد"ميرلوبونتي"بصورة مباشرة في"**المعنى و اللامعنى**"بأن"الفن هو عملية تعبيرية"[1]لأن الإبداع يكون
من خلال الانفتاح على الوجود و على العالم،بالعودة إلى ينابيع الخبرة المعاشة،فقد سعى"ميرلوبونتي"دائما إلى ضبط المفاهيم و التصورات،ووضعها في قالب فلسفي سمته الرؤية الواسعة للأشياء والعالم،لأن العمل الفني بالتحديد لا يرتبط بالذات فقط و إنما يرتبط بكل ما هو حسي،وما الهدف هنا إلا تجاوز الثنائية التقليدية بين الاتجاهين التجريبي و العقلاني.

لتسعى الفلسفة هكذا إلى كشف اللغة الصامتة التي يلجأ إليها الفنان في أعماله من أجل معرفة أسرارها
و خفاياها،لأن الفنون كفن النثر أو الفن التشكيلي لها قدرة كبيرة على اختراق عالم الصمت و دخوله،وجعله مسموعا
وتحويل ما هو لامرئي إلى المرئي،كما أن الخبرة الجسدية بالمرئي تأخذ أبعادا مختلفة و أهمها أن الفنان بجسده يكون في معية- بالمعنى الفينومنولوجي- مع الموضوع،إلى درجة أن الأشياء كما يقول"ميرلوبونتي"،تنظر إلى الفنان[2] فلا
يرتد الفنان إلى ذاته تاركا معطيات العالم الخارجي المرئي،ولا يذوب مقابل ذلك في الطبيعة جاعلا عمله الفني انعكاسا،وإنما تكون لغة العمل الفني اتحاد بين الصمت الداخلي اللامرئي و المعطى الخارجي المرئي.

والى هنا يظهر لنا أن موقف"ميرلوببونتي"لا ينفصل عن اتجاهه الفينومنولوجي العام،خصوصا انطلاقه من فكرة

الجسم،ويزداد الارتباط بين اللغة و الفن إلى درجة أن الكلام يتداخل مع الموسيقى و الرسم أو التصوير فالفكر يكون
مستقلا عن النواحي المادية،ويكون الكلام صامتا مثل الموسيقى كما تكون الموسيقى متكلمة مثل الكلام[3]فتتداخل
أساليب و ضروب التعبير المختلفة من الصمت إلى الكلام ومن اللامعنى إلى المعنى و من اللامرئي إلى ما هو مرئي.

(1)- Merleau-ponty,**Sens et Non sens**,Op.Cit.p30.
(2)- _____ ,**L'œil et L'esprit**,Op.Cit,p31.
(3)- _____ ,**La phénoménologie de la perception**,Op.Cit,p448.

إن الموسيقى كفن من الفنون هي لغة،وذلك لأنها تحمل معاني تعبر عن لغة فعالة و مبدعة فتكون لغة كنظام
علاقات واضحة بين الدال و المدلول،أو الصوت و المعنى[1]وهذا ما نجده في كثير من الفنون،و الملاحظ أن "ميرلوبونتي"
سلك مخططا من الجسم و الإدراك و الصمت و اللغة و الفن،مؤسسا بذلك لجملة من المفاهيم و التصورات الجديدة
من خلال أفعال متنوعة كالرؤية و الإبداع و الاتصال.

وقد أكد"ميشال لوفيفر" أن الفن يرتبط بالجسم كارتباط المرئي باللامرئي و أن كل فنان يجسد بدوره هذا
التحول الكلي الشامل للمعيش في التعبير[2]لتبقى محاولة"ميرلوبونتي"الربط بين اللغة و الفن من المحاولات المميزة في الفلسفة المعاصرة،خصوصا من ناحية مستويات التحليل و العلاقات،وهذا راجع للتنوع المعرفي و الاصطلاحي
وبعد أن رأينا كيف يكون الفن عموما لغة و أسلوبا تعبيريا إبداعيا،نحاول أن معرفة كيف تكون فنون التصوير و الرواية
و الفيلم السينمائي أشكالا لغوية؟و تكون بذلك أساليبا تعبيرية حاملة للمعنى؟.

(1)- Merleau-ponty,**Le Visible et L'invisible**,Op.Cit,p201.
(2)- Michael Lefeuvre,Op.Cit,p363.

2- التصـوير أو الـرسـم

تمثل عملية التـعبير في فن التصوير،من أهم أوجه ارتباط الفـن باللغة،لأن التصوير بما هو فعل إدراكي أو فعل للجسم،هو تعبـير أولي وهو تعبير إبـداعي،وفي إطار مـوقفه من التصـوير سعى"ميرلوبونتي"إلى تجـاوز ثنـائية الاتجـاهين
التجـريبي و العقـلاني،فالتجريبيون في تفسيرهم للعمـل الفني في ميدان الرسم،يعطون الصدارة للمحسوس،في حين نجد
أن العقليين مقـابل ذلك يؤكـدون على أسبقية الـوعي،إذن فان الرســام إما حسي تسـود لوحـاته الألــوان و إما عقلي تغلب عليها الفكرة و التصميم.

وجد"ميرلوبونتي"فـي أعمـال"سيزان" الحـل المنـاسب لإشكاليات الجدل القائم،إلى درجة أن أساليب التعبير فـي لـوحات "سيـزان" كـانت تعبر أشد التعبير على
نظـرية"ميرلوبونتي"فـي الإدراك،ذلك أنه ينطـلق فـي عمـلية الرسم من الأشياء ذاتها،وكذا الخبرة المعيشة و أكثر من يمكننا القول إن أعمال "سيزان"قد عبرت عن علاقة فعلية مستمرة بين الذات و الموضوع،لذا يشير ميرلوبونتي إلى قـول "سيزان""إني أريد أن أوحـد بين الطـبيعة و الفـن"[1]لترتبط لحـظة التفكير بلحظة الإبداع،وينكشف عالم الصمت في مظاهر متنوعة.

وعلى هذا فلغة التصوير أو الرسم كما يرى"ميرلوبونتي"ليست تأسيسا للطبيعة،و إنما هي فعل و إعادة فعل
فالأشكـال الـرمزية فقي التصوير و انتاجاته تكـون من خلال وسـائل رسم للعين[2]لأن الجسم باعتبـاره رؤيـة و حركة
هو أساس عملية التعبير الإبداعي،كما أنه بفضل هذا الجسم يستطيع الفنان التعبير عن العالم في لوحات و صور معينة
إذ لا تكون العين مجرد آلة ناقلة لظواهر العالم،وإنما هي استكمال لمواطن النقص في هذا العالم مما يجعل من لوحة الفنان
صورة بالغة التعبير بلغة مكتملة المعنى.

هذه اللغة يكتسبها الفنان الرسام من خلال علاقة خاصة بالعالم،فإذا كان "مالرو" يرى أن الأديب يستغرق وقتا طويلا حتى يتمكن من النطق بصوت خاص،فان"ميرلوبونتي"يرى كذلك أن الرسام يحتاج لوقت طويل حتى يتعرف

(1)-Merleau-ponty, **Sens et Non sens**,Op.Cit,p22.
(2)- ———— , **L'œil et L'esprit**,Op.Cit,p51.

فـي لوحـاته الأولى على الـملامح التي ستكـون عليـها أعماله[1]فرؤية الفنـان هي أسلـوبه الخـاص في أنجاز العمل الفني
وتنكشف لنـا فـي عـلاقة الفنـان بطبيعة العمل الفني أو بالعـالم نـوع من الأنطـولـوجيا تجسد اكتمـال الموجـود بالوجـود
في الوقت نفسه لأن هناك اتصـالا دائما بينهما.

لقد وصل"ميرلوبونتي"من خلال دراسته لأعمل "سيزان" وموقف "مالرو" من الرسم إلى أن التصوير أو الرسم
هو تعبير عن العـالم،بما أن الفـن هو استحضـار الطبيـعة،كمـا يعمل الكـلام على البحث عن التعبير المناسب للموقف الذي تريده الذات،وهذا ما يمثل الارتبـاط بين الكـلمة و الصـورة من خـلال البحث عن الحقيقة و التعبير عن ظواهر العالم و أكثر من ذلك تأصيل وجود الذات و علاقاتها بموضوعات العالم.

إن الكلمات و الخطـوط و الألـوان،بما هي أدوات و وسائل تعبيرية تؤدي الوظيفة ذاتها التي تؤديها الحركات
و الإيـماءات،والتعبير فـي كـل هذه الحالات يتميز بما يتميز به في حالة اللغة المبـاشرة،أي بالعفـوية،ويحـاول"ميرلوبونتي" التـأكيد على مشـروعية دراسة فـن التصـوير باعتبـاره لغـة،وهذا ما يدخـل فـي إطار اللـغة الـمؤسسةLangage Constitué والقدرة التي تتميز بها هذه اللغة على خلق المعاني هي ذاتها القدرة التي توجد في أسلوب الرسم[2].

نستنتج مما سبق أن"ميرلوبونتي"يرجع في تفسيره العمل الفني في ميدان الرسم ،إلى المعنى و الدلالة،لأن المعنى
هو القـاسم المشترك بين اللـغة المبـاشرة و لغة الفـن أو ما يسميه بأصـوات الصمت،وكلـها أسـاليب تعبيرية.ليؤكد لنا
ميرلوبونتي أن"الفنان يحيا في الجسم و يتنفس هواء العالم،خصوصا إذا كـان يرى في العـالم شيئا جديرا بالتصـوير،وكـل
شخص يمكن أن يكون هذا الفنان"[3].

فإذا كانت مهمة الفلسفة هي ترك الأشياء تتكلم بذاتها عن ذاتها،فان التصوير بما هو فن و أسلوب تعبيري
إبداعي صـامت،يكشف لنا عـن طبيـعة العـالم و الأشياء،بل هو لـغة للعـالم فـي التعبير.حتى أن "فـرويد" كـان يرى
أن المصور يلعـب بالألـوان،ويحمـل فيـها مـا تكتنزه عـوالـم الصمت و اللاشعـور فيه،فالصـورة تـؤدي مـا تـؤديه الكـلمة
من وظيفة التعبير عن المعاني.

(1)-Merleau-ponty ,**Signes**,Op.Cit,p52.
(2)- ———— ,**La pros du Monde**,Op.Cit,p123.
(3)- _____ ,**Signes**,Op.Cit,p81.

إن الوجود الذات لا ينفصل عن وجود العـالم بل هو متمركز فيه،بحيث يتجه إلى الأشياء و موجـودات العالم

و الفنان بالذات هو الأكثر تجسيدا لجملة هذه العلاقات،لأن الفنان و خصوصا التصوير مرتبط بالعالم،ويمكن اعتبار
هذا الفنان المصور الرسام صورة من صور الوجود في العالم،لأنه يعبر عن الصلة و العلاقة المباشرة التي تربط الذات
بالعالم[1]ليبقي"ميرلوبونتي"من خلال هذه الفكرة وفياللفكرة الأساسية التي تنطلق منها فلسفته و هي إعادة تأسيس
العلاقة بين الذات و الموضوع.

(1)- A.de Walhens,Op.Cit,p372.

3- الـرواية

إذا كانت الصورة بالنسبة إلى الرسام تعبر عن رؤيته و أسلوبه،فانه في الأدب عموما و في الرواية خصوصا
تتحقق وحدة بين المضمون الفكري للكاتب و الصورة اللغوي التي يظهر عليها عمله الأدبي الفني،وهناك اختلاف
حول تفسير هذا العمل فهناك من الاتجاهات من يرجعه إلى الفكرة،وهناك من يرى أن الرواية لا يمكن إرجاعها إلا
إلى جوانب الشكلية و أساليبها الفنية.

لقد حاول" ميرلوبونتي"تجاوز هذين الاتجاهين من خلال فكرة القصدية و التعبير الإبداعي،فكيف سيزول
ذلك التمييز الموجود بين الشكل و المضمون،أو بين الأسلوب التعبيري للرواية و المحتوى الفكري الذي تحمله،"فميرلوبونتي"
ينطلق في دراسته للرواية من تلك النظرة الكلية،حيث يرتبط المعنى بهذا الكل.وعلى هذا فان"ميرلوبونتي"يرى أن التعبير الإبداعي في الأدب و الرواية يكون مماثلا لأسلوب التعبير عن الرؤية بالنسبة إلى الفنان الرسام،لذا فان الروائي و المصور يمران بالخطوات و المراحل نفسها[1].

وتحقق لنا هذه العلاقة الطابع العفوي للمعنى،كما أنه في حالة تأجيل سواء بالنسبة إلى اللغة المباشرة
من كلمات و أصوات،أو بالنسبة إلى اللغة غير المباشرة الصامتة،كالصورة و الخطوط و الألوان،فالمعنى هو الكلمة وهو اللون وهو الشكل،ومثلما أن المعنى ليس هو مجموع كلمات الجملة فهو كذلك ليس مجموع خطوط و ألوان الصورة
وهذا ما جعل"ميرلوبونتي"يؤكد أن"ستاندال" (Stendal)" يستخدم الكلمات في سياق يكشف لنا عن معاني
جديدة،لأني في هذه الحالة أفهم الكلمات...أو إني اخلق "ستاندال"،فأنا أصبح هو خلال قراءتي له"[2].

ويتضح لنا من هذا العرض أن الاتصال الذي تحققه الذوات المتكلمة من خلال اللغة هو ذاته الذي يتحقق
بالإشارة الصامتة،بحيث أن قصدياتى إليها هي التي تحرك معانيها،وتجعلني أدخل في تواصل مع الآخر،سواء كان
مصورا أو روائيا،فالقصدية ترتبط بالصمت و الكلام معا.

(1)-Merleau-Ponty,**Signes**,Op.Cit ,p95.
(2)-_____,**La Prose du Monde** ,Op.Cit ,p19.

وهذا ما يحقق طبيعة الرواية كعمل فني أدبي،لأن للروائي أسلوبه الخاص في نسج خيوط الرواية و أحداثها
و طرق و أساليب أخرى في وضع شخصياتها،وعمل الروائيين الكبار يحتوي على أفكار فلسفية،فمثلا هذه الأفكار
بالنسبة إلى روائي مثل "ستاندال" هي الذات و الحرية،كما أنها بالنسبة إلى "بالزاك" (Balzac) لغز التاريخ
و بالنسبة إلى آخر هي الأسلوب الذي يكون فيه الماضي متضمنا في الحاضر...الخ.

ولا تكون وظيفة الروائي هي تنظير هذه الأفكار،وإنما يعمل على أن يجعلها توجد بالنسبة إلينا على الطريقة نفسها التي توجد بها الأشياء،فليست وظيفة"ستاندال" كما يرى"ميرلوبونتي"هي أن يكتب حول قضية الذاتية
وإنما يكفي إن يجعلها حاضرة[1]فمهمة الروائي ليست الحديث عن الأفكار وإنما استحضار هذه الأفكار و الأشياء
في أسلوب أدبي فني ،يحمل جوانب تعبيرية إبداعية.
وهكذا ترتبط الرواية بالتعبير،لأن ما تحمله الرواية من أفكار و عواطف و تصورات وجملة المعاني
هو تعبير،وهذا ما يمثل أيضا نقطة الالتقاء بين الرسم و الرواية،وكلها أساليب تعبيرية إبداعية تحقق وحدة الأفكار
و الأحداث و الألوان في قالب كلي.لنحاول معرفة الجوانب التعبيرية الإبداعية التي يمكن أن توجد في الفيلم
السينمائي في إطار علاقة اللغة المباشرة بأصوات الصمت.

(1)- Merleau-ponty ,**Sens et Non sens**,Op.Cit ,p45.

4- الفيلم السينمائي

أخذت فكرة الخبرة و الواقع المعيش،مكانة أساسية في مختلف التحليلات التي قدمها"ميرلوبونتي"،إلى جانب
الإدراك الحسي،وذلك لارتباط المفهومين و تداخلهما،فالخبرة تظهر في ميدان الإدراك و الإدراك يرتبط بالبعد الكلي
وكما نعرف فان المعنى في فينومنولوجيا"ميرلوبونتي"يظهر في المجموع الكلي،فإذا كانت الرواية ليست مجموع كلماتها
فان الفيلم السينمائي كذلك ليس مجموع صوره،لكن كيف يكون الفيلم أسلوبا تعبيريا حاملا للمعنى؟.

لا يتحقق المعنى الكلي للفيلم إلا بانتهائه وقد درس"ميرلوبونتي"الفيلم السينمائي من جانبين،أولهما باعتبار
أن الفيلم هو صورة بصرية Vusielو ثانيهما سمعية Auditive لأنه يحتوي على مراحل زمني متنوعة حسب
ما يحمله من أحداث،فمنها القصيرة و منها الطويلة.ويميز"ميرلوبونتي"بين الفيلم الناطق و الفيلم الصامت،ويرى
أن الأحداث و الحركات هي بمثابة لغة،وما نقوله عن الفيلم المرئي يمكن قوله عن الفيلم الصوتي و هو أن للفيلم
في الحالتين له قدرة تعبيرية[1].

ويظهر لنا الفيلم في الخبرة الإدراكية على أنه صورة و صوت معا،أي اتصال المجالين السمعي و البصري
فهناك ضرورة في التلازم بين الصوت و الصورة وكأن حوارا بينهما،وتكمن قيمة هذا الحوار في تحقيق الطابع الخاص للفيلم،ومثال ذلك الفيلم"المدبلج"إذ يجب أن لا يكون هناك اختلاف بين الأشخاص و الأصوات،كأن نجد مثلا
شخصا نحيلا يتكلم بصوت غليظ،أو شابا يتكلم بصوت شيخ...[2]وهذا ما نجده فعلا في الأفلام المترجمة إلى العربية لأن عدم التلازم و التناسب بين الصوت و الصورة لا يسمح بتحقيق الوحدة الكلية للفيلم.

وللوهلة الأولى يبدو موقف"ميرلوبونتي"بسيطا،إلا أنه يأخذ من الأهمية ما يجعله بالفعل جديرا بالاهتمام
لأنه كلما ارتبطت الصورة بالصوت،كان التعبير أكثر وضوحا و أداء للمعنى،فلحظة ارتباط الصورة بالصوت هي المعنى ذاته وقيمة الحدث لا تظهر إلا في إطار هذا الارتباط.

وتأخذ لحظة الصمت في الفيلم السينمائي أهمية كبيرة،فهناك شبه تناوب مابين الصوت و الصمت

---

(1)- Ibid,p98.
(2)- Ibid,p99.

فشخصيات الفيلم السينمائي ناطقة أحيانا و صامتة أحيانا أخرى،فإذا كانت الكلمة و صوتها تؤدي معنى في الفيلم
فان معنى الصمت يكون أكثر تأثيرا في الفيلم[1]لأن الصمت يشد انتباه المشاهد المستمع،و التجربة الواقعية تؤكد
ذلك،وكثير من الأفلام الصامتة نالت شهرة كبيرة،ليبقى المعنى الكلي للفيلم منتشرا بين مناطق الصوت و الصمت.

وهكذا يصبح لفيلم كأسلوب تعبيري إبداعي أهمية كبيرة كأسلوب تعبيري،فالفيلم يحمل معناه كما تحمل
الإيماءة معناها،فحتى لغة السينما ليست هي فقط لغة الموسيقى و الكلمات و الأصوات،و إنما كذلك الحركات
الصامتة،فتتوقف القيمة التعبيرية للأحداث في الفيلم السينمائي على طريقة ظهور الصوت و اختفاءه ليحل مكانه الصمت،ويؤخذ المعنى مكانه ضمن هذا التنوع،ويظهر الفيلم كأسلوب تعبيري إبداعي يعقق علاقة الفن باللغة.

(1)-Ibid,p100.

خـاتـمة

يـمكننا أن ننتهي من خلال ما سبق إلى أن الـحديث عن فينومنولوجيا اللغة عند "ميرلوبونتي" رغم صعوبته و غموضه فهو مثير و شيق،و فيه الكثير من متعة البحث،لذا نـحاول أن نقدم تقييما عاما لـما جاء في بـحثنا هذا

و نـحن لا نـهدف إلـى الـوصول لنتـائـج نـهـائية مطـلـقة،فحتى "ميرلـوبـونتي"ذاته رفـض وضـع الـنتـائـج – ولا يعني هذا

أننا ميرلوبونتيون – فالأسئلة فعلا في الفلسفة أهم من الأجـوبة،لذا نفضل أن تبقى الإشكـاليات مفتوحة أمام البحث و التقصي و النقاش،لذا يمكننا القول أن :

- أولا: فينومنـولـوجيا اللـغة عند"ميرلـوبـونتي"هي امتداد للاتـجاه الفينومنولوجي الذي عـرف بدايـاته الأولى على يد "هوسرل"وهي تقريبا من ناحية الإطار المعرفي و المنهجي مقابلة للموقف اللساني العلمي خصوصا عند"دي سوسير"

- ثانيا: تمكن ميرلوبونتي من تغطية النقص الموجود فـي فينومنولوجيا "هوسرل" حيث أبعدها عن مثـاليتها و ربطـها بالواقع،ولا نقول أن "ميرلوبونتي" فكر مثل "هوسرل" و إنما فكر مع "هوسرل".

- ثالثا: تحتل فكـرة الـجسم مكـانة أساسية فـي فينومنولوجيا "ميرلوبونتي"،بل إن كـل فلسفته تقوم على هذه الفكرة

فالـجسم جهاز معرفي،و هو الـمنطلق فـي تـحديد الأبعاد الـمكانية،يمثل الـجوانب الجنية و يحول الأفكار إلى إيماءات

و كلمات من خلالها نتواصل،فهو كوجيتو متجسد.فقد اهتم "ميرلوبونتي" بالـجسم و نظر إليه نظـرة لـم تكـن تـوجد

لدى غيره من الفلاسفة من قبل.

- رابعا: إن فكرة الجسم الواعي أو الوعي بالجسم الخاص،أخرجت الفينومنولوجيا من دائرة الأنا أو الذات المتعالية عند "هوسرل" و "الوجود لذاته" و "الوجود في ذاته" عند "سارتر" الى الوجود في العالم مع الآخرين.
استطاع "ميرلوبونتي" من خلال موقفه الايجابي من "الآخر" أن يؤسس طابعا اتصاليا فعالا في العلاقات الإنسانية
حيث ابتعد عن لغة التشاؤم و القلق و كذلك الخوف الدائم من الآخر و النظرة السلبية إليه التي كرستها فلسفة "سارتر".
- خامسا: إن ما يحسب لفينومنولوجيا "ميرلوبونتي" هو قدرتها على تجاوز ثنائية الاتجاهين التجريبي و العقلاني
وتمكنت بذلك من حل الكثير من الإشكاليات التي بقيت عالقة في الفكر الفلسفي لمدة طويلة خصوصا ما يتعلق
بمسألة الإدراك و الجسم و علاقة الذات بالعالم،لتصبح هذه الذات في علاقة مباشرة بالعالم و تتأسس وحدة
الذات بالموضوع،ويتمكن "ميرلوبونتي" من وضع اتجاه ثالث في الفلسفة بين الذات و العالم الموضوعي الواقعي.
- سادسا: و تصبح اللغة بما هي وسيلة للتواصل انفتاحا على العالم،من خلال قصدية الفعل التعبيري الواعي
و من خلال عفوية اللغة،أداة للتفلسف بل إن الفلسفة لغة،فيتميز المعنى في فينومنولوجيا اللغة بأنه مؤجل اذ لا تحمل
العلامة معناها كما أكدت لسانيات "دي سوسير" و إنما يرتبط هذا المعني بالطابع الكلي للكلام كما يتميز بأنه
مباطن للإيماءة أو الإشارة ،وهذا التصور الجديد الذي قدمه "ميرلوبونتي" للمعنى و أساليب تجليه يحمل قيمة
و أهمية كبيرة في ميدان البحث اللغوي.
- سابعا: إن ما يميز فينومنولوجيا اللغة عند "ميرلوبونتي" قبل ذلك هو تأكيدها أو انطلاقها من الذات في دراسة
اللغة و الفعل التعبيري،لأن هذه الذات من خلال ما هي معيش نفسي و جملة من الأحوال الشعورية هي التي تحدد
الطابع و الأسلوب الذي تظهر عليه الكلمات،ليتسع ميدان الدراسة عندما تظهر المعاني في الأساليب التعبيرية التي
تربط الذات بالآخرين.
- ثامنا: يحتل الصمت مكانة مهمة جدا في فينومنولوجيا اللغة عند "ميرلوبونتي" فالى جانب معاني اللغة المباشرة
هناك المعاني الغير اللغوية ة التي تظهر في الأساليب التعبيرية الصامتة خصوصا ما يتجسد منها في عالم الفن لذا نجد
"ميرلوبونتي" يميز بين العالم المرئي و العالم اللامرئي و أن مهمة الفلسفة هي تقريب اللغة من عالم الصمت.

- تاسعا: تعتبر محاولة "ميرلوبونتي" التقريب ما بين اللغة و الفن ،أو اعتبار الفن لغة و أسلوبا تعبيريا ابداعيا
اسهاما كبيرا في ميدان الدراسة اللغوية في الفلسفة المعاصرة عموما،وهذا ما يدل على شمولية فلسفة "ميرلوبونتي"
وكذا ارتباطها بشتى أنواع المعارف و العلوم المعاصرة.

- عاشرا: إن من شأن كل البحوث التي قدمتها فينومنولوجيا اللغة عند "ميرلوبونتي" أن تساهم في ميدان البحث
و الدراسات اللغوية المعاصرة بفروعها المختلفة في السيميولوجيا و السيميوطيقا و حتى الفونولوجيا.
و مهما يكن من أمر فان فلسفة "ميرلوبونتي" الفينومنولوجية الوجودية،استطاعت أن تجمع بين اللغة العلمية
و الفلسفية، وأن تتماشى مع متطلبات التساؤل الفلسفي،ليجمع فيلسوفنا بين التأكيد على المعنى و على الغموض
بين الماهية و الواقع.

Inter subjectivité.	18- الذاتية المتبادلة
Sujet parler.	19- الذات المتكلمة
Silence.	20- الصمت
Le langage .	21- اللغة
L' invisible.	22- اللامرئي
logos.	23- اللوغوس
Le visible.	24- المرئي
Parole Parler.	25- الكلام المتكلم
Parole Parlant.	26- الكلام المتكلم
Cogito.	27- الكوجيتو
Cogito tacite	28- الكوجيتو الضمني
Cogito Parlant	29- الكوجيتو المتكلم

4.55.56.57.58.59.60.61.62.6364.65.66.67.4.5.6.7.9.10.11.12.14.15.27.
40.44.45.46

47- ويلنس 60

48- نيتشه 127.53

49- نوام تشومسكي 110.98

50- هابرماس 110.98

51- هامبولدت 78

52- هيدغر 127.116.113.107.89.14

53- هيغل 126.100.63.53.110

54- هردر 100

55- هوسرل

19.18.17.16.14.12.11.06.04.20.21.22.23.24.25.26.27.2830.40.41.43.44
.45.53.56.63.68.85.87.88.91.93.105.109.117.118.119.120.121.122.126
.141.

56- غادمير 107.103.86.28

57- غبريال مرسيل 50.11

58- غزافيه تيلييه 64.48

59- غيسلين شارون 127.123.107.95.73.66

ثبت بالمصادر و المراجع

I- باللغة العربية

أ- الكتب:

1- الشاروني حبيب. **فكرة الجسم في الفلسفة الوجودية**. مصر:المكتبة الأنجلو مصرية،1974.

2- جاكوبسون رومان. **الاتجاهات الأساسية في علم اللغة**. ت،صالح حاكم،ط1،المغرب:المركز الثقافي العربي،2000

3- ريكور بول. **من النص إلى الفعل**. ت، حسن برادة. ط1، القاهرة، 2001.

4- سارتر جان بول. **ما الأدب؟**. ت، محمد غنيمي هلال. بيروت: دار العودة،1984.

5- ـــــــــــ **ماهو الأدب؟**. ت، جورج طرابيشي. لبنان: المكتب التجاري للطباعة والنشر،1961.

6- سيجموند فرويد. **ما فوق مبدأ اللذة**. ت، إسحاق رمزي. مصر: دار المعارف،1980.

7- غارودي روجيه. **الوجودية فلسفة الاستعمار**. ت، محمد عيناني. بيروت: منشورات حمد، دت.

8- علا مصطفى أنور. **علاقة الفلسفة بالعلوم الإنسانية**. دراسة في فلسفة ميرلوبونتي. مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع،1994.

9- مارتن هيدغر. **هيلدرلين وماهية الشعر**. ت، فؤاد كامل،ط02 القاهرة: دار الثقافة للطباعة والنشر، 1974

10- مجموعة من المؤلفين. **كوجيتو الجسد (دراسات في فلسفة ميرلوبونتي)** الجزائر: منشورات الاختلاف، 2000

II- باللغة الأجنبية

أ- المصادر

1- Merleau-Ponty . **Eloge de la philosophie**. Paris :Gallimard,Folio Essais 1953.

2- ——————— . **Existence et Dialectique**,1ere éd . Paris:Caint Germain 1971.

3- ——————— . **La phénoménologie de la perception**. Paris:Gallimard 1945.

4- ——————— . **La prose du Monde** Paris :Gallimard,1969.

——————— . **La Structure du Comportement**,4eme éd.Paris :1960.

6- ——————— . **Les sciences de l'homme et la phénoménologie**. Paris: Caint Germain .Centre de documentations universitaires,1975.

7- ——————— . **Le Visible et L'invisible**. Paris :Gallimard,1964.

8- ——————— . **L'œil et L'esprit**. Paris :Gallimard,1964..

9- ——————— . **Résumes de Cours , Collège de France 1952 - 1960** Paris :Gallimard,1968.

10- ——————— . **Sens et Non sens** .Suisse :édition Naget,1963.

ب- الكتب

1- A. de Wehlens, **Une philosophie de L'ambiguïté,L'existentialisme de Merleau-Ponty**.3emeéd. Paris :1978.

2- Baylon Ghristian. **Introduction a la linguistique.** Paris: Nathan. édition Ferman, 1975.

3- Bernard Sicher, **Merleau- Ponty ou le corps de la philosophie.** Paris : Grasset, 1982.

4- Bruno Huisman, **Les philosophes et le langage.** Paris : Caint Germain, 1986.

5- Charcosset Jean Pierre. **Approches phénoménologique.** 1ere éd. Paris : Hachette, 1981

6- Claude Lévi- Strauss.**Les Structures élémentaires de la parentés.** Paris :1967.

7- Descartes. **Les principes de la philosophie.** Livre première. Paris : librairie A. hatier, 1948.

8- Duchet Jean louis. **La Phonologie.** 4eme éd. Paris, Caint Germain, 1955.

9- Edmund Husserl, **Idées Directrices pour une phénoménologie.** Trad par Paul Riceure, 1ereéd. Paris : Hachette, 1963.

10-——— **Recherches Logiques, recherches pour la phénoménologie**

25- ديكارت 43.44.63.116.117.119.120.123 .

26- رولان بارث 32

27- سارتر

141.119.118.117.113.112.111.97.91.68.57.56.55.44

28- سبينوزا 117

29- سيمون دي بوفوار 111

30- سيزان 134.133.130

31- شليغل 98

32- فاليري 113.112

33- فتجنشين 98

34- فرويد 134

35- كانط 98

36- كيركيجارد 119

37- ليبنتز 117

38- ليونارد بلومفليد 40

39- ليونار دي فينشي 58

40- لوفي ستروس 94.91.31

41- ماركس 126.120

42- مالارميه 84

43- مالرو 134.133.130

44- ميشال فوكو 102.94.86.70.58

45- ميشال لوفيفر 132.86.70

46- ميرلوبونتي

127.128.129.130.131.132.133.134.136.138.141.142.143.108.109110.1
11.112.116.118.117.119.120.121.122.123.124.126.68.69.70.71.72.73.
75.76.77.78.79.80.82.83.84.85.86.105.106.107.47.48.49.50.51.52.53.5

Et la théorie de la conaissance. T_2 .Paris : Caint Germain, 1961.

11- Ernst Cassirer. **La philosophie des formes Symboliques, I langage** Trad par: Dichansen-lave et jean lacoste. Paris : les éditions minuit 1972
12- Ferdinand de Saussure. **Cours de Linguistique Générale.** Paris : Payot 1972.
13- Fressin Augustin. **La perception chez Bergson et Merleau - Ponty.** Paris : Société d'édition et d'enseignement supérieure, 1976.
14- Ghyslain charron. **Du langage, A Martinet et Merleau-Ponty.** Canada : Ottawa, 1972.
15- Hans- George Gadamer. **Vérité et Méthode, les grandes lignes d'une Herméneutique philosophique.** Paris : édition du seul, 1976.
16- Heiddseish Francois. **L'ontologie de Merleau -Ponty,** 1ere éd. Paris : Press Universitaires de France, 1971.
17- Huissman philippe & Estelle Kulich. **Introduction à la phénoménologie** Paris : Armand colin, 1997.
18- Jean- Paul Sartre. **L'être et le Néant, essais d'ontologie phénoménal-Ogique.** Paris : Caint Armand, 1980.
19- Manfred Bierwish. **Modernes linguistics its developments methods And Problems.** Paris: Mottons, 1971.
20- Micheal lefeuvre. **Merleau- Pont you de la phénoménologie.** France : librairie Klincksieck, 1976.
21- ——— ——— **Questions de Méthode.** Paris : Gallimard, 1960.
22- René Amacker. **La Linguistique Saussurienne.** Genéve : librairie droz 1975.
23- Van court Raymond. **La phénoménologie de la phoix.** Belgique Edition desclée, 1953.
24- Xavier Tilliette. **Merleau- Ponty ou la mesure de l'homme.** Paris : Edition Seghers,1970.

ج – المعاجم و الموسوعات

1- Larousse,(Paris :librairie Larousse,1976).
2- Les Dictionnaires ,La philosophie,(Paris :1972).

د- المجلات

1- Revue de Métaphysique et Morale. 1ere éd. Paris :1971.

ثبت بالمصطلحات الفلسفية

عربي	فرنسي
1- الإدراك	La Perception
2- الآخر	L'Autrui
3- التعبير	L'Expression
4- الجسد	La Chaire
5- الجسم	Le Corps
6- الجسم الحالي	Le Corps Actuel
7- الجسم المعتاد	Le Corps Habituel.
8- الجسم الموضوعي	Le corps phénoménal.
9- الجسم الظاهراتي	Le corps objectif..
10- الحياة	La vie
11- الحرية	Liberté.
12- الحقيقة	La vérité.
13- الجنسية	La sexualité.
14- الرؤية	La vision.
15- العالم	Le monde.
16- الفلسفة	La philosophie.
17- الظاهراتية (الفينومنولوجيا	La phénoménologie.